

# تَسْهِيلُ الْوَصْولِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَصْوَلِ

رَبِّهَا

الْعَالَمَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّيِّبُ الْأَنْصَارِيُّ

الموارد سنة ١٤٩٦ والترقى سنة ١٣٦٣

وَيَدِهِ

## تَسْهِيلُ الْحَفْظِ وَالْوَصْولِ نَظَمُ الْمَلَائِكَةِ الْأَصْوَلِ

نَظَمَهَا

الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَرِيِّ الْمَدِينِيُّ

الموارد سنة ١٤٧٨ والترقى سنة ١٣٧٨

اعْتَقِبَ بِهِمَا

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ دِمَكِي



بِخَلْفِ الْمَكْتَبَاتِ

جَامِعُ الْبَشَّارِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تسهيل الوصول إلى ثلاثة الأصول  
وبيله  
تسهيل الحفظ والوصول لنظم ثلاثة الأصول

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ - ١٩٩٩ م

دار نور المكتبات

السعودية - جدة - حي السلام - بجوار جامع الشعيفي  
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ٤٣٧٤ - البريد: ١٤٩٩

دار المسار الإسلامي

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤٥٩٥٥

# ٦٦٦ تَسْهِيلُ الْوَصْولِ إِلَى الْكَلَاثَةِ الْأَصْوَلِ

رَبِّهَا

الْعَالَمَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّيْبُ الْأَنْصَارِيُّ

الموالدة سنة ١٣٩٦ والترفي سنة ١٣٦٢

رَحِيمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

وَيَلِيهِ

# تَسْهِيلُ الْحَفْظِ وَالْوَصْولُ نَظَمُ الْشَّلَاثَةِ الْأَصْوَلِ

نَظَمَهَا

الشَّيْخُ عُمَرُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَرِيُّ الْمَدْنَى

الموالدة سنة ١٣٠٩ والترفي سنة ١٣٧٨

رَحِيمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

اعْتَدَّ بِهِمَا

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ دِمَيْ

دِارُ الْبَشَّاشِ الْإِسْلَامِيَّةِ

دِارُ الرُّوزِ الْمُكْتَبَاتِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن العقيدة الإسلامية هي الأصل الأصيل، والأساس المتن، الذي تقوم عليه دعائم الدين.

والمؤلفات في أصول الإيمان – على منهج أهل السنة والجماعة – لا تُحصى كثرة، وقد ألفت لِتَسْعَ حاجة الناس إلى تعليمهم حقائق التوحيد ومبادئ الدين.

ومن هذه المؤلفات: رسالة صغيرة الحجم، كبيرة النفع، اشتهرت باسم: «الأصول الثلاثة وأدلّتها»، كتبها صاحب النهضة الإصلاحية في شبه الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، رحمه الله تعالى.

وقد اشتغلت على الأصول الثلاثة التي يتوقف عليها سعادة المسلم في دنياه، ونجاته في آخره.

وهذه الأصول هي: معرفة العبد ربها، ودينه، ونبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد كتبها بالألفاظ سهلة، واستدلّ لكلّ ما أورده بأدلة القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتُوجّح في تأليفها السهولة واليسر لتعليم عامة المسلمين، وليسهل حفظها على صغار الطلبة.

وقد انتشرت هذه الرسالة الصغيرة، وعمّ نفعها، ودرست في المساجد، وقررت في المدارس.

وأُطبِّعت عدّة طبعات، منها طبعة مكتبة المنار سنة ١٣٤٠هـ بإشراف العلّامة الشيخ محمد رشيد رضا، ومنها طبعة المكتبة المنيرية، وعليها تعليقات يسيرة للشيخ محمد منير آغا الدمشقي، ومنها طبعة دار المعارف بمصر، بمراجعة وتصحيح العلّامة أحمد محمد شاكر.

ومن شرحاها وعلق عليها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ عن دار المسير في الرياض في ٨٨ صفحة، والعلامة الشيخ محمد بن صالح

العثيمين، وصدرت الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨هـ عن دار الثريا في الرياض في ١٦٨ صفحة.

وممن اعتنى بهذه الرسالة أيضاً العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري المدنى، المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، ورتبها على طريقة السؤال والجواب؛ ليسهل فهمها وحفظها بيسر وسهولة.

وفي حديث جبريل المشهور في بيان الإسلام والإيمان والإحسان دليل واضح على هذه الطريقة المثلث في التعليم، فكان جبريل هو السائل البصير، وكان النبي ﷺ هو المجيب إجابة العالم الخبر، وفي بعض روایات الحديث قال ﷺ: «هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تأسّلوا».

قال الأنصاري في مقدمة رسالته: «فرَّتَبَتْها على السؤال والجواب؛ تسهيلاً على ضعفة الطلاب، ولأشرك مؤلفها في الأجر، ولو بأضعف الأسباب، وسمّيته: «تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول».

رَتَبَ الأنصاري هذه الرسالة عندما كان مُدرِّساً لعلم التوحيد في مدرسة الملك عبد العزيز آل سعود في المدينة المنورة.

وطبعت هذه الرسالة في المطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥١هـ في ٢٠ صفحة، ومجموع الأسئلة فيها ٩٥ سؤالاً.

ثم طبعت عدّة طبعات دون تعريف بِمُرَتَّبِها العلامة

الأنصاري، ودون اهتمام بشرحها والتعليق عليها.

وقد رأى قسم النشر بدار نور المكتبات الاهتمام بهذه الرسالة، والارتقاء بها؛ لتكون مناسبة لمستوياتٍ علياً لطلاب تحفيظ القرآن الكريم ومعاهد العلوم الشرعية.

فلا يكفي في دراسة هذه الرسالة **مُجَرَّدُ الحفظ** دون فهم لما فيها من أدلة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فأسند قسم النشر إلى الأستاذ الباحث الشيخ مَجْدُ مَكِي – وَفَقَهُ اللَّهُ – القيام بالعناية بهذه الرسالة، وبكتابه ترجمة موسعة لمؤلفها، وشرح **مُفَصَّلٍ لِأَدِلَّتِهَا**، وتعليق نافع عليها.

فقام بالمهمة المنوطة به أحسن قيام، فترجم **لِمُرَتِّبِهَا** الطيب الأنصاري، وقابل الرسالة على الأصول القديمة المطبوعة التي أشرنا إليها، وَعَلَقَ عليها تعليقات ضافية، جديرة بأن تسمى بـ «تحقيق المأمول في شرح تسهيل الوصول»، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

ثم وقف أثناء شرحه لهذه «الأصول» على نظم لها بعنوان «تسهيل الحفظ والوصول» للعلامة الشيخ عمر البري المدني، المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، وهو من تلاميذ المؤلف الأنصاري، فقام بترجمة الناظم والتعريف به، واعتنى كذلك بضبط المنظومة، وشرح غريبيها، والتعليق عليها.

وهاتان الرسالتان تمثّلان طريقة من طرق الكتابة في المناهج التعليمية التي كانت تُدرَّس منذ أكثر من سبعين سنة في مدارس المملكة.

فرأينا إحياءً هاتين الرسالتين؛ إحياءً لآثار بعض علماء المدينة المنورة من رواد التعليم الأوائل، وإبقاءً لتلك المناهج التعليمية، وتعزيزها لفائدتها.

وإذ نقوم بطباعة هاتين الرسالتين، نرجو أن تتحققوا الغاية منهما في تثبيت أصول الإيمان في القلوب، وترسيخ مفاهيم العقيدة في العقول، لتحول هذه المعاني إلى حقائق تتمثل في الأخلاق والسلوك، ولا تكون مجرد كلمات تردد دون فهم لمعناها، أو عباراتٍ تحفظ دون تحقيق لفحواها.

نُسَأَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ ينْفَعَ بِهَذَا الشَّرْحِ الْمَبَارَكِ، وَأَنْ يُجْزِلَ لِشَارِحِهِ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِخَدْمَةِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَسُنْنَةِ مَنْ هُوَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالْتَّسْلِيمِ.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

دار نور المكتبات للنشر والتوزيع



## الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ

### مُحَمَّدُ الطَّيْبُ، الْأَنْصَارِيُّ<sup>(١)</sup>

الموالدة سنة ١٢٩٦ والوفاة سنة ١٣٦٢  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

اسم ونسبه :

هو العلامة المفسر النحوي الحقيق محمد الطيب<sup>(٢)</sup> بن إسحاق بن الزبير بن محمد الصالح بن محمد البشير ، وينتهي نسبه إلى قبيلة الخزرج من الأنصار ، وقد نزح أحد أجداده من المدينة المنورة إلى بلاد المغرب ، وبعد تحوالٍ في تلك النواحي استقرَّ ببلدة "السوق" المعروفة في معاجم اللغة

(١) مصادر ترجمته : ترجمته في مقدمة كتابه : "الدرة الثمينة في النحو" المطبوع في المطبعة الماجدية بمكة سنة ١٣٥٤ بقلم تلميذه محمد علي الحرّكان ، و"الأعلام" للزركلي ٦ : ١٧٨ ، ومقالات تلميذه وابن عمه العلامة الأديب عبد القدوس الأنصاري في "مجلة المنهل" السنة السادسة ، عام ١٣٦٥ ، وتصدير كتابه: "اللآلئ الكمينة في شرح الدرة الثمينة" بقلم تلميذه الشاعر الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب ، بعنوان: "التربية الخلقية في أسلوب شيخنا المؤلف" صفحة : ن-ش ، وتصدير وتعريف بقلم تلميذه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، صفحة : ت-ز ، ومنه استقيتُ أكثر المعلومات وكتبتُ هذه الترجمة .

(٢) الاسم الذي سمَّاه والده إسحاق كان هو "الطيب" فقط ، وبعدما تلَمَّذَ على الشيخ الحمود ، أضافَ هذا إلى اسمه الأصلي اسم (محمد) فصار اسمه المشهور يعدها هو "محمد الطيب" .

العربية بهذا الاسم ، والممتدة في الصحراء الكبرى بشمال إفريقيَّة ، والقريبة من ساحل نهر النيجر<sup>(١)</sup> .

### ولادته ونشأته :

ولد المُتَرَجِّم في موضع يُقالُ له (المرقاد) من الصَّحراء الكبُرَى ، في شهر صفر سنة ١٢٩٦ ، ونشأ في كفالة والده إسحاق ، في غايةِ من الصِّيانةِ ومكارِمِ الأخلاق ، وكان والده من أَجْلَةِ العلماء في عشيرته ، وكانت له مكانة مرموقة بينهم ، لما تخلَّى بِهِ من العلم والورع والزهد في الدنيا ، وتوفي والده سنة ١٣٠٣ ، وصاحبُ الترجمة في السابعةِ من العمر ، فنشأ في حضانة والدته ، وقد حفظ القرآن الكريم على حاله الفقيه الشيخ محمد بن أحمد ، ثُمَّ اعْتَنَى بطلبِ العلم فصبر في طلبه ، حتَّى برعَ في كثِيرٍ من العلوم ، وكان للبيئةِ التي ولَدَ وُرُبِّيَ فيها أثرٌ بارزٌ في سرعةِ إتقانِهِ العلوم ، لاسيما علوم العربية ، وبالأَخْصَّ منها القواعد النحوية .

---

(١) وقد شاء الله لتلك المدينة العامرة بالمساجد ، وحلقاتِ العلم أن تخرب على يد بعض الطامعين ، فتَشَتَّتَ شُلُّ سُكَّانِها ، وتفرقوا فيما حوَّلَها من البقاع ، وكان جُلُّهُم من العلماء وطلبةِ العلم ، فغلب عليهم لقب السُّوقَيْنَ بَعْدَ ذَلِكَ تَميِيزاً لَهُمْ بالنسبة إلى البلدِ الَّذِي نَزَحُوا منه ، وكان ما حدث لمدينة السوق من خرابٍ في غضون القرنِ الحادِي عشر الهجري .

وعلى صَغْرِ سَنِّهِ تَوَلَّ الْقَضَاءِ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَنْحَاءِ ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَنَفَعَ أَهْلَ ذَلِكَ الْقَطْرِ ، وَعَلَا مَجْدُهُ ، وَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ .

شيوخه :

وقد تلقى العلوم على عدّة مشايخ ، في طليعتهم حاله وابن عمه المحدث الشهير الشيخ المبارك بن محمد المختار الأنصاري ، أخذ عنه الفقه المالكي ، والنحو واللغة ، والحديث ، والتفسير ، ومنهم أحمد بن عبد الهاادي ،قرأ عليه علم المعانى ، والبيان ، والمنطق ، وتداكر معه في الأصول ، ومنهم علامة المقول الشيخ أحمد بن الأحمر ، درس عليه علم الأصول ، ومنهم المحدث الشيخ محمد الأمين ، أخذ عنه بالإجازة الكتب الستة ، وغيرها من كتب السنة ، وكل هؤلاء من عشيرته الأقربين .

ومن مشايخه : النحوي الصرّي الفقيه إبراهيم بن محمد اليعيوي ، والناسك محمد أحمد بن زين العابدين اليعيوي ، والشيخ محمود بن محمد السوقي ، والشيخ أحمد بن الشمس رحمهُم الله تعالى ، وقد أجازوه قبل هجرته إلى المدينة المنورة .

وأما مشايخه في المدينة المنورة الذين أجازوا له بعد هجرته : فالعلامة المحدث الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي المولود سنة

(١٢٧٤) المتوفى سنة (١٣٤٥) ، والعلامة الصوفي الزاهد الشيخ أحمد ابن الشمس الشنقيطي ثم الفاسي المدنى ، المتوفى سنة (١٣٤٢) ، والعلامة المشارك أَلْفَانُو<sup>(١)</sup> هاشم الفوتي ثم المدنى المهاجر ، المولود سنة (١٢٨٣) ، المتوفى سنة (١٣٤٩) ، وكان الشيخ محمد الطيب الأنصاري يقتصر على أسانيد هؤلاء الثلاثة إلى مؤلفي الكتب السبعة<sup>(٢)</sup> .

### جهازه وهراته :

احتلت فرنسا بلاده احتلاً عسكرياً ، غاشماً ، فقام مع قومه بمقاومتها بما في إمكانياتهم من عتاد غير متكافئ مع عتاد الغزاة الطامعين ، وقد استبسَل المترجم له في إحدى المعارك الكبيرة التي خاضها ضد الجيوش الفرنسية الغازية ، فامتنى فرشه ، وعبأ بندقيته ، وأغار مع المغرين على سلاح المدفعية الرابض في خبيث هنالك ، فسلط هؤلاء عليهم قنابل مدافعهم المدفعية ، وحصدوا منهم نفراً استشهدوا في سبيل الله ،

(١) كلمة (ألفا) بمعنى الشيخ أو العالم باللغة الفوتية .

(٢) وأروي بالإجازة عن الشيخ الطيب رحمة الله تعالى من طرق كثيرة ، منها : إجازة الشيخ محمد بن علي بن محمد ثانى المدرس في المسجد النبوي بالمدينة النبوية المشرفة ، عن شيخه العلامة الشيخ محمد بن علي بن محمد الحر كان النجدي أصلاً المدنى مولداً ومنشأ (١٣٣٠-١٤٠٣) رحمة الله تعالى ، عن شيخه العلامة الحقيق محمد الطيب الأنصاري .

وقتل المجاهدون مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ نِيرَانُ بَنَادِقِهِمْ ، وَنَصَالُ سَيِّفِهِمْ ،  
وَرَمَاحِهِمْ مِنَ الْفَرْنَسِيِّينَ.

وَفِي إِبَانِ احْتِدَامِ الْمُرْكَةِ صُوبَتْ طَلْقَةٌ مِنْ مَوَاقِعِ الْفَرْنَسِيِّينَ الْقَرِيبَةِ  
جَدَّاً إِلَيْهِ ، فَأَصَابَتْ فَرَسَهُ فَسَقَطَ فِي الْمَيْدَانِ ، وَسَقَطَ هُوَ عَنْهَا بَعْدَمَا  
أُصِيبَ بَعْيَارٍ نَارِيٍّ آخَرَ فِي لَحْمِ سَاقِهِ ، وَوَقَعَ مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ ، وَمَا هُوَ  
إِلَّا أَنْ لَمَّا هُوَ صَدِيقٌ لَهُ ، حَتَّى وَثَبَ مِنْ فُورِهِ إِلَيْهِ ، وَاحْتَضَنَهُ ، وَحَمَلَهُ عَلَى  
فَرَسِيهِ بَيْنَ أَزِيزِ الْطَّلَقَاتِ وَدُوَيِّ الْقَنَابِلِ ، وَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْ مَوْتٍ مُحَقِّقٍ.

وَبَعْدَمَا أَخْفَقَتْ هَذِهِ الْمُرْكَةُ الْكَبِيرَةُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْجَيْشِ الْفَرْنَسِيِّ  
الْمُسْتَعْمِرِ ، أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ حِمَايَةً لِدِينِهِمْ ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ  
وَأَقْارِبَهُمْ هُنَاكَ ، وَقَدَمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ.

هُجْرَتَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ :

هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ سَنَةَ ١٣٢٥ مَعَ أَسْرَتِهِ وَبَعْضِ بَنِي عَمَوْمَتِهِ  
وَبِصَحْبَةِ شِيَخِهِ الشِّيْخِ الْحَمْودِ بْنِ مُحَمَّدِ السُّوقِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَمِنْ أَبْنَاءِ  
عَمَوْمَتِهِ الَّذِينَ صَحِبُوهُ فِي الْهِجْرَةِ: صَبَنُوهُ وَابْنُ أَخْتِهِ، الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ  
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ زَهَاءَ سَنَةٍ وَنَصِيفَ السَّنَةِ .  
وَقَدْ اسْتَقَرَّ الْمُتَرَجِّمُ لَهُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ مَنْزُولِيًّا عَنِ النَّاسِ ، مُعْتَكِفًا  
عَلَى الْعِبَادَةِ ، مَنْقُطِعًا لَهَا ، مَنْطُوِيًّا عَلَى نَفْسِهِ وَعِلْمِهِ ، يُؤْثِرُ الصَّمَدَتِ ،  
وَيَلْتَزِمُ ذِكْرَ اللَّهِ وَتَلَوَّةَ الْقُرْآنِ ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دِيْدَنَهُ حَتَّى قَامَتِ الْحَرْبُ

العالمية الأولى ، وكان هو وأقرباؤه وشيوخهم يقيمون في إحدى دور محلة "ذروان" ، وتتابعت وفيات بني عمومته من جراء الجوع المتفشي ، والخscar الكارب ، وفي طليعة المُتوفين : الشيخ محمود بن محمد السوقي ، فألقى عليه أعباء كفالة اليتامي الصغار الذين تركهم آباؤهم من ورائهم ، وقد نهض بالعبء الثقيل على خير ما يرام .

### هجرته إلى مكة المكرمة :

ثم رأى أن يرحل بهم إلى مكة قبل أن يغتالهم الجوع والمرض ، وسار من المدينة مع جموع من أهلها ، وقد أقام بمكة بجي القشاشية ، المجاور للمسجد الحرام .

### رجوعه إلى المدينة المنورة :

وما كان إلا أن يؤذن بانفراج الأمر في المدينة المنورة حتى يسارع في العودة إليها بعد غياب عشرة أشهر عنها .

وعادت الأسرة إلى المدينة ، وأناحت القافلة في الحارة "الرومية" ، ونزل الشيخ ومن معه في دار الشيخ محمد النجار ، ثم ابتدأ في إعطاء أبنائه الصغار وبعض تلاميذه الدروس الأولية في ركن منزٍ بالمسجد النبوي .

ومن أوائل التلاميذ الذين لازموه وأحبوه الشيخ عمر بري<sup>(١)</sup> ،  
وصديقه إسماعيل بن مصطفى حفظي<sup>(٢)</sup> .

وقد أدرك الشابان المقلان على دروس الشيخ مدى حاجتهما إلى  
التزوُّد من علومه بتصيب وافر ، وخاصة في علوم العربية .

وسَرَّ عَانَ مَا اكْتُشِفَتْ مَوَاهِبَهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ  
وَصَوْبٍ ، وَعَمِّرَتْ حَلْقَةُ تَدْرِيسِهِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِنَاسِيَةِ الْمَدِينَةِ وَشَابَاهَا ،  
الَّذِينَ أَصْبَحُوكَثِيرُهُمْ عُلَمَاءٍ وَأَدْبَاءٍ وَقُضَاءٍ ، وَوَاضَّبُوا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ  
لَدِيهِ ، وَانْتَفَعُوا بِعِلْمِهِ وَحُسْنِ أَسْلُوبِهِ .

---

(١) من أخص تلاميذ الشيخ محمد الطيب ، وقد مدحه في كثير من أشعاره ، وستأتي  
ترجمته بعد قليل .

(٢) قال الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في المنهل ، السنة (٧) ، ص ٤٢٠ : "عرفت  
الصديق الكبير ، والمربي الإداري الحازم إسماعيل حفظي أول ما عرفته في حلقة  
الدرس أيام أواسط الحكومة الهاشمية ، حيث انتظم في سلك طلبة شيخنا العلامة  
محمد الطيب الأنصاري ، فكان من ثبت التلاميذ ثباتاً ، ومن أنجحهم نجابة ، ومن  
أوفاهم وفاء ،قرأ على الشيخ العلوم العربية قراءة استيعاب وانتفاع ، وقرأ غيرها  
من العلوم الدينية ... وكان رئيس ديوان إدارة المدينة المنورة ... وكان من ذلك  
الوقت إلى أن توفي مثال الوفاء النادر لهذا الشيخ الذي تلقى عليه العلم ، ومثال  
الوفاء النادر لزملائه من طلبة الشيخ" . توفي سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م  
- رحمه الله تعالى - .

## زواجه وأولاده :

اقترب الشيخ في صدر شبابه بإحدى بنات عمّه ، ثمّ فارقها حينما أزمع على الهجرة ، ثمّ تزوج بعدها بنساءً آخرات في المدينة ورُزق من أغلبهن بنين وبنات ، لاقوا حتفهم في صغرهم ، ثمّ اقترب بزوجته الأخيرة عائشة بنت الشيخ علي شوويل ، وقد توفي عنها بعد أن أنجبت له ابنيه عبد الرحمن<sup>(١)</sup> وأم سلمة .

## علومه :

كان إماماً في كُلٌّ فنٌّ وعلمٌ من فنون النحو واللغة والبيان والمنطق ، ومن علوم التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ، وكان على منهج السلف الصالح في العقيدة ، وعلى مذهب الإمام مالك في الفقه ، لا ينصلح من هذه المذهبية ، ولكنه يتلمس الدليل في الحديث ، ويسير وراء الأرجح حجةً والأقوى دليلاً ، ولو في غير مذهبة ، وهو على درايةٍ تامةٍ

---

(١) ولد في المدينة المنورة عام ١٣٥٤ ، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالمدينة المنورة ، وحصل على الدكتوراه من جامعة ليدز ، ودرس في جامعة الملك سعود ، وله عناية بالدراسات التاريخية الأثرية ، وهو الآن عضو مجلس الشورى حفظه الله ورعاه . انظر ترجمته ومسيرة حياته في "الإثنينية" ٩ : ١٥١-١٠١ .

يالمذاهب الثلاثة الأخرى ، فكان يُدرّس فيها ويفتي ، وقد درّس تلميذه محمد علي الحرمَ كان الفقة الحنبلي بأكمله ، حتى أصبح فقيهاً علاوةً على دراسته عليه مختلف العلوم .

### تدريسه ووظائفه :

واظَبَ على التدريس في المسجد النبوي ، وبدأت حلقة دروسه حوالي سنة ١٣٣٧ هـ ، وأخذت هذه الحلقة تَسْعَ تدريجياً وتكبر ، وأخذ طلاب المدرسة الهاشمية وغيرهم من ناشئة المدينة المنورة وشبابها ترد هذا المورد العذب ، وَتَعْبُ منه عَبَّا .

وكانت أوقاتُ دروسه تشمل سائر الأوقات ، فُيدَرَّسُ بَعْدَ الفجر ، وبعد طلوع الشمس ، وقبل الظهر ، حيث يُدرَّسُ علم التوحيد بالمدرسة السعودية ، ويُدرَّسُ بَعْدَ الظهر ، وبعد العصر ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء ، ولا يعود إلى منزله في الليل إِلَّا بَعْدَ أن تُغلَقَ أبوابُ المسجد النبوي الشريف ، وحينما يَرْوِبُ إلى البيتِ فليس للراحة ، فهناكَ أيضاً مَن يَتَنَظِّرونَ دُورَهُمْ من التدريس ، وهكذا إلى نهايةِ ثُلُثِ الليلِ الأول .

وكان إذا أرهقته الدروس والمطالعة والتأليف يخرج مع بعض طلابه على قدميه ، أو ممتطياً عربةً إلى إحدى ضواحي المدينة عند صديقٍ أو تلميذ ، وقد يمكث الأيام ذوات العدد هناك إذا طابت له الحال ، وعندئذٍ

ترى جموع الطلبة يفدون إليه ، وما هو إلا بعض حين ، حتى تقلب النزهة والاستجمام إلى مدرسة تَعْجَبُ بالذاكرة والمدارسة ، و مختلف البحوث العلمية والدينية واللغوية.

وهكذا وهب نفسه وصحته للعلم إلى آخر قيسٍ من هذه الصحة ، وبقي منكباً على المطالعة والتدريس والباحثة والتأليف مع مهاجمة شتى الأمراض لجسمه الضعيف .

وقد عُيِّنَ في مناصب علمية ، كان أو لها رئاسة المدرسين بمدرسة العلوم الشرعية ، في أواخر عهد الحكومة الهاشمية ، ثم عُيِّنَ في عهد الحكومة السعودية مدرساً رسمياً بالمسجد النبوى ، ومراقباً للدروس به ، إضافةً إلى تدريس علم التوحيد بالمدرسة الحكومية ، وتوفي - رحمه الله - وهو يشغل هذا المنصب العلمي .

منهجُه في التربية والتعليم :

وكان يخضُّ طبَّته على انطلاق الفكر في آفاقِ البحوثِ العلمية في استقلالٍ من الرأي ، ورزانةٍ من التفكير ، ولا يقبل منهم الكسلُ الذهنيُّ مطلقاً .

وكان يشجعهم على حرية البحث والاستنتاج ، وتحرّي الحق والحقيقة ، واستعمال العقل والبعد عن الجمود .

وكان يعقد الاختبارات لهم في حلقات دروسه ، وفي غير حلقات دروسه ، ليستثير تفكيرهم ، ويتحسس مدى تأثيرهم بالجُوُر العلمي الذي هيأه لهم ، وينبع المتفوق في مسألة جائزة من عنده .

وكان يدعو طلبه إلى الثبات على التحصيل ، ويُطْبِبُ لهم في مزايا الثبات في كُلِّ أمرٍ حميد ، وينشدهم قول الشاعر:

لكلٍّ إلى شأو العلا وثباتٌ  
ولكن عزيزٌ في الرجال ثباتٌ

وربّي تلاميذه تربيةً سليمةً ، لم يستغلّ فيها العصا ، ولم يُلُك لسانه السباب أو الشتائم مطلقاً ، وكان أقصى ما يؤدّبهم به إذا طفت بهم نزواتُ الطفولة أن يظهرَ لهم أنه غضبان ، فلا يَيَّشُ في وجوههم ، فيتأثرون بذلك كُلَّ التأثير ، ويحاولون إصلاح ما أفسدوه حتّى يرضى عنهم .

وقد غرسَ في نفوسِ تلاميذه نزعةَ المثالية ، وتعيين الأهداف ، فكان لكلٍّ ناجحٍ منهم حقله الذي يعمل فيه ، وهدفه الذي يسعى إليه.

وقد كان يرى أنَّ خير العلم ما يُبني على أساسٍ من الْخُلُقِ الفاضل الرَّصين ، فكان يَتَهَزِّزُ الفُرَصَ المناسبة لِيَبْعَثُ في نفوسِ طلابه العمل بالعلم ، وإلهاب الحماسة لاستعادةِ المجدِ الإسلامي التَّليد ، ويقول لهم :

"فأنتم يا أبنائي الأعزاء حفدةُ أولئكَ المجاهدين الأبطال ، وأبناءُ أولئكَ العلماء العباقرة ، فجددوا مجدهم بالعلمِ القويّ ، والخلقِ القويّ ، والعملِ القويّ ، فما يتجددُ مجده لأمةٍ إِلَّا بالعلمِ الرشيد ، والعملِ الرشيد".

ومعَ أَنَّ العلومَ الَّتِي زاولَ الشِّيخُ نشرَها هي علومُ الدِّينِ والْعَرَبِيةِ مِنْ : تفسيرٍ وفقهٍ ، وحديثٍ ، ولغةٍ ، وبيانٍ ، وأدب.. فقد ساير طلابه الناجحون النَّهْضَةَ الْعَلْمِيَّةَ الْحَدِيثَةَ ، وللشِّيخِ طرِيقَةٌ حِكْمَةٌ كَانَ يَقْرَرُهَا فِي بِحَالَسَهُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، فَيَقُولُ : "إِنَّ هَذِهِ الْعِلُومَ عَلَى اخْتِلَافِ أَوْضَاعِهَا هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ شَجَرَةٍ ذَاتِ جَذْعٍ ضَخِّمٍ ، تُسْقَى سَائِرُ فَرَوْعَهَا الْمُلْتَفَةُ حَوْلَهَا بِمَا وَاحِدُهُ هُوَ الْجَدُّ ، وَالْعِنَاءُ بِالْتَّحْقِيقِ ، فَمَنْ سَمِّيَ مَعْرِفَتُهُ فِي بَعْضِ فَرَوْعَهَا الْعِلْمَ هَانَ عَلَيْهِ اقْتِطَافُ الْثَّمَارِ مِنْ فَوْقِ سَائِرِ الْغَصُونَ ، إِذَا أَتَّجَهَ إِلَى ذَلِكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ" <sup>(١)</sup> .

وَكَانَ يَشْجُعُ نُهَيَّاءَ تَلَامِيذِهِ عَلَى قَرْضِ الشِّعْرِ الْجَيِّدِ ، وَيَنْتَقِدُهُمْ إِذَا أَخْطَأُوا فِي الْمَبْنِيِّ ، أَوْ أَسَفُوا فِي الْمَعْنَى ، وَيَرْسُمُ لَهُمْ طرِيقَ التَّفْوُقِ ، وَمَزَاولةَ النَّثَرِ الْجَيِّدِ ، وَيَسْمَعُ الشِّعْرَ مِنْهُمْ باحتِفَالٍ وَعِنَاءً .

---

(١) المنهل ، أعلامُ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَرِ في جزِيرَةِ الْعَرَبِ ، لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْقَدُوسِ الْأَنْصَارِيِّ ، السَّنَةُ السَّادِسَةُ (١٣٦٥) ، ص ٢٦٧.

يقول تلميذه الشاعر الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب : "كنت أنظم الشعر وأعرضه عليه ، فألقى تشجيعه وإرشاده وتحبيذه حتى استدَّ ساعِدي ، وقويت لهاٰتي ، وحيثَنِدَ أَخَذَ يتابِعُني بنقده القاسي المريء ، وكأنَّما انتهى عنده دورُ التشجيع ، وجاءَ دورُ التَّمْحِيص والتَّمْكِين ، فلا يُغْفِلُ الزَّلَّة ، ولا يقبلُ الضَّرُورة ، ويناقش المعاني حتى أني كثيراً ما جئتُه بالقصيدة ، وأنا واثقٌ أنها بالغةٌ حدَّها من المكانة والقوة ... فلا يزالُ يهُزُّها هَزَّاً ، حتى أعود وكأنِّي لم أنظم شيئاً ، وكأنِّي كنتُ أحملُ إليه كومةَ هباء ... لا طاقةَ معطرةَ الأشداء ، كما كانَ حسابي" <sup>(١)</sup> .

ولا غرو فقد كانَ في صدِّرِ شبابه يتعاطى قولَ الشعر في شَتَّى ألوانه ، وشُعُرٌ كثير يمتازُ بالسلاسة والسهولة والإقناع ، وقد هَجَرَ قولَ الشعر ، إِلَّا النظمُ العلمي بَعْدَ أن تقدمَ بهُ العمر .

يقول تلميذه الأديب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري : "أَسْتَاذُنا العلامةُ الشِّيخُ مُحَمَّدُ الطِّيبُ الْأَنْصَارِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، كَانَ أَحَدُ دُعَائِمِ التَّجْدِيدِ فِي حَقْلِي التَّرْبِيةِ وَالْتَّعْلِيمِ بِهَذِهِ الْبَلَادِ ، فِي الْقَرْنِ الْرَّابِعِ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ .

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢١) ، الجزء الخامس ، سنة ١٣٨٠ ، وتصدير مؤلفه "اللآلئ الكمينة" صفحة : ف .

وقد بدأت شجرة علمه الباسقة تؤتي ثمارها في المدينة المنورة فيما بين عامي ١٣٣٥ و ١٣٦٣ ، وما توفي حتى كانت ثمار هذه الشجرة المباركة قد انتشرت في كُلّ مكان ، لا بالمدينة وحدها ، ولكن بالملكة العربية السعودية ، ثم بجزيرة العرب ، وبكثيرٍ من بلاد العالم الإسلامي ، في شرق وفي غرب ، وفي جنوب ، وفي شمال" <sup>(١)</sup>.

وقال تلميذه العلامة الشاعر الشيخ عمر بري يمدحه في عام ١٣٤١هـ

بأبيات منها :

شمس تخيرت القلوب مقاما	صَدَعَتْ بسيف سنائها الإظلاما
ما كان للأسفار فيه مراما	سَفَرَتْ بأسفار العلوم وجمعت
فَسَقَتْ به الأفهام منه مُدَاما	وَجَلَتْ كؤوس القول من صَوْبِ النَّهَى
إِشْرَاق بِهِجْتَهَا الْبَهِي وِسَاما	وَتَقْلُدَتْ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ مِنْ
نور فَدُمْ كَهْفَ الْعِلُومِ دَوَاما	وَبَقَاءَ مِثْلَكَ لِلشَّرِيعَةِ وَالْوَرَى

ويقول أيضاً :

ترَكَ الْبِحَارَ جَدَوا لَأَنْ أَقْدَمَا	عَلَمَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللُّجُجُ الَّذِي
الثَّاقِبُ الْفَهْمِ الْفَصِيحُ تَكَلُّمَا <sup>(٢)</sup>	الصَّائِبُ الرَّأِيُ الْمَنِيرُ بَصِيرَة

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢١) ، الجزء الرابع ، سنة ١٣٨٠.

(٢) ديوان عمر بري ، ص ٧١ - ٧٤.

## مؤلفاته :

أخذَ التدريسُ جُلَّ أوقاتِ الشِّيخِ ، وصرفه عن التفرُّغ للتألِيفِ ، ولما رجاه بعض تلاميذه<sup>(١)</sup> أن يُؤلِّف وأن ينحو النحو الجديـد في البحث قال له: إنَّ إِماماً من الأئمـة عندـما طـلب إِلـيـه أن يـترك وراءـه مؤـلفـاتـ ، أـجابـ بـأنَّ مؤـلفـاتـهـ هيـ تـلامـيـذهـ ، فـكـانـ يـرـىـ أنَّ أـبـنـاءـهـ وـتـلـامـيـذهـ صـورـةـ حـيـةـ مـنـهـ ، وـأـنـ الـوقـتـ الـذـيـ يـصـرـفـهـ فـيـ تـعـلـيمـ النـاسـ وـتـأـلـيفـ ذـوـاتـهـمـ يـعـدـ تـأـلـيفـاـ صـحـيـحاـ يـفـيـدـونـ مـنـهـ وـيـسـتـفـيدـونـ .

وـمـعـ أـنـ التـدـرـيسـ اـسـتـغـرـقـ وـقـتـهـ ، إـلـاـ أـنـ تـرـكـ بـعـضـ المـؤـلفـاتـ ، وـالمـيـزةـ الـتـيـ تـسـجـلـ فـيـ مـصـنـفـاتـهـ هـيـ الدـقـةـ وـالـوـضـوـحـ ، فـهـوـ وـإـنـ يـكـنـ قـدـ دـرـاجـ عـلـىـ سـنـ مـنـ سـبـقـوـهـ فـيـ التـصـنـيـفـ إـلـاـ أـنـ كـانـ أـبـرـعـ مـنـ كـثـيرـ مـنـهـمـ فـيـ فـنـ الـإـيـضـاحـ ، وـالـدـقـةـ فـيـ الـعـبـارـاتـ .

## وـأـمـاـ أـهـمـ مـؤـلفـاتـهـ فـهـيـ :

١ - "الدُّرَّةُ الشَّمِينَةُ" فـيـ النـحـوـ نـظـمـ بـهـ كـتـابـ شـذـورـ الـذـهـبـ لـابـنـ هـشـامـ الـأـنـصـارـيـ ، وـتـمـتـازـ "الـدـرـرـةـ" بـجـمـالـ التـعـبـيرـ ، وـوـضـوـحـ الـهـدـفـ ، وـتـحـدـيدـ الـمـرـادـ ، وـقـدـ أـلـفـهـ لـصـيـغـارـ طـلـابـهـ فـيـ عـامـ ١٣٣٥ـ .

---

(١) هو الأستاذ الأديب الشاعر ضياء الدين رجب ، (١٣٣٠ - ١٣٩٦) .

بالمدينة المنورة ، ودرّسها إياهم في المسجد النبويّ ، وهي مخطوطة ،  
ثمَّ تألفت لجنةً من طلابِه فطبعوها بالمطبعة الماجدية بعكة المكرمة  
سنة ١٣٥٤ ، وقدَّمَ لها تلميذه الشيخ محمد علي الحركان بمقعدة في  
ترجمة حياته.

٢ - "اللائى الكمينة شرح الدرة الثمينة" شرح وإيضاح للمنظومة  
المذكورة آنفًا ، وقد تم الشرح سنة ١٣٥٠ ، رطبع في مطبعة المدنى  
بمصر سنة ١٣٨٠ ، وقد صُدرَ الكتاب بمقعدة تلميذه الشاعر  
الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب ، وتلميذه الأديب الأستاذ  
عبدالقدوس الأنصارى ، ثمَّ نشر هذا التعريف والتصرير في مجلة  
المنهل ، المجلد ٢١ ، الجزء الرابع سنة ١٣٨٠ .

٣ - "تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول" رتب فيه رسالة "الأصول  
الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، على طريقة السؤال  
والجواب ، عندما كان مدرّسًا لمادة التوحيد في مدرسة الملك عبد  
العزيز آل سعود بالمدينة المنورة ، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة  
١٣٥١ هـ ، في المطبعة الماجدية بعكة المكرمة . وهو هذا الكتاب  
الذي بين يدي القارئ .

٤ - "البراهين الموضحة في نظم كشف الشبهات" في التوحيد ، وقد طُبع في مطبعة جريدة المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ ، نظمه بطلب من الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ المتوفى سنة (١٣٧٨) ، ثم أعيد نشره سنة ١٤١٣ ، طباعة دار لينة للنشر والتوزيع في المدينة المنورة .

٥ - "الدلائل اليقينيات في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات" ، وقد طبع بعثة المكرمة سنة ١٣٦٠ .

٦ - "تحبير التحرير في اختصار تفسير الإمام ابن جرير" بدأ به في أثناء تدريسه لتفسير ابن جرير بالمسجد النبوى ، واستمر في تأليفه ، فساير به الدرس ، وقد اختصره الشيخ مقتضياً على التفسير وحده ، وهو مخطوط في عدة كراسيس بخطه ، وبقي على إكمال هذا المختصر جزءان.

٧ - "السراج الوهاج في اختصار صحيح مسلم بن الحجاج" لا يزال مخطوطاً.

٨ - "التحفة البكرية في نظم الشافية" أي : شافية ابن الحاجب ، نظمها نظماً سهلاً أوضح عقدها على نظم "الدُّرَّةِ الثَّمِينَةِ" ، وسمّاها:

"التحفة البكرية" نسبةً إلى تلميذه الخاص الشيخ أبي بكر بن محمد أحمد السُّوقي التنبكتي المدرّس بالمسجد النبوى ، ولا تزال مخطوطة.

### صفاته الخلقيّة :

كَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ طَوِيلًا ، أَسْمَرَ الْلَّوْنَ ، مَسْتَطِيلَ الْوَجْهِ ، بَارِزَ عَظَامِ الْوَجْنَتَيْنِ ، أَقْنَى الْأَنْفَ ، وَفِي فَتْحِي أَنْفِهِ سَعَةً ، عَرِيضَ الْجَبَهَةِ بَارِزَهَا ، وَاسْعَ الْعَيْنَيْنِ أَدْعَجَهُمَا ، وَكَانَ خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ وَالْذَّقْنِ ، وَاسْعَ الْفَمِ ، مُفْلِحُ الْأَسْنَانِ ، نَاصِعُ بِيَاضِهَا مَلَازِمَهُ السُّوَاكَ لِلَّيلِ نَهَارَ ، طَوِيلُ الْعَنْقِ ، طَوِيلُ الْيَدَيْنِ وَالْأَصْبَاعِ ، سَبْطُ الْكَفَّيْنِ ، نَحِيفُ الْجَسْمِ ، مَتَنَاسِقُ الْأَعْضَاءِ ، جَمِيلُ الصُّورَةِ .

### صفاته الخلقيّة :

كَانَ لِيْنَ الْعَرِيكَةَ ، سَمَحَ الطَّبِيعَةَ ، سَهْلًا يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ ، سَلِيمَ الصَّدَرِ ، لَا يَحْمِلُ حِقْدَةً عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَرْضِي بُغْيَةً أَوْ نَمِيَّةً ، وَلَا يَوَافِقُ عَلَى كَلْمَةٍ سُوءٍ تُقَالُ فِي مَحْلِسِهِ عَنْ أَحَدٍ ، بَلْ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ جُلُسَائِهِ يَفْعُلُ ذَلِكَ وَلَوْ بِالْإِيمَاءَةِ الْعَابِرَةِ ، بَلْ يَغْضَبُ أَشَدَّ الغَضَبِ ، وَيَتَجَلَّ غَضَبَهُ سَاعِيَتِهِ فِي أَسَارِيرِ وَجْهِهِ ، وَشَرَائِينِ جَبَينِهِ ، وَكَانَ أَقْصَى مَا يَقُولُهُ عَمَّنْ يَؤْذِيهِ: (اللَّهُ يَهْدِيهِ) ، أَمَّا إِذَا حَابَهُهُ أَحَدٌ بِمَا يَكْرَهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) .

وَكَانَ يَحْبُّ أَنْ تَسُودَ الْأَلْفَةُ وَالْمَحْبَةُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيُسْعِي إِلَى الْصَّلْحِ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَيَجْهَدُ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَدْ رَاضَ نَفْسَهُ عَلَى الرُّهُدِ وَالْوَرْعِ وَاتِّبَاعِ السُّنْنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْغَرَاءِ ، وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْعِمَامَةَ الْمُنْكَرَةَ وَلَا زَمَّهَا إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِأَنَّ تَحْنِيكَ الْعَمَائِمِ - بِمَعْنَى إِرْسَالِ الْعِمَامَةِ تَحْتَ الذَّقْنِ - سَنَةً نَبُوَيَّةً ثَابِتَةً .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا : أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْصَرِفُ عَنْ جَلِيلِهِ مَهْمَا أَطَالَ الْحَدِيثُ ، وَأَمَلَّ فِي الْجَلْوَسِ حَتَّى يَكُونَ جَلِيلُهُ هُوَ الْمَنْصَرِفُ .

وَكَانَ شَدِيدَ الْاعْتِزَازِ بِكَرَامَتِهِ مَعَ شَدِيدِ تَوَاضِعِهِ ، وَكَانَ إِذَا صَمَّمَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأَمْرَوْرِ بَعْدَ التَّأْمُلِ ، مَشَى إِلَيْهِ كَالسَّلِيلِ الطَّامِي الْجَارِفُ ، فَلَا يَمْكُنُ لَأَيِّ عَقْبَةٍ أَنْ تَقْفَ أَمَامَهُ .

وَكَانَ صَبُورًا جَلْدًا ، شَجَاعًا فِي الْحَقِّ ، قَوِيًّا الْعَزِيمَةَ ، لَا يَخْشِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَلَا يَبَالِي مَا يَنالُهُ مِنْ أَذى فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلْمَةِ الْحَقِّ .

وَكَانَ عَطُوفًا شَفَوْقًا عَلَى أَهْلِهِ وَذُوِّي قُرْبَاهُ ، يَغْمُرُهُمْ بِفَيْضٍ إِحْسَانِهِ ، لَا يَمْسِكُ عَنْهُمْ فَلْسًا وَلَا درَهْمًا وَلَا دِينَارًا ، فَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ مِنَ النَّقُودِ ، فَهُوَ يَدْخُلُ لِيُفَرَّقَ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْطَّلَابِ وَالْقَاصِدِينَ .

ويذكر تلميذه الشيخ إبراهيم العياشي قصة وقعت له أيام الطلب وشدة الحاجة والفقر ، فيقول : "... وكان الدرس في منتهى الصعوبة ، وإذا بأحد أهل الهند يشقُّ الحلقة ، ويتقدّم إلى فضيلة الشيخ محمد الطّيّب ، ويجلس بين يديه ، ويقدّم له هدية كانت من الريالات الفضية المحيدية ، ولم يقم - رحمه الله - حتى وزعها كلها علينا نحن الحضور ، ولم يُقِّدِّمْ لديه شيئاً منها" <sup>(١)</sup> .

وَكَانَ رَجَاعاً إِلَى الْحَقِّ ، ذَكَرَ تلميذه الصفي الشيخ محمد المختار الكنتي إمام مسجد قباء أنه كَانَ ذَاتَ مَرَةٍ قَرَرَ لَهُمْ مَسْأَلَةً مِنْ مَسَائِلِ بَابِ الرِّكَابِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ قَدْ رَاجَعَهَا فِي كِتَابِ الْفَقَهِ قَبْلَ الْدِرْسِ ، وَسَهَّا الشَّيْخُ فَقَرَرَ عَكْسَ مَا فِي الْكِتَابِ ، وَأَبْدَى لَهُ مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ مَا يَتَضَمَّنُهُ الْمَقْرَرُ فِي الْكِتَابِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ ، ثُمَّ رَاجَعَ الْكِتَابَ ، وَوُجِدَ الْمَسْأَلَةُ بِعَكْسِ مَا كَانَ قَرَرَهُ بِالْأَمْسِ ، وَفِي الْدِرْسِ تَحَدَّثَ إِلَى الطَّلَابِ وَقَالَ لَهُمْ : يَا إِخْرَانِي إِنَّ حَقِيقَةَ الْمَسْأَلَةِ هِيَ كَمَا ذَكَرَ أَخْوَنَا مُحَمَّدَ الْمُخْتَارَ ، وَأَنَا كُنْتُ مُخْطِئاً ،

---

(١) المنهل ، العدد (١) ، سنة (٢٩) ، محرم (١٣٨٨هـ) ، ويقول الشيخ العياشي في مفتتح كلمته : "وَكُنْتُ مِنْ لَازِمِ الشَّيْخِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ ، وَكَانَ هَادِيًّا مَهْدِيًّا ، رَئِيْسِي مِنِي الرُّوْحُ ، وَهَدِيْبُ مِنِي النَّفْسُ ، أَسْتَمْطِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَابْلُ الرَّحْمَةِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَجَزَاهُ عَنَا خَيْرُ الْجَزَاءِ" انتهى .

وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ الْقُدَامَى ، الَّذِي قَرَرَ فِي أَحَدِ دُرُوسِهِ: أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ طَلَقَ وَآتَى وَظَاهِرًا!! ، وَاتَّفَقَ أَنْ كَانَ فِي حَلْقَةِ الْدِرْسِ عَالِمٌ جَلِيلٌ  
غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، فَسَكَتَ وَذَهَبَ إِلَى الشِّيخِ فِي دَارِهِ ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قَلْتَ أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ ظَاهِرًا ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْمُظَاهِرِيْنِ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ  
مُنْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَتَأَثَّرَ  
الشِّيخُ ، وَفِي الْدِرْسِ التَّالِي صَارَحَ تَلَامِيْذَهُ أَنَّهُ كَانَ بِالْأَمْسِ مُخْطَشًا ، وَأَنَّ  
خَطَّأَهُ قَدْ كَشَفَهُ هَذَا الْعَالَمُ الْمُجْهُولُ .

وَكَانَ إِلَى سَمَاحَةِ نَفْسِهِ مُتَحَلِّيًّا بِالْإِخْلَاصِ فِيمَا يُنْشَرُهُ مِنْ عِلْمٍ ، وَلَا  
تَشْوِبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا .

لَمْ تُلْهِهِ الدُّنْيَا وَلَا مَجْدُهُ الْعِلْمِيُّ فِيهَا ، وَلَا تَقْدِيرُ الْحُكَمَاءُ لَهُ ، عَنْ  
وَاجْبِهِ الْدِينِ الْكَبِيرِ ، فَقَدْ كَانَ يَذْلِلُ النُّصْحَ لَهُمْ جَهْدَهُ ، زَاهِدًا فِيمَا  
عِنْهُمْ ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ أَبْوَابِهِمْ .

مُفْتَاحُ شَخْصِيَّتِهِ الصَّرَاحَةُ وَالْوُضُوحُ ، فَهُوَ لَا يُدَاهِنُ وَلَا يُنَافِقُ ، وَإِنَّ  
كَانَ يُدَارِي وَيُلَاطِفُ ، وَلَا يُحِبُّ الْجَدَالَ وَالْمَرَاءَ .

وَعِبَادَتُهُ :

وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَتَلَاقِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَكَانَ صَوْتُهُ فِيهِ رَحِيمًا ،  
وَمِنْ دَأْبِهِ الْقِيَامُ فِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ ، فَيَتَوَضَّأُ وَيَتَهَجَّدُ ، حَتَّى يَنْشِقَ عَمُودَ

الفجر ، فينزل إلى المسجد النبوى ليصلّى فيه الفجر مع الجماعة ، وَكَانَ حريصاً على أن يصلّى في الصفّ الأول في الروضة الشريفة ، ثُمَّ يجلس يتلو ما تيسّر له من القرآن والدعوات حتّى تشرق الشمس ، فيصلّى الضحى ، ثُمَّ ينقلب إلى بيته بعدَ أن يدرس بعض الطلاب ، ويتناول طعام الفطور بين أكdasٍ من الكتب ، وَكَانَ قليلاً الطعام يسيره إلى الغاية.

وقد راض نفسه على العبادة في عنفوان شبابه ، ولازم الصّوم وقيام الليل حتّى أضناه ذلك ، وخشى أن يكون ألم به مرض ثقيل ، ففاتح صديقه الشيخ (محمد المختار الكنّى) بذلك ، فأشار عليه بأن يراجع الطبيب (محمد حسين أعظم الهندي) ، وجسّ نبضه ، وقال له من غير أن يعلمحقيقة حاله : إنّه ليس به مرض ، وإنما هو يكثر الصيام وقيام الليل ، فإن أراد لنفسه حيّاً ، فليترك كثرة الصوم وليخفّ من القيام ، ففعلَ وعوّفي .

مرضه ووفاته :

كَانَ رحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حريصاً كُلَّ الحرص على الموت في المدينة المنورة ، والدفن في البقع ، ولذلك لا يرِيم عنها إلى بلدة أخرى ، اللهم إِلَّا مكة ، حينما يهُم بالحج ، فإذا أتمَ مناسكه آب إلى المدينة المنورة سريعاً ، وقد حج خمس حجات .

وَهِينَمَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ وَطْأَةُ الْمَرْضِ الْأَخِيرِ ، وَعَجزَ الطِّبِّ الْمُوْجُودُ فِي  
الْمَدِينَةِ عَنْ مَقَاوِمَةِ دَاءِ (الْنَّحْلَلُ الْأَعْصَابِ) الَّذِي أَصَابَهُ نَتْيَاهَ إِجْهَادِهِ  
لِجَسْمِهِ وَعَقْلِهِ ، أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْخَلَصَاءِ بِأَنَّ يَسْافِرَ إِلَى مِصْرَ ؛ لِأَنَّ  
الْعَلَاجَ الْلَّازِمُ هُنَاكَ أَوْفَرُ مِنْهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ قَابِلَ هَذِهِ الإِشَارَةَ بِالرَّفْضِ  
الْبَاتِ ، لِأَنَّهُ عَقَدَ النِّيَّةَ أَنَّ لَا يَفْارِقَ هَذَا الْبَلَدَ الْحَبِيبَ إِلَى قَلْبِهِ خَصْوَصًا فِي  
سَاعَاتٍ دُنُوْرِ الْأَجْلِ .

وَقَدْ حَقَّ اللَّهُ أَمْنِيَّتَهُ فَمَا تَ بَلَدَ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ عَنْ سَبْعَةِ وَسِتِينِ عَامًاً ،  
وَكَانَتْ وَفَاتَهُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ صَبِيَحَةِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الْمُوْافِقِ ٧ مِنْ شَهْرِ  
جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣٦٣ ، وَدُفِنَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْبَقِيعِ فِي الرَّكْنِ  
الْجَنُوْبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ .

وَاشْتَرَكَ فِي تَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ جَمُّ غَفِيرٌ مِنْ مُخْتَلِفِ الطَّبَقَاتِ ، وَرَثَاهُ  
الشَّعَرَاءُ بِقَصَائِدٍ تَفَيَّضُ بِالْأَسْى وَالْأَلْتِيَاعِ .

وَقَدْ أَمْرَ الْمَلِكَ عَبْدَالْعَزِيزَ آلَ سَعْوَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُصْلَى عَلَيْهِ صَلَاةُ  
الْغَائِبِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ وَفِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ  
رَحْمَةَ الْأَبْرَارِ ، وَأَحْلَهُ - وَسَاتِرَ مَشَايِخِنَا - دَارَ الْكَرَامَةِ وَالرَّضْوَانِ .



## ترجمة الناظم<sup>(١)</sup>

### عَمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَرِّي

الموالى سنة ١٣٧٩ والموافق سنة ١٣٧٨  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

هو العلامة الفقيه الأديب الشاعر الشيخ عمر بن إبراهيم بن عبد القادر ابن العلامة مفتى المدينة المنورة الشيخ عمر بن إبراهيم بن محمد البري المدنى الحنفى ، وينتهى نسب هذه الأسرة إلى عبد البر المراطى القىروانى المتسبب إلى محمد بن الحنفى<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ترجمته بقلم ابن خالته الأديب الكبير الشاعر الشيخ محمد سعيد دفتردار المدنى (١٣٩٢-١٣٢٢) رحمه الله تعالى ، والتي نشرت في خمس مقالات متتالية في مجلة "المنهل" المجلد (٢٠) سنة ١٣٧٩ ، ص ٥٩٨-٥٩٣ و ٦٩٦-٦٠٣ ، والمجلد (٢١) سنة ١٣٨٠ ص ٤٠٢-٤٠٧ و ٢٦٠-٢٧٠ ، ومنه استفدت في كتابة هذه الترجمة ، مع ترتيب جديد وإضافات كثيرة .

(٢) ذكر الأنصاري في "تحفة الحبين" ص ٩١ أن رجال هذه الأسرة الأوائل استوطنوا قرية (فريانة) بتونس ، وأول من سكن منهم المدينة الشيخ أحمد المغربي المالكي في حدود سنة ٩٠٠ هـ ، وولي فيها قضاء المالكية ، ولاتزال هذه الأسرة من أكبر الأسر بالمدينة المنورة .

## ولادته وأسرته :

وُلدَ الشِّيخُ عُمَرُ بْرِيُّ في المَدِينَةِ الْمُنُورَةِ عَامَ ١٣٠٩ هـ في أُسْرَةِ عَلْمِيَّةٍ وَبَيْئَةِ دِينِيَّةٍ صَالِحةٍ ، فَوَالدُّتُهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ بْنَتُ الشِّيخِ إِبْرَاهِيمَ الْأَسْكُوبِيِّ شَاعِرِ المَدِينَةِ الْمُنُورَةِ ، مِنْ فَضْلِيَّاتِ النِّسَاءِ ، وَكَانَتْ - رَحْمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مُتَقْفَّةً مَهْذَبَةً ، تَوْفَيْتَ عَامَ ١٣٦٩ هـ ، وَلَيْسَ لَهَا وَلَادٌ مِنَ الْأَوْلَادِ غَيْرِهِ .

وَأَمَا وَالدُّهُ : فَهُوَ الْعَالَمُ الْفَقِيَّهُ الْحَنْفِيُّ الْأَدِيبُ مُفْتِيُّ الْمَدِينَةِ النَّبُوَّيَّةِ الشِّيخُ إِبْرَاهِيمُ بْرِيُّ ، الْمُولُودُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ سَنَةَ ١٢٨١ هـ ، وَقَدْ دَرَسَ عَلَى يَدِ وَالدِّهِ الشِّيخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْرِيُّ ، ثُمَّ عَلَى عَلَمَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبُوَّيِّ الشَّرِيفِ ، وَتَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ ، وَقَصَدَهُ طَلَابُ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ ذَكْرُهُ إِلَى الدُّولَةِ العُثْمَانِيَّةِ عُيِّنَ مُفْتِيًّا لِلْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَ أَحَدَ مَرَاجِعِ الْفَتْوَىِ لِلِّدُولَةِ .

وَعِنْدَمَا تَسَلَّمَ الْحُكْمُ فِي الْحِجَازِ الْمَلِكُ عَبْدُ الْعَزِيزَ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عُيِّنَ الشِّيخُ إِبْرَاهِيمُ بْرِيُّ قَاضِيًّا فِي الْحُكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ ، وَاسْتَمْرَ مُدْرِسًا بِالْمَسْجِدِ النَّبُوَّيِّ إِلَى أَنْ تَوْفَى فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ سَنَةَ ١٣٥٤ هـ عَنْ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينِ عَامًا رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْكَنَهُ فِي سَيْحِ جَنَّاتِهِ .

## نشأته وتعليمه :

نشأ الشيخ عمر في بيت علم وفضل ودين ، في أسرة عريقة في العلم والأدب ، وحفظ كتاب الله عَجَلَ اللَّهُ بِرَحْمَةِ الْمُحْسِنِينَ في مكتب الشيخ إبراهيم الطرودي في أحد مكاتب المسجد النبوي الشريف ، ولما أتم حفظ كتاب الله وجوده على قراءة حفص ،قرأ عليه شرح الجزرية في التجويد ، وحفظ على والده الأجرؤمية في النحو ، و "كفاية الغلام" في الفقه الحنفي على جده لوالده الشيخ عبد القادر البري ، وشرحهما له جده لوالدته الشيخ إبراهيم الأسكوبى ، كما درس مبادئ العلوم عليهما ، ثم درس في مكتب الرشيدية العلوم الرياضية واللغة التركية وبعض العلوم ، وكان يحسن اللغة التركية ، وله إلمام باللغة الفارسية ، كما تعلم في المكتب شيئاً من التاريخ والرسم والأعمال اليدوية التي كانت تسمى (إشكري)<sup>(١)</sup> كما تعلم مبادئ الزخرفة والوشي .

## جمال خطه :

وأخذ يتمرن على أنواع الخطوط على خطاط تركي اسمه شكري أفندي ، فتعلم الخط الرقعي ، والثلث والنسخ والفارسي ، حتى جاد قلمه

---

(١) بكسر المهمزة وسكون الشين ، وفتح اللام وكسر الراء بعدها ياء ساكنة .

وقويت ملكته ، وأصبح خطه من أجمل الخطوط ، مع تعلم شيء من النّقش والزخرفة ، وقد ترك كثيراً من المشوق واللافتات المكتوبة والمزخرفة بقلمه الجميل ، وكان يُزيّن مدائنه التي ينظمها لبعض الملوك والوجهاء بخطه البديع وزخرفته الفنية حتى تصبح تحفة نادرة تُزيّن بها أبهاء الاستقبال في المنازل . ولم يكتف بأن زخرف ومشق على الكاغد ، بل له زخرفة على بعض الوسائل بألوان متنوعة من الحرير يضمنها شعراً بديعاً ، واسم من يهديها إليه من أهله أو أصدقائه .

#### شيوخه :

تلقى العلم والأدب على كبار علماء المدينة المنورة وأدبائها . ومن أساتذته في الأدب : الشيخ عبد الجليل برادة (١٢٤٢-١٣٢٧) ، وجده لأمه الشيخ إبراهيم الأسكوبي (١٢٦٤-١٣٣١) ، ووالده الشيخ إبراهيم بري (١٢٨١-١٣٥٤) ، والشيخ أمين حلواني (ت ١٣١٦) ، والشيخ خليل خربوطي (ت ١٣٢٧) ، والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي (١٢٥٠-١٣٢٢) ، وهو - أي الشيخ حبيب الرحمن - أستاذ والده ، ودرّس جميع العلوم التي كانت سائدة في عصره ، وبرع في الفقه والتفسير والحديث والفرائض والنحو واللغة والصرف .

ومن أساتذته في العلوم : الشيخ حمدان الونيسى ، والشيخ مُلا سَفَر ، والشيخ أبو بكر الداغستانى ، والسيد حسين أحمد الفيض آبادى (١٣٧٧-١٢٩٦) ، والشيخ محمد العمرى (١٢٨٠-١٣٥٠) ، والشيخ زاهد عمر زاهد (١٣٤٨-١٢٧٥) .

وأخيرًا كان أستاذ المفضل بعد أبيه الشيخ محمد الطَّيْب الأنصارى (١٣٦٣-١٢٩٦) ، درسَ عليه النَّحو والأدب والحدِيث وبعض العلوم الأخرى ، كالمعانى والبيان واللغة وتوحيد السَّلْف .

مذهبه :

كان سلفي العقيدة ، وهذه السلفية كانت عند أبيه وجده ، فهم جميعًا أبعد الناس عن البدع ، وكان يتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة - رحمة الله تعالى - ، ويغار على مذهب ، ولا يقبل الطعن عليه ، وربما سهر ليلة ليرد على مسألة خلافية بين الحنفية وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى .

أدبه وشعره :

ظهرت عليه ملامح النبوغ مبكرة في سن الخامسة عشرة من عمره ، وكتب بواكير شعره وهو بعد في المكتب ، وأخذ كل من الأب والجدّين يشجعانه على القول ، ويكافئانه على الجيد منه ، ويصلحان أخطاءه ، ويدلّانه على مناهل الأدب ودواوين الشعر الجيدة ، يدرسها ويختار منها الأبيات الجميلة ويُشَطِّرُها أو يُخَمِّسها أو يُشَجِّرُها .

حتى غداً الشيخ عمر في مجالس المدينة وأنديتها شاعرها الغرّيد ،  
وراويتها الفريد ، لا يدانيه أحد في مذاكرة الأنفس<sup>(١)</sup> ، ولا يحاريه أحد في  
الرواية ؛ لكثرة محفوظاته ، واستيعابه ، ولقوته حافظته ، وحضور بديهته ،  
ومعرفته للجيد الذي ينتقيه من دواوين الشعراء .

وكان لا يحفظ لشاعر إلا إذا درس حياته وعرف طبقته من شعراً  
عصره ، فإذا سأله عن شاعر ترجمته لك ترجمة وافية ، وأفاض عليك من  
جيّد شعره ما يروي غليلك .

فنون شعره :

من فنون الشعر التي كان يجيدها (التشجير) وهي صنعة مَدِينَة قديمة  
تعلّمها وورثها عن جده لوالدته الشيخ إبراهيم الأسكوبى ، وهي أبيات  
شعرية تكتب على شكل شجرة تتّالف من قاعدة وفروع وزهرة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) هو نوع من المطارحة الشعرية يجيده من يحفظ كثيراً من الشعر ، مع قوة الذاكرة  
وحضور البديهة ، فقد يأتي الأول بيت من الشعر ، ويحاب من آخر بيت على  
قافية البيت الأول . فإذا كانت القافية بحرف السين مثلاً يحاب بيت أول حرف  
منه سين أيضاً ، وهكذا دواليك .

(٢) أورد العالمة المؤرخ الأديب الشيخ محمد سعيد دفتردار في مجلة المنهل ، المجلد (٢١)  
الجزء (١) نموذجاً من هذا النوع في قطعة شعر يمدح بها الشيخ عمر صديقه الشيخ  
عباس القطان ، المولود سنة ١٣١٢ ، والمتوفى سنة ١٣٧٠ ، رحمهما الله تعالى .

وهذا النوع من الشعر يجمع بين فن التنظيم وفن الخط وفن الرسم ،  
 فهو صناعة يدوية عقلية جميلة .

وفنون التشجير عنده كثيرة جداً ، وهناك أنواع أخرى من التطريز : في  
الكلمات ، وفي القوافي ، وفي مصْرَعِي كل بيت من قصائده<sup>(١)</sup> .

### مجلسه وأسلوبه في الحديث :

إن المجلس الذي يوجد فيه الشيخ عمر بري لاتكاد تجد أحداً يتحدث  
فيه غيره ، بل إنَّ الجالسين لا يريدون أن يتكلم أحد غيره .

ولا يشعر الجالس معه بالملل ؛ لأنَّه ينتقل في حديثه بين رواية الشعر ، وسرد  
التاريخ ، وعرضِ مسائل العلوم ، ويتنتقل بمحالسه عبر عصور التاريخ ،  
وواقع الملوك ، ومصارع الرجال ، ويعينه على ما يروي ذاكرته الجيدة القوية.

---

(١) ذكر الأستاذ إبراهيم العياشي في مجلة المنهل العدد (١) سنة (٢٩) ما يدل على  
قوه بديهته وسرعة ارتقايه للشعر مع إتقانه لفن التشجير والتطريز يقول : " جاءنا  
نعي العلامة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى (١٣٤٦) رحمه الله تعالى ، فكتب في  
بطن غلاف كتاب "المستطرف" في رثائه قصيدة مشحورة أذكر منها :

والدَّمْعُ فِي خَدْدِ الزَّمَانِ سَفُوحُ	الْعِلْمُ يَكِي شَجَوَهُ وَيَنْوُحُ
شَخْصُ الْجَهَالَةِ فِي الْوَرَى مَذْبُوحُ	لَمْ لَا وَقَدْ فُقِدَ الْذِي بِوْجُودِهِ
تَفْدِيَهُ بِالْأَنْدَاءِ وَهِيَ تَفْوَحُ " اَنْتَهِيَ .	شَخْصٌ تَوَدُّ الرَّاهِرَاتِ لَوْ اَنْهَا

كما أنه يوجدُ المناسبات لما يرويه من أدب أو تاريخ أو تراجم أو قصص وذكريات ، حتى إن السامع له يكاد أن ينسى الوقت ، ويجد من المتعة لحديثه ما يشغله عن المهم من أعماله<sup>(١)</sup> .

رحلاته :

رحل الشيخ عمر - رحمه الله تعالى - أربع رحلات : الأولى : وهي رحلة قهرية إلى الشام والأناضول ، والثانية : إلى مصر ويوغسلافيا وألبانيا ، والثالثة : إلى تونس ، والرابعة : إلى الهند .

أما الرحلة الأولى : فكانت في أوائل عام ١٣٣٤ عندما طلب فخرى باشا محافظ المدينة المنورة من الشيخ عبد القادر بري أن يغادر المدينة هو وأسرته ، وكانت هذه الرحمة الجبرية شديدة الوطء عليهم ، لا يعرفون نهايتها ، ولا يأمنون غائلتها .

---

(١) وللشيخ عمر - رحمه الله تعالى - قصيدة شعرية رائعة ، ذكر فيها رحلته إلى الهند ، ويظهر في نظمها هذه القصيدة مقدرته الفائقة على الوصف ، حتى لأدق الأشياء التي شاهدتها في الهند ، وقد أورد أبياتاً من هذه القصيدة ابن خالته الأديب الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمته له في مجلة المنهل ، المجلد العدد ( ١٠ ) ص ٦٩٦ - ٧٠١ ، ولم ترد هذه القصيدة في ديوانه الذي نشره الدكتور الخطراوي .

وكان الحرب العالمية الأولى قد ثارت فهُزِّتْ أهل المدينة هَزَّاً ،  
ومرَّقتْ شملهم ، وطُوَّحتْ بهم إلى سورية وتركيا ، وبعضهم ارتحل إلى  
مكة .

وكان إبعاد آل البري إلى سورية ، ومنها إلى الأناضول بتركيا ،  
واستقرَّ قرَارُهم في بلدة اسمها ( الوشاق ) تابعة لولاية أزمير . وعاشت  
الأسرة في الوشاق ما يقرب من عامين ، يعيشون على ما كانت الدولة  
تصرُّفه لهم من أرزاق ومرتبات ضئيلة .

وفي شعبان عام ١٣٣٦ سمحَت الحكومة التركية لهؤلاء المبعدين  
بالعودة إلى سورية ، واستقروا في دمشق إلى أن عاد أهل المدينة المنورة إلى  
بلدتهم في عام ١٣٣٧ ، وفي دمشق توفي في أسبوع واحد جد الشيخ  
عمر : الشيخ عبد القادر بري ، وزوجته أمُّ أولاده بنت الشيخ صالح  
الفضائل ، وولد صغير له .

وبعد جلاء الترك عن المدينة المنورة عادت أسرة الشيخ عمر إليها ،  
ولكنهم وجدوا أكثر الأمتعة التي خلَّفوها في منزلهم قد نُهبت من قبل  
جيش البدو الذين احتلوا المدينة المنورة أواخر سنة ١٣٣٧ .

ومن هذا التاريخ إلى عام ١٣٤٥ والشيخ عمر مقِيم في المدينة  
المنورة ، وكان كاتِبًا في المحكمة الشرعية .

الرحلة الثانية : وفي عام ١٣٤٥ سافر هو وابن خالته الشيخ عمر شَقَّلْبَهَا إِلَى يوْغَسْلَافِيَا ، وَكَانَا يَبْحَثُانَ عَنْ بَدَلَاتٍ لِلْحَجَّ ، فَسَافَرَا مِنْ جُدَّةَ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، فَالْيُونَانَ وَمِنْهَا إِلَى أَسْكُوُبِيَا ، وَاجْتَازَا الْخَدُودَ إِلَى أَلْبَانِيَا ، وَقَدْ أَخْذَتِ الرَّحْلَةُ مِنْهُ مَا يَقْرَبُ مِنْ عَامٍ .

وَمَا قَالَهُ فِي سَفَرِهِ إِلَى أَلْبَانِيَا<sup>(١)</sup> :

أَسِفَّ الْفُؤَادُ وَحَقُّهُ يَتَأْسَفُ  
فَارَقْتَ طَابَةَ مَكْرَهًا أَبْغَى الْغَنِيَّ  
هِيَ سَفَرَةٌ سَفَرَتْ بِهَا الْأَيَّامُ عَنْ  
يَاقُومٍ ، إِنَّ الدِّينَ أَصْبَحَ فِي الْوَرَى  
وَيَظْلِمُ فِي نَادِي الْحِجَّا يَتَلَهَّفُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُتَأْسِفُ  
مَكْرُوهٌ عَصْرٌ بَجُوزَهُ لَا يَنْزَفُ  
فَرْدًا غَرِيبًا قَلْبَهُ يُتَخَطَّفُ

الرحلة الثالثة : في عام ١٣٤٦ بعد عودته من رحلة ألبانيا ويوجسلافيا بعام ، استأذن والده بأن يسمح له بالسفر إلى تونس . وأخذ يُلْحُّ عَلَى وَالدِّهِ ، وَالوَالدُّ يُرْجِي وَيُسَوِّفُ ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ مَا طَائِلُ ، فَسُمِحَ لَهُ وَهُوَ يَكْيِي عَلَى فَرَاقِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ مَحْمَلاً بِتَوْصِيَاتٍ مِنْ وَالدِّهِ إِلَى شِيخِ الْإِسْلَامِ فِي تُونسِ الْعَلَمَةِ الشِّيْخِ حَمِيدَةَ بِيرَمَ .

(١) دِيْوَانُ عَمَرِ الْبَرِيِّ ، ص ٥٣ .

إقامةته بتونس : سافر الشيخ عمر إلى تونس ، واحتُفَى به الشيخ حميدة ، واستُبْقاه عنده ، وَهِيَأَ له عملاً في سكرتيرية جامع الزيتونة .

والشيخ عمر رجل اجتماعي له جاذبية فطرية ، ويحسن إدارة المجالس ، فالتفَّ حوله الشباب التونسي ، وأكرموا مشواه ، وغدت له حظوةٌ كبيرةٌ عندهم .

وقد قام بعمله في إدارة الجامعة أحسنَ قيام ، وظهرت كفایته ومقدراته ، وكان مثلاً للموظف المثالى ، فقدرَه رؤساؤه ، وأحبَّه زملاؤه ، وقد زاد حُبُّ أصدقائه فيه كرمَه الفياض ، وخفَّة ظله ، وجمال منطقه ، حتى أصبح منزله ( نادِيَا ) أدبياً اجتماعياً علمياً .

وأحبَّ أصدقاؤه أن يقيِّدوه ببلادهم ، وعلموه أن المرأة هي خير قيد له ؛ لتسكن نفسه وتستقر ، فأجاب وتزوج بزوجته الأولى من آل الوزير ، ولكن لم تطل حياته معها ؛ بسبب تباين العادات ، وتخالف الطباع ، فأبانتها .

ولم يستطع أن يعيش عازِباً ، فزوجَه شيخ الإسلام من إحدى قرياته ، وهي التي عاشت معه إلى أن عاد إلى المدينة المنورة ، ثم فارقته .

وكان الشيخ عمر يقوم في إجازة جامع الزيتونة الصيفية برحلات إلى ولايات تونس ، أو إلى الجزائر ومراكش ، وله في تلك البلاد آثار أدبية

قيمة من شعر المديح والوصف والمعارضات ، وله مقالات في جريدة النديم ، والوزير وغيرهما .

ومن أعظم آثاره العلمية في تونس تأليف كتاب "سيف الحق" في الرد على طاهر الحداد ، وسيأتي الحديث عنه في مؤلفاته .

**رجوعه إلى المدينة المنورة** : مكث الشيخ عمر في تونس تسع سنين ، من عام ١٣٤٥ إلى عام ١٣٥٥ ، وقصد البقاء هناك إلى ما شاء الله ، حتى فوجئ ببرقية وردت إليه من عمه عبد العزيز وابنه عبد الكريم تنتهي إليه والده ، وتطلب إليه العودة بكل سرعة .

وقد أصبحت العائلة في المدينة المنورة في حاجة ماسة إليه ، لاسيما وأنّ وظائف والده إن لم يحضر فست Howell إلى غيره . فعاد إلى المدينة بإجازة شهرين من رؤسائه ، ووصل إلى جدّه ، وذهب إلى مكة فأدّى سنة العمرة ، ولقي سمو الأمير فيصل النائب العام آنذاك ، وألقى أمامه قصيدة مدحه بها<sup>(١)</sup> ، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد هذه الرحلة الطويلة .

**الرحلة الرابعة : إلى الهند** : في عام ١٣٥٦ ، وكان سبب الرحلة للهند أنه حينما عاد من تونس بعد وفاة والده (١٣٥٤) ذهب إلى الهند لإعادة راتب والده من ملك حيدرآباد وملك بهوبال ، ويجعلهما باسمه ،

---

(١) هذه القصيدة في ديوان عمر البري ، ص ١٨٢-١٨٣ .

وقد نظم رحلته بما يقرب من ٤٠٠ بيت من بيت واحد وقافية واحدة ، وقد افتتح هذه الرحلة بقوله :

مِنْ نَفْحَةِ الْخُلْدِ أَوْ مِنْ نَسْمَةِ الْهِنْدِ أَحْيَيْتُ يَارِيْحَ مَيْتَا شَطَّ فِي الْبَعْدِ  
دَخَلْتُ ( بومباي ) مَأْخُوذًا بِرَؤْيَتِهَا كَمَا أَخِذْتُ بِدَاعِيِ الْحَبِّ وَالْوَجْدِ  
ثُمَّ وَصَفَ جَمَالَ الطَّبِيعَةِ فِيهَا ، وَوَصَفَ بَسَاتِينَهَا وَزِرَاعَتَهَا وَطَيُورَهَا  
وَحَيَوانَاتَهَا الْأَلِيفَةِ وَالْمُتَوَحِشَةِ ، وَتَكَلَّمَ عَنْ أَهْلِ الْهِنْدِ وَأَنْواعِهِمْ ،  
وَدِيَانَاتِهِمْ ، وَنِحَلِهِمْ ، وَعَادَاتِهِمْ ، وَعِلْمَائِهِمْ ، وَمُعَاهِدَهِمْ ،  
وَصَنَاعَاتِهِمْ ، كُلَّ ذَلِكَ بِدِقَّةِ فَائِقَةٍ فِي الْوَصْفِ وَالْقَصْصِ .

تلاميذه :

لقد تللمذ على الشيخ عمر بري كثير من الطلاب في حلقاته العلمية في المسجد النبوى الشريف ، وفي ندواته الأدبية ، وفي القسم العالى بمدرسة العلوم الشرعية ، حيث كان يدرس مختلف علوم العربية والشريعة ، من نحو وصرف ، وأدب ، وغروض وبلاغة ، وفقه وفرايض ، وغيرها .

ومن تلاميذه : علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام السابق ، والفريق الطيب التونسي ، وعبد الرحمن صالح ، وعبد الحق العباسي ، و محمد ملا ،

والسيد حبيب محمود أحمد ، والشيخ عمر فلاتة المدرس بالمسجد النبوى الشريف .

مؤلفاته :

١ - " سيف الحق على من لا يرى الحق " : ردّ فيه على كتاب " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " لطاهر بن علي الحداد التونسي (١) (١٣١٧-١٣٥٤) ، الذي ذهب فيه إلى أن الأحكام الدينية الإسلامية ، ولو كانت بطريق النص ، الذي لا يحتمل التأويل ، فهي أحكام وقتية قابلة للتحویر والتنقیح ، بل الإلغاء تماماً تبعاً لتطور العصور ، وقد نال من الجناب النبوى الأكرم ﷺ ومن أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، فقامت الأمة التونسية ضده بالإنكار عليه والرد ، ومن تصدّى له الشيخ عمر بري بكتابه القيم المطبوع في تونس ، بمراجعة الناظرة العلمية ، وبتتوقيع شيخ الإسلام أحمد بيرم ، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

وقد استعرض الشيخ عمر أقوال الحداد وفندّها مستدلاً بالكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح ، ودافع عن الشرع الشريف في أحكام الزواج والطلاق والحدود والرق ، ونظام المواريث ، وأبان خلود أحكام الدين وصلاحها لكل زمان ومكان ، وقام بواجبه الإسلامي خير

---

(١) انظر ترجمته في " تراجم المؤلفين التونسيين " ٢ : ١٠٩-١١٦ .

قيام ، ولم تأخذه في مقالة الحق لومة لائم ، وردَّ على الحداد ردًا محكمًا متيناً من غير أن يسفهه أو يتعدى عليه أو يشتبه به القلم أو يزيل به القول ، ثم ختم كتابه بقصيدة مليئة بالحكم والبيان والوعظ والتذكير.

٢ - " ديوان عمر بن إبراهيم البري " : جمعه ولده عبد الكريم بن إبراهيم بري - رحمه الله - ، وقد نشرت بعض قصائد هذا الديوان في حياة صاحبه في جريدة المدينة المنورة . واعتنى بنشره الدكتور محمد العيد الخطاوي ، وقسم قصائد الديوان إلى مجموعات أربع وهي : " الوجدانيات والإخوانيات ، والتاريخيات ، والغزليات ، والسعوديات " . ولكنه حذف منه بعض القصائد والمقطوعات .

وقدّم للكتاب بلمحة عن الحياة العلمية والثقافية في عصر صاحب الديوان ، ولم يترجم للشاعر سوى بضعة أسطر ، دون أن يستفيد مما كتبه الشاعر الكبير والأديب البلigh الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمة ابن خالته الشيخ عمر بري ، والتي نشرت في مجلة " المنهل " في سلسلة مقالات مفيدة متنوعة<sup>(١)</sup> ، ولم يورد في ديوانه

---

(١) وقد نقلها مع اختصار يسير : أنس كتب في كتابه " أعلام من أرض النبوة " الجزء الأول ص ١٥٠ - ١٦٧ ، دون أن يشير إلى المصدر الذي أخذ منه كعادته في كتابه المذكور !! .

قصيدة الممتعة عن الهند والتي سبقت الإشارة إليها ، ولم يذكر منظومته التي سيأتي الحديث عنها .

٣ - "تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول" في التوحيد ، وهي منظومة علمية نظم فيها "الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وتألف من إحدى وثلاثين ومائة بيت ، في (١٢) صفحة ، وتضمنت هذه المنظومة "الأصول الثلاثة" بأسلوب ممتع ، يسهل حفظها ، ويعين على استحضارها ، ويُعَذِّبُ على الأذن استماعها .

وقد كان أسلوب نظم المتون العلمية شائعاً في ذلك العصر ؛ تسهيلًا للحفظ ، وإمتاعًا للسمع كما يقول العلامة السفاريني الحنفي (ت ١١٨٨) في "الدُّرَّةُ الْمَضِيَّةُ" :

وَصَارَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ      أَنْ يَعْتَنُوا فِي سَبِّرِ ذَا بِالنَّظِيمِ  
لَأَنَّهُ يَسْهُلُ لِلْحِفْظِ كَمَا      يَرُوقُ لِلْسَّمْعِ وَيَشْفِي مِنْ ظَمَّا

وقد اطلعت على هذه المنظومة ضمن مجموع في مكتبة محدث الحرمين الشريفين العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي - رحمه الله تعالى - والمحفوظ جزء يسير من مكتبه في مكتبة الملك عبد العزيز عند زيارتي للمدينة المنورة في ربيع الآخر سنة ١٤١٩هـ . وقد ذُكر

في المنظومة مكان طباعتها في مطبعة المدينة المنورة ، دون ذكر ل التاريخ  
الطبع ، ولا أعلم إذا كان نظمه "تسهيل الحفظ والوصول" قبل تأليف  
شيخه محمد الطيب الأنصاري رسالته "تسهيل الوصول" أم بعده ،  
والتي صدرت طبعتها الأولى في المطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة  
١٣٥١هـ ، لأنهما يشتراكان في الاسم ، أو أنهما صدران معاً في  
وقت واحد .

وقد رأيت خدمة هذا النظم والعناية بضبطه والتعليق عليه ؛  
إحياءً لأثر عالمٍ من كبار علماء المدينة المنورة وأدبائها ، ولارتباط  
المنظومة بترتيب شيخه الطيب الأنصاري للأصول الذي قمت  
بشرحه والتعليق عليه ، وللعلاقة الوثيقة بين التلميذ البري وشيخه  
الأنصاري - رحمهما الله تعالى - .

وفاته :

وبعد حياة حافلة بالعلم والعطاء توفي الشيخ عمر بري في ١٠ شوال  
١٣٧٨ عن تسعه وستين عاماً ، ودُفِنَ في البقع في مدينة خير الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وقد رثاه ابن خالته الأديب الكبير الشاعر محمد سعيد دفتردار في  
أبيات تفيض بالحزن والأسى واللament ، ومن هذه الأبيات<sup>(١)</sup> :

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٠) ، العدد (٤) ، ربيع الآخر ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩ م .

هالوا الترابَ الغَرْقِديَا  
موسَدًا نعشًا سوياً  
كَ كَمَا عَهْدْتَكَ بِي حَفِيَا؟

بَيْنِ وَبَيْنِكَ يَا أَخِي  
سَاجِوْزُهُ يَوْمًا إِلَيْكَ  
فَإِذَا أَتَيْتَكَ هَلْ أَرَا  
إِلَى أَنْ يَقُولْ :

عِي ذَلِكَ اللَّهَبَ الْوَرِيَا  
حَتَّى يَعُودَ بِهِ نَدِيَا  
يُتُكَ يَا أَخِي وَبَقِيَتْ حِيَا  
وَتَذَيِّعَهُ عَطْرًا سَنِيَا  
سَدِكَ نَاضِرًا غَضَّا طَرِيَا  
وَاطَّعَمَ بِهِ وَاَشَرَبَ هَنِيَا

أَبْكِيَكَ لَوْ تَطْفِي دَمَوْ  
أَسْقِيَ بِهِ هَذَا الشَّرِيَا  
مَا ضَرَّنِي لَوْ قَدْ فَدَ  
تَرَوَيْ حَدِيثَ الْمَصْطَفِي  
وَالشِّعْرَ أَيْنَ الشِّعْرَ بِعَـ  
فَانِعَمْ بِأَطْيِبِ مَرْقَدْ

وَمِنْ رَثَاهُ تَلَمِيذهُ الأَسْتَاذُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الطَّيِّبِ الْأَنْصَارِيِّ ، فَقَالَ :  
"رَحْمَكَ اللَّهُ يَارَجُلُ الدِّينِ وَالْلُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، عَرَفْتُ فِيْكَ الرَّجُلَ الضَّلِّيْعَ فِي  
كُلِّ شَيْءٍ ، فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْلُّغَةِ بِفِرْوَعَهَا شِعْرًا وَنَثَرًا .

عَرَفْتُ فِيْكَ الرَّجُلَ الصَّرِيْحَ الَّذِي لَا يَخْفِي مَا فِي قَلْبِهِ ، فَقَدْ كَانَ مَثَالُ  
الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الْوَرِعِ .

رَحْمَكَ اللَّهُ أَيْهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ أَوْلَى مَا عَرَفْتُكَ عِنْدَ  
وَالَّذِي ، عَرَفْتُكَ مِنْ صَوْتِكَ الْمُحَلَّلِ ، عَرَفْتُ فِيْكَ الشَّاعِرَ الَّذِي يَشْبِه  
السَّيْلَ الْمَنْهَرِ ...

رحمك الله يافقيد العلم ، فقد فقدك المسجد النبوى ، وفقد تلاميذك  
 الملازمون لحلقتك روح الأبوة ، وروح المعلم القدير ... رحمك الله أيها  
 الشيخ المهيب ، وطيب ثراك ، وأسكنك فسيح جناته ، وجزاك  
 بالإحسان إحساناً ، وبالبر براً<sup>(١)</sup> .




---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٠) ، العدد (١٠) ، ذو الحجة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م ،  
 بعنوان "علم هوى" وهذه الكلمة تعبر صادق عن وفاة التلميذ لأستاذه ، وعن برّه  
 بتلميذ والده ، وإنّ من البر «صلة الرجل أهل ود أبيه» .



# تسهيل الوصول إلى ثلاثة الأصول

رتبيها

العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري  
الموالدة سنة ١٢٩٦ والوفاة سنة ١٣٦٢  
رحمه الله تعالى

اعتنى بها

محمد بن أحمد دمي

دار البشارة الإسلامية

دار نور المكتبات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقَدِّمَةُ الْمُؤْلِفِ

الحمد لله الذي شهد بألوهيته المؤمنون وأهل السموات ، واعترف بربوبيته جميع المخلوقات ، والصلوة والسلام على من جاء بالتوحيد ، ودعا إليه كل ضعيف وعنيد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المزيد ، أما بعد :

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الباري ، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري : إنه لما عيّنت مدرساً فنَّ التوحيد في مدرسة الإمام عبد العزيز آل سعود أَيَّده اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَقَرَنَهُ بِالتأييد ، في مدينة صاحب المقام المحمود ، وذلك بأمر رئيس القضاة ، وزعيم الدعوة ، الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ - حفظه الله - .

كان أول ما اشتغلت بتعلمه كتاب صَفْرٌ حَجَّمًا ، وَغَزَّرْ حَكْمَةً وَعِلْمًا ، تأليف مُجَدِّدُ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَوَّلِ ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أَحْرَلَ اللَّهُ لِهِ الْمُثُوبَةَ ، وَأَحْسَنَ لِهِ الْمَآبَ .

فرتبتها على السؤال والجواب ؛ تسهيلاً على ضعفة الطلاب ، ولأشارك مؤلفها في الأجر ، ولو بأضعف الأسباب ، فسميتها " تسهيل الوصول إلى ثلاثة الأصول " .

وَاللَّهُ أَمَّا مَوْلَانَا فِي إِسْعَافِ بَغَايَةِ السُّوْلِ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

## المسائل الأربع

س ١ - ما المسائل الأربع التي يجب على كل إنسان تعلّمها ؟

(الأولى) : العلم ، وهو : معرفة الله ، ومعرفة نبيّه ، ومعرفة دين  
الإسلام بالأدلة<sup>(١)</sup> .

(الثانية) : العمل بهذا العلم<sup>(٢)</sup> .

---

(١) وهذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ، والتي سيأتي تفصيلها  
في هذا الكتاب .

(٢) وهذا ما يدل عليه قوله تعالى في سورة العصر : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي  
خُسْرٍ إِلَّاَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فلا بد مع التصديق والمعرفة من  
الإذعان والانقياد والطاعة ، ولذلك نجد من أسلوب القرآن أنه لا يذكر الإيمان  
إلاً ويقرنه بالعمل الصالح .

ولكن الطريق إلى العمل الصالح هو العلم ، وكل من عمل بلا علم فإنه يضلُّ  
كما ضلَّت النصارى ، كما أنه إذا علم ولم ي عمل صار من أهل الغضب  
كاليهود . ولا بد أن يكون العمل صالحاً ، ولا يكون صالحاً ما لم يكن موافقاً  
لشرع الله تعالى وحالصاً من الشرك .

(الثالثة) : الدعوة إليه<sup>(١)</sup>.

(الرابعة) : الصبر على الأذى فيه<sup>(٢)</sup>.

س٢ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾ ، وهو الدعوة إلى الدين الحق ، فأهل النجاة والفوز من الخسران بعد أن عرفوا الحق وعملوا به ، عليهم أن يبلغوه غيرهم دعوة وتعلينا وإرشادا ، كما قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وكلمة ﴿تَوَاصُوا﴾ تقرر أن على المسلمين أن يتعاونوا ويتعاونوا ، فيتوصوا بالحق فيما بينهم ، ويدعوا إليه غيرهم .

(٢) وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ فلابد من الصبر على الدعوة إلى الله ، وما يلقاه الداعية من أذى وعنت وإساعه ، كما قال سبحانه : ﴿وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧] .

قال ابن القيم في "طريق المجرتين" ص ٦٠٥ : "والإيمان التام يستلزم العلم والعمل والدعوة إلى الله بالتعليم والصبر عليه" انتهى .

## وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ ﴿١﴾ [سورة العصر ، الآيات : ٣-١]

(١) يُقسم الله سُبْحَانَهُ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ الدَّهْرُ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى عُمُرٍ كُلِّ ذِي عُمُرٍ، وَجَوَابُ الْقَسْمِ : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أَيْ : لَفِي خُسْرٍ لِعُمُرِهِ الْمَطْوِيِّ فِي الْعَصْرِ، وَإِنَّ رَأْسَ مَالِ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَعُوْضُ إِذَا فَاتَهُ هُوَ عُمُرُهُ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخَسَارَاتِ هِيَ خَسَارَةُ الْإِنْسَانِ عُمْرَهُ، وَلَمْ يَسْلُمْ مِنْ تِلْكَ الْخَسَارَةِ الْكَبِيرِ، وَذَلِكَ الْحَكْمُ الْعَامُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَهُمُ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْأَرْبَعَةِ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ ، فَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْأَرْكَانِ الْسَّتَّةِ ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَيَأْتِيُ عَلَى رَأْسِهِ الْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَقَدْ أَدْرَكَ طَرِيقَ النَّجَاهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَسْرَانِ .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةُ أَنْ يُوصَيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ ، وَبِدُعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ﴾ وَيُوصَيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّيْرِ عَلَى الطَّاعَاتِ ، وَالصَّيْرُ عَنِ الْمُحْرَمَاتِ ، وَالصَّيْرُ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمُصَابِّ ، وَتَحْمِلُ الأَذْى فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالثَّبَاتُ عَلَى ذَلِكَ .

قال الإمام ابن القيم في "مدارج السالكين" ١ : ٦ : " فَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَهُمَا الْهَدِيَّ وَدِينُ الْحَقِّ ، وَبِتَكْمِيلِهِ لِغَيْرِهِ فِي هَذِينِ الْأَمْرَيْنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ . أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ خَاسِرٌ إِلَّا مِنْ كَمْلَ قُوَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْإِيمَانِ ، وَقُوَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَكَمْلَ غَيْرِهِ بِالتَّوْصِيَّةِ بِالْحَقِّ وَالصَّيْرِ عَلَيْهِ . فَالْحَقُّ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ ، وَلَا يَتَمَانَ إِلَّا بِالصَّيْرِ عَلَيْهِمَا ، وَالْتَّوَاصِي بِهِمَا ، كَانَ حَقِيقًا بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَنْفُقْ سَاعَاتَ عُمُرِهِ ، بَلْ أَنْفَاسَهُ ، فِيمَا يَنَالُ بِهِ الْمَطَالِبُ الْعَالِيَّةُ ، وَيَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْخَسْرَانِ الْمُبِينِ " انتهى .

س٣ - ما الذي قاله الشافعى في هذه السورة ؟

قال : "لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم" <sup>(١)</sup>.

س٤ - هل القول والعمل قبل العلم أو العلم قبلهما ؟

العلم قبلهما ، بدليل قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> [من سورة محمد ، الآية : ١٩] :

(١) ولذلك أتَخَذَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ هَذِهِ السُّورَةَ شِعَارًا لَّهُمْ ، يَذَكُّرُ بَعْضُهُمْ بِهَا ، فَعَنْ أَبِي مَدِينَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حِصْنِ الدَّارِمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ الرِّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ هَذِهِ إِذَا تَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا عَنِ الْأَنْتَرِيَةِ أَنْ يَقْرَأَا أَحَدَهُمَا عَنِ الْأَخْرَى سُورَةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِهِمَا ، ثُمَّ يَسْلِمُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شَعْبِ الْإِيمَانِ" فِي الشَّعْبَةِ الثَّانِيَةِ وَالسَّيِّنِ .

(٢) الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ هَذِهِ وَيُشَمَّلُ أَمْتَهُ ، وَأَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ بِالْاسْتِغْفَارِ مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ لَتَسْتَنِّ بِهِ أَمْتَهُ ، وَلِيَقْتَدُوا بِهِ فِي ذَلِكَ ، رَوَى مُسْلِمٌ (٢٧٠٢) عَنِ الْأَعْغَرِ الْمُزَنِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ يَقُولُ : (( تَوَبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتُوَبُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مائِةً مَرَّةً فِي الْيَوْمِ )) .

وروى البخاري (٥٩٤٨) عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله هذِهِ يقول : (( وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوَبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً )) .  
وَسَبْبُ اسْتِغْفَارِهِ هَذِهِ : تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَإِظْهَارُ الْاِفْتَقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَالشُّكْرُ لِهِ سُبْحَانَهُ ، كَمَا قَالَ هَذِهِ : (( أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا )) .

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل<sup>(١)</sup>.

---

(١) حيث قال : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِالْعَمَلِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَرْتَبَةَ الْعِلْمِ مَقْدَمَةٌ عَلَى مَرْتَبَةِ الْعَمَلِ . فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعَلَا أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَهُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ بِسَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ إِلَّا لِكَيْ نَعْرِفَهُ سُبْحَانَهُ ، وَنَعْبُدُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مُثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بِيَنْهِنَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] .

وَالآيَاتُ الْتِي فِيهَا الْأَمْرُ بِالْعِلْمِ لِلْفَرْدِ : ﴿أَعْلَمُ﴾ أَوِ الْجَمَاعَةُ : ﴿أَعْلَمُوا﴾ تُبَيَّنُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ هُوَ التَّوْحِيدُ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ كَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ ، وَكَذَلِكَ لِقَاؤُهُ وَأَنَا إِلَيْهِ مَحْشُورُونَ .

وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذَا الْلَّفْظِ ﴿أَعْلَمُوا﴾ فِي سَبْعٍ وَعِشْرِينَ آيَةً ، كُلُّهَا تَتَعَلَّقُ بِكَمَالِ الإِلَهِيَّةِ وَصِفَاتِهَا ، أَوِ التَّذْكِيرُ بِالْحَسْرِ وَمَلَاقَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَمَعِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ الْمُتَقِينَ ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الْحَجَرَاتُ : ٧] .

بَيْنَمَا تَوْجَدُ آيَةً وَاحِدَةً تَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الْأَنْفَالُ : ٤١] ، مِمَّا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْعَقَائِدَ مَقْدَمَةٌ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَأَنَّ الْأَصْوَلَ مَقْدَمَةٌ عَلَى الْفَرْوَعِ .

قاله البخاري<sup>(١)</sup>.



= قال الحافظ ابن رجب في "شرح حديث أبي الدرداء" ص : ٤١ : "فأفضلُ العلم : العلمُ بِاللهِ، وهو العلمُ بِاسمائهِ وصفاتهِ وفعالهِ الْتِي توجِّبُ لصَاحِبِها معرفةُ اللهِ وخشيةُهُ ومحبتهُ وحبيبةُهُ وإجلالهُ وعظمتهُ، والتَّبَّلُ إِلَيْهِ، والتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، والصَّبَرُ وَالرِّضَا عَنْهُ، وَالاشْتِغَالُ بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ : الْعِلْمُ بِمَلَائِكَتِهِ وَكَتَبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ بِأَوْامِرِ اللهِ وَنُوَاهِيهِ وَشَرائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَمَا يَجُبُهُ مِنْ عِبَادَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَا يَكْرَهُهُ مِنْ عِبَادَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ" انتهى.

(١) كتابُ العلم ١ : ١٩٢ ، بابُ العلم قبل العمل.

## المسائل الثلاثة

س٥ - ما المسائل الثلاثة التي يجب تعلّمها والعمل بها؟

(الأول) : أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَتَرَكْنَا هَمَّاً<sup>(١)</sup> ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أي : مهملين ، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِزَّةِ﴾

[المؤمنون : ١١٥-١١٦].

وقال سبحانه : ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَرَكَ سُدَّى﴾ [القيمة : ٣٦] . أي : أيظن أن يُترك مهملاً فلا يُكلّف ولا يُجزى !!

(٢) لأن طاعته طاعة الله سبحانه : ﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] ، وهي سبب دخول الجنة : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء : ١٣] ، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور : ٥٢] ، كما أن معصيته معصية لله سبحانه ، وهي سبب دخول النار - والعياذ بالله - : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء : ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن : ٢٣] .

روى البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام (٦٨٥٢) من حديث حابر بن عبد الله قال : (( جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ، فقالوا : -

## س ٦ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيَلًا ﴾<sup>(١)</sup>

[من سورة المزمل : ١٥-١٦].

(الثانية) : أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ ، لَا مَلَكٌ مُقْرَبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

=إِنَّ لِصَاحْبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا ، فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمُثُلَ رَجُلٍ بْنِ دَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدَبَةً ، وَبَعْثَ دَاعِيًّا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِي دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدَبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ الدَّاعِي لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدَبَةِ ... فَالدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ ) أَيْ : يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ أَيْ : بِالتَّبْلِيغِ وَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ ، وَكُفُرِ مَنْ كَفَرَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَخْذَنَاهُ ﴾ أَيْ : فِرْعَوْنٌ ﴿ أَخْذًا وَبِيَلًا ﴾ أَيْ : شَدِيدًا ثَقِيلًا ، وَذَلِكَ بِإِغْرِاقِهِ وَجُنُودِهِ فِي الْبَحْرِ ، فَلَمْ يَفْلُتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ . وَإِنَّمَا خَصَّ مُوسَى وَفَرْعَوْنَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَمَمِ وَالرَّسُولِ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ آذَاهُ أَهْلَ مَكَّةَ وَاسْتَخْفَوْهُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ وَلَدٌ فِيهِمْ ، كَمَا أَنَّ فَرْعَوْنَ ازْدَرَى مُوسَى وَآذَاهُ لِأَنَّهُ رَبُّهُ ؛ وَلِأَنَّهُ خَبَرَ مُوسَى وَفَرْعَوْنَ كَانَ مُنْتَشِرًا بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جِيرَانَ الْيَهُودِ (الْخَازِنُ وَالنَّسْفِيُّ ٤ : ٣٢٣) .

## س ٧ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فِلَّا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(١)</sup>

[من سورة الجن ، الآية : ١٨] .

(الثالثة) : أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحْدَ اللَّهِ لَا يُحُوزُ لَهُ مُوَالَةً  
مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبًا<sup>(٣)</sup> .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ ﴾ يعني الموضع التي نُبَيَّنَتْ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِصُوا الدُّعَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ بِقَاعَ الْأَرْضِ كُلُّهَا ؟ لَأَنَّ الْأَرْضَ كُلُّهَا جَعَلَتْ مَسْجِدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَقِيلَ : الْمَسَاجِدُ أَعْضُاءُ السَّجْدَةِ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا إِلَهُانْسَانٌ ، فَهَذِهِ الْأَعْضُاءُ مُخْلُوقَةُ اللَّهِ فَلَا تَسْجُدُوا عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ .

(٢) أي : خالَفُهُمَا وَعَادَاهُمَا . والحادَّةُ : المُعَادَةُ وَالْمُخَالَفَةُ وَالْمُحَانَّةُ ، وَهِيَ مُفَاعَلَةُ مِنَ الْحَادَّ ، وَأَصْلُ الْحَادَّ : الْمُنْعِنُ وَالْفَصْلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ . يَقَالُ : حَادَ فَلَانَ فَلَانًا إِذَا صَارَ فِي غَيْرِ حَادَّهُ ، وَخَالَفَهُ فِي أَمْرِهِ .

(٣) أي : وَلَوْ كَانَ مِنْ حَادَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ابْنُكَ أَوْ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ أَوْ عَشِيرَتَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَطَعَ التَّوَاصِلَ وَالْتَّوَادِدَ وَالْتَّوَارِثَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْعَلَائِقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ ، فَإِنَّ الْقَرْبَ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ قَرْبُ الدِّينِ لَا قَرْبُ النَّسْبِ ، فَالْمُسْلِمُ وَلَوْ كَانَ بَعِيدُ الدَّارِ فَهُوَ أَخْوَكَ فِي اللَّهِ ، وَالْكَافِرُ وَلَوْ كَانَ أَخَاكَ فِي النَّسْبِ فَهُوَ عَدُوَكَ فِي الدِّينِ ، وَحَرَامُ عَلَى الْمُسْلِمِ مُوَالَاتِهِمْ ، بَلْ يُحَبُّ اتَّخِذُهُمْ أَعْدَاءً وَبَغْضَاءً . ( حاشية ابن قاسم ص ٢٤ ) .

## س ٨ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة المجادلة ، الآية : ٢٢] .

## س ٩ - ما الحنيفية مِلْهَةُ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٢)</sup>؟

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهُ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لِهِ الدِّينَ ، وَبِذَلِكَ أَمْرَ اللَّهُ جَمِيعَ

(١) أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ يُفْسِدُ بِمُوَادَّةِ الْكَافِرِينَ ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَا يَوَالِي مَنْ كَفَرَ ، لَأَنَّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ امْتَنَعَ أَنْ يَحْبُّ عَدُوَّهُمَا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بِالْغَنَّ في الرَّجْرِ عن مُوادِهِمْ وَالْمَلِيلِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوْ لِئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ أَيِّ : أَثْبَتَ التَّصْدِيقَ في قُلُوبِهِمْ فَهِيَ مُؤْمِنَةٌ مُخْلِصَةٌ ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أَيِّ : قَوَّاهُمْ بِنَصْرِهِ ، وَقِيلَ : الْمَرَادُ بِالرُّوحِ : الْقُرْآنُ ، أَوْ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) الْحَنَفُ : هُوَ مَيْلٌ عنِ الْضَّلَالِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ ، وَالْحَنِيفُ : جَمْعُهُ حُنَفَاءُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْحَنِيفُ الْمَأْلِلُ عَنِ الْأَدِيَانِ كُلُّهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ . وَالْعَرَبُ تُسَمَّى كُلُّ مِنْ حَجَّ وَأَخْتَنَ حَنِيفًا عَلَى أَنَّهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ، فَالْحَنِيفَةُ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَا الْمَلَلُ فَإِنَّهَا الدِّينُ ، وَجَمِيعُهَا الْمَلَلُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بِلْ مِلْهَةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الْبَقْرَةُ : ١٣٥] .

الناس<sup>(١)</sup> و خلقَهُمْ لَهَا<sup>(٢)</sup> .

(١) قالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُنَفَاءٌ ﴾

[البِيْتَ : ٥] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٥] . وإنما قال سبحانه : ﴿ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ؛ لأنَّ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِيلَ كَانَ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَلَا نَهَا كَانَ مَقْبُولاً عِنْدَ جَمِيعِ الْأَمْمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ يَفْتَحُونَ بِالْأَنْتَسَابِ إِلَيْهِ ، وَكَذَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، وَأَنَّ شَرْعَهُ كَانَ مَقْبُولاً عِنْدَ الْأَمْمِ ، وَأَنَّ شَرْعَ مُحَمَّدَ وَمَلْتَهُ هُوَ شَرْعُ إِبْرَاهِيمَ وَمَلْتَهُ ، لَزَمَ الْخَلْقَ الدُّخُولَ فِي الدِّينِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَقَبُولُ شَرْعِهِ .

(٢) فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ لِلابْتِلَاءِ وَالْأَمْتَحَانِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الْمُلْكُ : ٢] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الْكَهْفُ : ٧] . وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ .

قال الإمام الشافعي : خلق الله لعبادته ، يعني ما شاء من عباده ، أو ليأمر من شاء منهم بعبادته ، وبهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (سنن البيهقي الكبرى ٩: ٣) . وقال الإمام أبو عمرو الداني في "الرسالة الواقية" ص ٦٧ : "وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنَ ﴾ الْخُصُوصُ ، يَرِيدُ بَعْضَهُمْ ، وَهُمُ الَّذِينَ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ ؛ لَأَنَّهُ قَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنِ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، وَمِنْ ذَرَأْهُ لِجَهَنَّمَ لَمْ يَخْلُقْهُ لِعِبَادَتِهِ . وَقَالَ مُحَمَّدٌ : مَعْنَى ﴿ لِيَعْبُدُوْنَ ﴾ : لِيَعْرُفُوْنَ . أَيْ : لِيَعْرُفُوْنَ أَنَّهُمْ خَالِقًا رَازِقًا" انتهى .

س ١٠ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

[الذاريات : ٥٦]

س ١١ - ما معنى يعبدون؟

يُوَحِّدُونِي<sup>(٢)</sup> ، (وَأَمْرُهُمْ وَأَنْهَاهُم)<sup>(٣)</sup> .

س ١٢ - ما هو أعظم شيء أمر الله به؟

التوحيد .

س ١٣ - ما هو التوحيد؟

هو إفراد الله بالعبادة ، (وَإِثْبَاتُ اتّصافِهِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ،

وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ، وَتَنْزِيهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْحَدَوْثِ وَمَشَابِهِ

الْمَخْلُوقَاتِ)<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أي : لم أخلق الثقلين إلا مُهِيئَين لِعِبَادَتِي بما رَكَبْتُ فيهم من العقول والحواس

والقوى ، فهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها ، فذَكْرُهم بوجودي

وتوحيدي وعبادتي ، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي

وعبدني وَحْدِي ، ومن عاند استعداده وفطرته واتَّبع هواه ، سلك غير سبيل

المؤمنين ( صفة البيان ، للشيخ حسين مخلوف ص : ٦٦٩ ) .

(٢) قال ابن عباس : كل موضع في القرآن ( اعبدوا الله ) فمعناه : وَحَدُّوا الله .

(٣) زيادة من نسخة المؤلف .

س٤ - ما هو أعظم شيء نهى الله عنه ؟  
الشرك .

س٥ - ما هو الشرك ؟

دُعْوَةُ غَيْرِ اللَّهِ مَعَهُ ، (وَأَنْ تَجْعَلَ اللَّهَ نِدًّا فِي الْعِبَادَةِ وَهُوَ خَلْقُكَ) <sup>(١)</sup> .

(١) زيادة من نسخة المؤلف . ويؤيدها ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٤٢٠٧) عن عبد الله بن مسعود قال : سألت النبي ﷺ : أي : الذنب أعظم عند الله ؟ قال : ((أن تجعل الله ندًا وهو خلقك )) .

والشرك نوعان : شرك أكبر ، وهو التحاذ شريك مع الله تعالى في إلهيته أو عبادته ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾ [لقمان : ١٣] .  
وشرك أصغر : وهو الشرك العملي ، كالرياء في العبادات والسمعة ، وطلب الحمد ، وعدم الإخلاص فيها ؛ لأن يتغى فيها عرض الدنيا ، ويسمى الشرك الخفي ، ويسمى النوع الأول : الشرك الجلي .

قال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشَرِّكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف : ١١٠] . فلا يقبل الله تعالى عملاً إلا إذا كان صالحًا ، ولا يكون العمل صالحًا إلا بمتابعة رسول الله ﷺ ، وإخلاص صاحب العمل لله ﷺ .

روى الإمام أحمد ٥ : ٢٤٨ عن محمود بن لبيد رض أن رسول الله ﷺ قال : ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخْفَى عَلَيْكُمُ الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ)) قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : ((الرياء ، يقول الله تعالى للمرائين يوم القيمة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذي كتمت تراوون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً )) .

## س ٦ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾<sup>(١)</sup> [من

سورة النساء ، الآية : ٣٦] ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا ﴾<sup>(٢)</sup> [من سورة

البقرة ، الآية : ٢٢] .

(١) قوله سبحانه ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ يعني وَحْدَوه وأطیعوه ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ وأخلصوا له في العبادة ، ولا يجعلوا له في الربوبية والإلهية شريكًا ؛ لأن من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد أشرك به ، ولا يكون مخلصا (الخازن ٤ : ٢٤٧) .

روى البخاري (٦٥٠٠) ومسلم (٣٠) عن معاذ بن جبل قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال : (( يامعاذ ! هل تدری ما حق الله على عباده ؟ وما حق العباد على الله ؟ )) ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (( فإنَّ حقَ الله على العباد أَنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحقَ العباد على الله أَنْ لا يعذب من لا يشرك به شيئاً )) .

(٢) قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا ﴾ أي : اعبدوا ربكم فلا يجعلوا له أندادا ؛ لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وألا يجعل الله نِدًّا ولا شريك . والنِدُّ : المِثْل ، ولا يقال إلا للْمِثْلِ الْمُخَالِفُ الْمَنَاوِي (النسفي ١ : ٣٢) .

## الأصول الثلاثة

س ١٧ - ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

معرفة العبد ربّه ، ودينه ، ونبيه محمدًا ﷺ .

الأصل الأول : معرفة<sup>(١)</sup> الرب سُبحانه وتعالى

س ١٨ - من ربّك ؟

ربّي الله الذي ربّاني وربّي جميع العالمين بنعمته<sup>(٢)</sup> ، وهو معبودي ، ليس لي معبود سواه<sup>(٣)</sup> .

(١) المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره ، وهو أحسن من العلم . ويعضده : الإنكار . ويقال : فلان يعرف الله - ولا يقال : يعلم الله - متعدياً إلى مفعول واحد ؛ لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته . ويقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لما كانت المعرفة تستعمل في القاصر المتوصّل إليه بتفكير . "المفردات" ص ٥٦ .

(٢) ونعمه سبحانه لا تُحصى ، منها الظاهرة والباطنة ، والنفسية والآفاقية ، والخاصة والعامة ، والماضية والآتية ، قال تعالى : ﴿وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كُفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

(٣) كما أنه سبحانه المنفرد بالخلق والرِّزْق والتَّدْبِير ، فهو وحده المستحق بأن يعبد وحده دون سواه .

## س ١٩ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، وكل من سوى الله عالم ، وأنا واحد من ذلك العالم .

---

(١) العالمين جمع عالم ، على وزن فاعل ، وهو ما يعلم به الله خالقه ، كما تقول : خاتم ، وطابع ، على وزن فاعل ، أي : ما يختتم به الشيء ، وما يطبع على الشيء ، فالعالم هو ما يعلم به ربُّه الذي خلقه .

وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه دليل على كثرة العوالم وعظمتها ، فالعالم كثيرة لا يعلم عددها إلا الله تعالى الذي خلقها ، منها : نفسية ، ومنها : آفاقية ، ومن ذلك : عالم السموات ، وعالم الأرضين ، وعالم الكواكب . ومنها غيبية ، فمن ذلك : عالم العرش ، وعالم الكرسي ، وعالم القلم ، وعالم اللوح ، وعالم الأرواح بأنواعها ، ومنها : عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وغير ذلك من العوالم التي لا يعلمها إلا الله .

قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وجميع العوالم مفتقرة إلى ربها ، لأنها مربوبة مخلوقة ، والرب سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عما سواه ، فما أشد فقر العالم إلى ربه ، وما أعظم غناه سُبْحَانَهُ ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر : ١٥] .

## س ٢٠ - بِمَ عَرَفْتَ رَبّكَ؟

عْرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلوقَاتِهِ<sup>(١)</sup> ، وَمِنْهَا : الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ ، وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ ، وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا .

## س ٢١ - مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> [مِنْ سُورَةِ فَصْلِتْ ، الْآيَةِ : ٣٧] .

---

(١) لأن هذه المخلوقات شاهدة على قدرة الله وحكمته وعلمه الحيط بكل شيء، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِهِ ؟ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، صَغِيرٌ أَمْ كَبِيرٌ، دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ خَالقِهِ، وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، وَسَعَةِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ . قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ أي : وَمِنْ دَلَائِلِ قَدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الدَّالِلَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ﴿ الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾ فِي تَعَاقِبِهِمَا عَلَى حِدُّ مَعْلُومٍ، وَتَنَاؤُبِهِمَا عَلَى قَدْرٍ مَقْسُومٍ ﴿ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ ﴾ فِي اخْتِصَاصِهِمَا بِسَيِّرٍ مَقْدُرٍ وَنُورٍ مُّقْرَرٍ ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لِأَنَّهُمَا مَخْلوقَانِ مَسْخَرَانِ ، فَلَا يَنْبَغِي السُّجُودُ لَهُمَا ، لِأَنَّ السُّجُودَ هُوَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ -

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثِيَا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الأعراف ، الآية : ٥٤].

= فالمستحق للسجود والتعظيم هو الله سبحانه خالق الليل والنهار ، والشمس والقمر ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ يعني : أنَّ ناساً كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم للكواكب ، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى ، فنُهُوا عن هذه الواسطة ، وأمرووا أن يقصدوا بسجودهم وجهَ الله تعالى خالصاً إن كانوا إِيَّاهُ يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين ، فإِنَّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَّهُ (النسفي ٤ : ٨٦-٨٧).

(١) قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ ﴾ يعني : إنَّ خالفكُم وسِيدُكُم وَمَالِكُمْ وَمُصْلِحُ أَمْرِكُمْ وَمُرِيِّكُمْ هو الله ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي : أَبْدَعَهُمَا وَأَنْشَأَ خَلْقَهُمَا عَلَى غَيْرِ مَثَلٍ سَبِقَ ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ في مقدار ستة أيامٍ من أيام الدنيا ، والله عَزَّ وَجَلَّ قادرٌ على أن يخلق جميعَ الخلقِ في لحظة واحدةٍ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر : ٥٠] إِلَّا أَنَّهُ سبحانه جعل لكل شيءٍ حدًّا محدوداً ، ووقتاً معلوماً ، فلا يدخل في الوجود إِلَّا في ذلكَ الوقت المعلوم . والمقصود من ذلك : تعليم عباده التثبت والتأني في الأمور ، ولأن إنشاء شيءٍ بعد شيءٍ أَدَلُّ على عالمٍ مدبرٍ مريد ، يصرفه على اختياره ويُحرِّيه على مشيئته .

الرَّبُّ : هو السَّيِّدُ ، المَالِكُ ، الْمُوجِدُ مِنَ الْعَدْمِ إِلَى الْوَجْهِ ،

= ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ . قَالَ الْإِمَامُ الْقَرَاطِسِيُّ ٧ : ٢١٩ : "وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلْفِ الصَّالِحِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً ، وَخَصَّ عَرْشَهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ خَلْقَاتِهِ ، وَإِنَّمَا جَهَلُوا كَيْفِيَّةَ الْاسْتَوَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ . قَالَ مَالِكٌ رَحْمَهُ اللَّهُ : الْاسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ - يَعْنِي فِي الْلُّغَةِ - وَالْكِيفُ بِمَهْوَلٍ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ . وَكَذَا قَالَ أَمْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا" اَنْتَهَى .

﴿يَغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يَأْتِي بِاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ فَيَغْطِيهِ وَيَلْبِسُهُ حَتَّى يَذَهَّبَ بِنُورِهِ ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثِيَا﴾ يَعْنِي سَرِيعًا حَتَّى يَدْرِكَهُ ﴿وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخُرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أَيْ : مَذَلَّلَاتٍ لِإِرَادَةِ الْمَدِيرِ لَهُنَّ ، وَأَفْرَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِالذِّكْرِ ثُمَّ عَطْفَ عَلَيْهِمَا ذِكْرُ النَّجُومِ لِبِيَانِ شَرْفِهِمَا عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْضِيَاءِ وَالنُّورِ ، وَسِيرِهِمَا فِي الْمَنَازِلِ لِتَعْرِفَ الْأَوْقَاتِ .

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ ، وَلَهُ أَنْ يَأْمُرَ فِيهِمْ بِمَا أَرَادَ ، وَلَهُ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تَمْجِيدًا وَتَعْظِيْمًا وَتَقْدِيسًا ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ وَدَامَ بِرُّهُ ، وَأَصْلَلَ الْبَرَكَةَ : الْثَّبُوتَ ، وَيَقَالُ : تَبَارَكَ اللَّهُ ، وَلَا يَقَالُ : مُتَبَارَكٌ وَلَا مُبَارَكٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِهِ التَّوْقِيفُ .

(١) فِي الْمُطَبَّعِ : مَا هُوَ الرَّبُّ ؟ ، وَهُوَ سُؤَالٌ غَيْرُ سَدِيدٍ ، وَأَبْدَلَتْهُ بِمَا يَوْافِقُ الْجَوابَ بَعْدَهُ .

وهو المستحق للعبادة<sup>(١)</sup>.

## س ٢٣ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(١) اسم الرب يُطلق على معانٍ : فقد يُراد به الخالق ، وهذا هو الله تعالى وحده فلا يُراد به غيره .

وقد يُراد به المالك ، فإذا وُصف به العبد وجَبَ تقييده ، فتقول : ربُ الدار ، أي : مالكها .

وقد يُراد به السيد ، قال تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بِالنِّسْوَةِ الْلَّاتِي قَطْعَنَ أَيْدِيهِنَّ ﴾ [يوسف : ٥٠] أي : ارجع إلى سيدك .

وقد يُراد به المربّي ، فيقال : فلان ربُ العائلة ، ففي جميع ذلك إذا وصف به العبد يجب تقييده .

فإطلاق اسم الرب هذا خاص بالله تعالى ، فإنه سبحانه هو الرب المطلق ، كما جاء في سنن أبي داود (١٥٠٨) من حديث زيد بن أرقم أنَّ النبي ﷺ كان يدعوا في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةً : "اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعَبَادَ كُلُّهُمْ إِخْرَوْهُ.." فأطلق اسم الرب على الله تعالى وحده ، ومن هنا تعلم أنَّ اسمَ الربَّ بالإطلاق لا يُطلق إِلَّا على الله رب العالمين .

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ  
الثُّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ <sup>(١)</sup> [من سورة البقرة ، الآيات : ٢١-٢٢].

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿أَعْبَدُوا رَبَّكُم﴾ قال ابن عباس : وَحْدَوْا رَبَّكُمْ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ ، فَمَعْنَاهُ التَّوْحِيدُ ﴿الَّذِي خَلَقَكُم﴾ أي : ابْتَدَعَ خَلْقَكُمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَقَى وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾ أي : وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ أي : لَكِي تَصِيرُوا فِي سُرِّ وَوْقَايَةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ  
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ أي : خَلَقَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا مُذَلَّلًا  
تَقْعُدُونَ عَلَيْهَا وَتَنَامُونَ وَتَقْلِبُونَ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ أي : سَقَفًا مَرْفُوعًا ، فَإِذَا تَفَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي الْعَالَمِ وَجَدَهُ كَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، فِيهِ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛  
فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةُ كَالسَّقْفِ ، وَالْأَرْضُ مَفْرُوشَةُ كَالْبَسَاطِ ، وَالنَّجُومُ كَالْمَصَابِيحِ ،  
وَالْإِنْسَانُ كَمَالِ الْبَيْتِ ، وَفِيهِ ضَرُوبُ النَّبَاتِ الْمَهِيَّأةِ لِمَنَافِعِهِ ، وَأَصْنَافِ  
الْحَيَّانَاتِ الْمَصْرُوفَةِ لِمَصَالِحِهِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْخَرِ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ  
عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدُهُ وَشَكْرُهُ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ : ٦١ : " وَهَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ...﴾ دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَقَدْ  
اسْتَدَلَّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَالرَّازِيِّ وَغَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ الصَّانِعِ تَعَالَى ، =

فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

## س ٢٤ - ما هي العبادة ؟

العبادة هي غاية الخضوع والتذلل ، وغاية الحب والتتعلق لمن فُعلَ له ذلك<sup>(١)</sup> .

وهي دالة على ذلك بطريق الأولى ، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبعها ومنافعها ووضعها في موضع النفع بها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سُئل : ما الدليل على وجود ربٍ تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله ، إنَّ الْبَعْرَ لِيَدِلُ عَلَى الْبَعْرِ ، وإنَّ أَثْرَ الْأَقْدَامِ لِيَدِلُ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضُ ذَاتِ فِجَاجٍ ، وَبِحَارُ ذَاتِ أَمْوَاجٍ ، أَلَا يَدِلُ ذَلِكُ عَلَى الْلَّطِيفِ الْخَبِيرِ ؟ " انتهى .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَاداً﴾ يعني أمثلاً تعبدونهم كعبادته ، والنَّدُّ : المِثْلُ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ هذه الأوثان التي تعبدونها ، والآلهة التي اخْدَمْتُوهَا لَا تَنْفَعُكُمْ وَلَا تَضُرُّكُمْ ، بل هي عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرُّبَ مِثْلُ فَاسْتَعِمُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِدُوهُ مِنْهُ ، ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [سورة الحج : ٧٣] .

(١) فال العبادة في الشرع خضوع وحب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "العبودية" ص : ٤٤ : " ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له ، لم يكن عابداً له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، وهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله =

( وعبارة أخرى : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى  
من الأعمال الظاهرة والباطنة )<sup>(١)</sup>.

س ٢٥ - كم أنواع العبادة التي أمر الله بها ؟  
كثيرة منها<sup>(٢)</sup> : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والدعاء ،

= أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل  
لا يستحق المحبة والخصوص التام إلا الله ، وكل ما أحب لغير الله فمحبته  
 fasde ، وما عظيم بغير أمر الله فتعظيمه باطل " انتهى .  
فال العبادة هي قيام العبد بما أمره الله تعالى به من أعمال وأقوال ، يقوم بها العبد  
حباً وتذللًا وتقرباً إلى الله سبحانه ، مستشعراً عبوديته لرب العالمين .

(١) العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٣٨ ، ولم يرد هذا التعريف في  
الأصول " .

(٢) ذكر المؤلف سبعة عشر نوعاً من أنواع العبادات ، أما الثلاثة الأولى : الإسلام ،  
والإيمان ، والإحسان ، فسيفرد الحديث عنها في مراتب الدين ، وأما الأنواع  
الآخرى ، فسيورد الأدلة عليها في هذا الفصل .

و المرجع هذه الأنواع يقوم على أساس ثلاثة : ١ - عبادة قلبية ، ٢ - عملية ،  
٣ - وقولية .

١ - عبادة القلب هي : اعتقاده الجازم ، وشهوده بأنه لا إله إلا الله ، ولا رب  
سواء ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، والتصديق الجازم بالأركان الإيمانية الستة .  
٢ - عبادة الأعمال هي : تأدية الأعمال التي أمر الله بها ، والانتهاء عما نهى الله  
عنه .

والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرّهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذه ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر.. وكلها مخصوصة بالله تعالى .

## س ٢٦ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>

[من سورة الحج ، الآية : ١٨] .

وقوله : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(٢)</sup> [من سورة الإسراء ، الآية: ٢٣].

٣ - وعبادة الأقوال هي : تأديبة ما شرعه الله من التلاوات والأدعية والأذكار ، وَكَفُّ الْلُّسَانِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، ويلاحظ العبد في عباداته كلها أنه عبد يؤدي حقَّ الله تعالى عليه ، ويُشَهِّدُ قلبه عبوديته لربِّ العالمين وإله الخلقِ أجمعين.

(١) قال الإمام الطبرى في تفسيره ٢٣ : ٦٦٥ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فَلَا تَدْعُوا إِلَيْهَا النَّاسَ﴾ معَ اللَّهِ أَحَدًا ولا تشركوا به فيها شيئاً ، ولكن أفردوا له التوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، عن قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يوحّد الله وحده.

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أي : أَمْرَ رَبِّكَ ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره ؛ لأنَّ العبادة تشتمل على نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لا تليق إلَّا من له الإنعام والإفضال على عباده ، ولا مُنِعَّمٌ إِلَّا الله ، فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (تفسير الخازن ٣ : ١٦٠).

س ٢٧ - ما حَكْمُ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ؟

مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى : مُشْرِكٌ كَافِرٌ .

س ٢٨ - مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧] .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٧٠ : "يقول تعالى متوعداً مَنْ أشَرَكَ بِهِ غَيْرَهُ، وَعَبْدُ مَعِهِ سَوَاهُ، وَمُخْبِرًا أَنَّ مَنْ أشَرَكَ بِاللَّهِ لَا بُرْهَانَ لَهُ، أَيْ : لَا دَلِيلٌ عَلَى قَوْلِهِ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ وَهَذِهِ جَمْلَةٌ مُعْتَرَضَةٌ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ أَيْ : اللَّهُ يَحْاسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ أَخْبَرَ ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ أَيْ : لَدِيهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَا فَلَاحٌ لَهُمْ وَلَا نَجَاهَةٌ" انتهى .

وَهَذَا الْوَصْفُ : ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ إِنَّمَا هُوَ قِيَدٌ لِبِيَانِ الْوَاقِعِ، الَّذِي لَا يَنْفَكُ عَنْهُ دُعَاءُ إِلَهٍ مَعَ اللَّهِ، فَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُشَرِّكِ يَوْمًا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ . وَنَقْلُ الْقَاسِيِّ فِي "مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ" ٧ : ١٠٦ عَنِ الزَّمَنِيِّ : "وَقَوْلُهُ : ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ كَقَوْلِهِ : ﴿ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾" [آل عمران : ١٥١] ، وَهِيَ صَفَةٌ لَازِمَةٌ، جِيءَ بِهَا لِلتَّوْكِيدِ، لَا أَنْ يَكُونُ فِي الْإِلَهَيَّةِ مَا يَحْجُزُ أَنْ يَقُومَ عَلَيْهِ بُرْهَانٌ" .

## س ٢٩ - ما الدليل على أن الدعاء عبادة؟

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [من

(١) قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أي : اعبدونني دون غيري ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أجب دعاءكم فأغفو عنكم وأرحمكم .  
قال الخازن في تفسيره ٤ : ٧٦ : "إِنْ قَلْتَ : كَيْفَ قَالَ : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَدْ يَدْعُونَ إِلَيْنَا كَثِيرًا فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ؟ قَلْتَ : الدُّعَاءُ لَهُ شُرُوطٌ مِنْهَا : الْإِخْلَاصُ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنْ لَا يَدْعُونَ وَقْلُبُهُ لَا يَشْغُلُ بِغَيْرِ الدُّعَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُطَلُوبُ بِالدُّعَاءِ مُصْلَحَةً لِإِنْسَانٍ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ قَطْيَعَةُ رَحْمٍ، فَإِذَا كَانَ الدُّعَاءُ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ كَانَ حَقِيقًا بِالْإِجَابَةِ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُؤَخِّرَهَا لَهُ" انتهى .

قال الطبرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ في تفسيره ٢١ : ٤٠٨ : "يَقُولُ : إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادِ الْأَلْوَهِيَّةِ لِي ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾ بِمَعْنَى صَاغِرِيْنَ ذَلِيلِيْنَ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ دُعَائِي" انتهى .

قال الحافظ ابن رجب في "نور الاقتباس" ص ٦٦ عند شرح قوله ﴿ إِذَا سَأَلَتْ فَاسِئِلِ اللَّهِ ﴾ : "أَمْرَ عَزَّ وَجَلَّ بِالسُّؤَالِ، وَنَهَى عَنْ سُؤَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، وَقَدْ أَمْرَ اللَّهَ بِسُؤَالِهِ فَقَالَ : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٣٢] .

= ثم قال ص ٦٨-٧١ ما ملخصه : "واعلم أنَّ سؤال الله تعالى دون خلقه هو

المتعمّن عقلاً وشرعًا، وذلك من وجوه متعددة :

١- منها : أنَّ السؤال فيه بذلٌ ماء الوجه، وذلةٌ للسائل، وذلك لا يصلح إلا الله وحده .

٢- منها : أنَّ في سؤال الله عبوديةً عظيمةً، لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدره على قضاء الحاجات، وفي سؤال المخلوق ظلمٌ؛ لأنَّ المخلوق عاجزٌ عن جلب النفع لنفسه، ودفع الضر عنها، فكيف يقدر على ذلك لغيره ؟

٣- منها : أنَّ الله يُحب أن يُسأل ، ويغضب على من لا يسأله ، فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه ، ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه ، ويحب الملحين في الدعاء ، والمخلوق غالباً يكره أن يُسأل ؛ لفقره وعجزه . قال أبو العاتية :

الله يُغضبُ إِنْ ترَكْتَ سُؤَالَهُ      وَبْنُ آدَمَ حِينَ يُسَأَلُ يُغَضِّبُ

٤- منها : أنَّ الله تعالى يستدعي من عباده سؤاله ، وينادي كُلَّ ليلة : هل من سائلٍ فأعطيه ؟ هل من داعٍ فأستجيب له ؟ وقد قال تعالى : ﴿إِذَا سُأَلَ عَبْدٌ عَنِّي قُرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] . فَأَيُّ وقتٍ دعاه العبد وجده سميعاً قريباً مجيئاً ، ليس بينه وبينه حجابٌ ولا بوابٌ ، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب ، ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات" انتهى .

## س ٢٩ - ما الدليل على أن الدعاء عبادة؟

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [من

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أي : اعبدونني دون غيري ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أجب دعاءكم فأغفو عنكم وأرحمكم .  
قال الخازن في تفسيره ٤ : ٧٦ : "فِإِنْ قَلْتَ : كَيْفَ قَالَ : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَدْ يَدْعُونَ إِلَيْنَا كَثِيرًا فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ؟ قَلْتُ : الدُّعَاءُ لِهِ شُرُوطٌ مِنْهَا : إِلَّا الْخَلَاصُ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنْ لَا يَدْعُونَ وَقْبُلَهُ لَا هُمْ مُشْغُولُونَ بِغَيْرِ الدُّعَاءِ، وَأَنْ يَكُونُ الْمُطَلُّوبُ بِالدُّعَاءِ مُصْلَحَةً لِلْإِنْسَانِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ قَطْيَةٌ رَحْمٌ، فَإِذَا كَانَ الدُّعَاءُ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ كَانَ حَقِيقًا بِالْإِجَابَةِ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُؤَخِّرَهَا لَهُ" انتهى .

قال الطبرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ في تفسيره ٢١ : ٤٠٨ : "يقول : إنَّ الَّذِينَ يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادِ الْأَلْوَهِيَّةِ لِي ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾ بِمَعْنَى صَاغِرِينَ ذَلِيلِينَ، وَقَدْ قَيْلَ : إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ دُعَائِي" انتهى .

قال الحافظ ابن رجب في "نور الاقتباس" ص ٦٦ عند شرح قوله ﴿ إِذَا سَأَلَتْ فَاسِئَلَ اللَّهَ ﴾ : "أَمْرَ عَزَّ وَجَلَّ بِالسُّؤَالِ، وَنَهَى عَنْ سُؤَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، وَقَدْ أَمْرَ اللَّهَ بِسُؤَالِهِ فَقَالَ : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٣٢] .

= ثم قال ص ٦٨-٧١ ما ملخصه : "واعلم أنَّ سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعًا، وذلك من وجوه متعددة :

١- منها : أنَّ السؤال فيه بذل ماء الوجه، وذلة لسائل، وذلك لا يصلح إلا الله وحده .

٢- منها : أنَّ في سؤال الله عبودية عظيمة، لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته على قضاء الحاجات، وفي سؤال المخلوق ظلم؛ لأنَّ المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه، ودفع الضر عنها، فكيف يقدر على ذلك لغيره ؟

٣- منها : أنَّ الله يُحب أن يُسأل، ويغضب على من لا يسأله، فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه، ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحب الملائكة في الدعاء، والمخلوق غالباً يكره أن يُسأل؛ لفقره وعجزه . قال أبو العاتية :

الله يُغضبُ إن تركت سؤاله      وبُني آدم حين يُسأل يُغضبُ

٤- منها : أنَّ الله تعالى يستدعي من عباده سؤاله، وينادي كُلَّ ليلة : هل من سائل فأعطيه؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ وقد قال تعالى : ﴿إِذَا سُأَلَ عَبْدٌ عَنِّي قُرِيبٌ أَجِبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] . فَأَيُّ وقت دعاه العبد وجده سمعياً قريباً مجيئاً، ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب، ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات" انتهى .

وقوله عليه الصلاة والسلام : "الدُّعَاءُ مُنْخُ الْعِبَادَةِ" <sup>(١)</sup> . وفي  
رواية : "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةِ" <sup>(٢)</sup> .

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال الترمذى :  
هذا حديث غريب من هذا الوجه لأنعرفه إلا من حديث ابن لَهِيَعَةَ .  
قال ابن الأثير في "النهاية" ٤ : ٣٠٥ : "مُنْخُ الشَّيْءِ : خالصُهُ . وإنما كان مُنْخَهَا  
لأمرَيْنِ : أحدهُمَا : أنه امْتَشَالٌ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى ، حَيْثُ قَالَ : ﴿ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، فَهُوَ مُحْضُ الْعِبَادَةِ وَخَالصَّهَا . والثَّانِي : أَنَّهُ إِذَا  
رَأَى بُحَاجَ الأمْرُورِ مِنَ اللهِ قَطَعَ أَمْلَهُ عَمَّا سَوَاهُ ، وَدَعَاهُ لِحَاجَتِهِ وَحْدَهُ ، وَهَذَا هُوَ  
أَصْلُ الْعِبَادَةِ " انتهى .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذى (٣٢٤٤) و (٣٣٦٩) ، والنسائي  
(١١٤٦) في الْكُبْرَى ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وابن حبان في صحيحه  
(٨٩٠) ، والحاكم في المستدرك ١ : ٤٩١ ، وصححه النووي في "الأذكار"  
ص ٣٣٣ ، وقال ابن حجر في "الفتح" ١: ٤٩: ٤٩: "إسناده جيد" . كلهم من  
حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهمَا ، عن النبي ﷺ قال : "الدُّعَاءُ هُوَ  
الْعِبَادَةِ" ثُمَّ قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ  
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

## س ٣٠ - ما الدليل على أن الخوف عبادة؟

قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

[من سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥] .

(١) الخوف : توقع مكروهٍ عن أمارٍ مظنونة ، أو معلومة ، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوبٍ عن أمارٍ مظنونة ، أو معلومة ، ويضادُ الخوفَ الأمانُ ، ويستعمل ذلكَ في الأمور الدنيوية والآخروية ، والخوفُ من الله لا يُرادُ به ما يخطر على البال من الرُّعب ، كاستشعارِ الخوفِ من الأسد ، بل إنما يُرادُ به الكفُ عن المعاصي وتحريِ الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعذُّ خائفاً من لم يكن للذنب تاركاً ، والخيفَةُ : الحالة التي عليها الإنسانُ من الخوف ، قالَ تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ، قَلَّنَا : لَا تَخَفِ﴾ [طه : ٦٧] (مفردات الراغب ، ص ٣٠٣) .

وقد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعل الخوف شرطاً في تحقيق الإيمان .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني : فلا تخافوا أولياء الشيطان ، ولا تقعدوا عن قاتلهم ولا تجبنوا عنهم ، ولا يعظمُنَّ عليكم أمرُهم ، ولا ترهبوا جمَعَهم ، ﴿وَخَافُونِ﴾ اتقوا أن تعصوني وتخالِفوا أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ؛ لأن الإيمان يقتضي أن يُؤثِّرَ العبدُ خوفَ الله سبحانَهُ على خوفِ غيره .

## س ٣١ - ما الدليل على أن الرجاء عبادة؟

قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ <sup>(١)</sup> [من سورة الكهف ، الآية : ١١٠] .

---

(١) الرجاء : ظن يقتضي حصول ما فيه مسيرة (المفردات ، ص ٣٤٦) .

وقال ابن القيم في "المدارج" ٢ : ٣٥ : "الرجاء هو الثقة بجود الرَّبُّ تعالى ، وهو النظر إلى سعة رحمة الله ، والفرق بينه وبين التَّمَنُّ : أنَّ التَّمَنُّ يكون مع الكسل ، ولا يسلك صاحبُه طريقَ الجِدِّ والاجتِهاد ، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسنِ التَّوْكِل" انتهى .

وقال في "طريق الهجرتين" ص ٤٩٧ : "ورجاء الأنبياء والرسل فمن دونهم إنما هو طمعهم في رحمته ومغفرته . وانظر إلى قول إمام الحنفاء خليل الرحمن : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرْ لِي خَطَايَايَ يَوْمَ الدِّين﴾ [الشعراء : ٨٢] كيف علق رجاءه وطمعه بمحنة مغفرة الله له .

وقال تعالى عن خاصة خلقه : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه﴾ [الإسراء : ٥٧] انتهى .

وقوله سبحانه : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ﴾ فمن كان يأمل حُسْنَ لقاءِ رَبِّهِ ، وأن يلقاء لقاء رضا وقبول ، والمراد باللقاء : القدوم عليه ، وقيل : رؤيته كما هو حقيقة اللفظ ، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذا ركنا العمل المتقبل : أن يكون خالصاً لله ، وصواباً على سُنَّةِ رسول الله ﷺ .

## س ٣٢ - ما الدليل على أن التوكل عبادة؟

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة المائدة ، الآية : ٢٣] .

(١) التوكل على الله : الاعتماد على الله تعالى ، وتفويض جميع الأمور إليه .

قال ابن القيم في "طريق الهدى" ص ٣٦٠ : "والتوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته . قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فجعل التوكل شرطاً في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل .

وفي الآية الأخرى ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكِّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الغافر : ١٣] فذكر اسم الإيمان هنا دون سائر أسمائه دليل على استدعاء الإيمان للتوكل ، وإن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه ، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل ، وإذا كان ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد "انتهى" .

وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ فقد قال أبو جعفر الطبرى في تفسير هذه الآية ١٠ : ١٨٤ : "وهذا أيضاً خبر من الله تعالى عن قول الرجالين الذين يخافان الله ، أنهم قالا لقوم موسى يشجّعنهما بذلك ، ويرغبانهم في المرضي لأمر الله بالدخول على الجبارين في مدينتهم : توكلوا أيها القوم على الله في دخولكم عليهم ، فيقولان لهم : ثقوا بالله ، فإنه معكم =

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الطلاق ،

الآية : ٣]

س ٣٣ - ما الدليل على أن الرغبة والرّهبة والخشوع عبادات؟

قوله تعالى : ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبَاً وَرَهْبَاً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [من سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .

إن أطعتموه فيما أمركم من جهاد عدوكم ، وعنيا بقولهما : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>١</sup> إن كنتم مصدقين بنيكم ﴿ فِيمَا أَنْبَأْكُمْ عَنْ رِبِّكُمْ مِنَ النُّصْرَةِ وَالظَّفَرِ عَلَيْهِمْ ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِخْبَارِهِ عَنْ رَبِّهِ ، وَمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ رَبَّكُمْ قَادِرٌ عَلَى الْوَفَاءِ لَكُمْ بِمَا وَعَدْكُمْ مِنْ تَمْكِينِكُمْ فِي بَلَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ ﴾ انتهى .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : يكمل أمره إلى الله ، ويعتمد عليه في أموره ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾<sup>(٣)</sup> كافيه في الدارين ، ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه .

(٢) الرغبة : أصل الرغبة السعة في الشيء ، والرغبة : السعة في الإرادة (المفردات ٣٥٨) .

وقال ابن القيم في "المدارج" ٢ : ٥٥ : " والفرق بين الرغبة والرجاء : أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب ، فهي ثمرة الرجاء ، فإنه إذا رجا الشيء طلبه . والرغبة من الرجاء : كاها رب من الخوف ، فمن رجا شيئاً طلبه ورغبه فيه ، ومن خاف شيئاً هرب منه " .

= والرَّهْبَةُ : مخافةٌ مع تحرُّزٍ واضطربَابٍ . قال تعالى : ﴿ وَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ ﴾ [البقرة : ٤٠] "المفردات" ص ٣٦٦ .

قال ابن القيم في "المدارج" ١ : ٥١٢ : "وَأَمَّا الرَّهْبَةُ فَهِيَ الإِمْعَانُ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَهِيَ ضَدُّ الرَّغْبَةِ" الَّتِي هِيَ سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ ، وَبَيْنِ الرَّهَبِ وَالْهَرَبِ تَنَاسُبٌ فِي الْلَّفْظِ وَالْمَعْنَى" ا.هـ.

والخُشُوعُ : الضرَّاءُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ الْخُشُوعُ فِيمَا يَوْجَدُ عَلَى الْجَوَارِحِ ، وَالضَّرَّاءُ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يَوْجَدُ فِي الْقَلْبِ (المفردات ، ص ٢٨٣).

وقال ابن القيم في "المدارج" ١ : ٥٢٠ : والخُشُوعُ فِي أَصْلِ الْلُّغَةِ : الْانْخِفَاضُ ، وَالذُّلُّ ، وَالسَّكُونُ ، قال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنٍ ﴾ [طه : ١٠٨] أي : سُكِّنَتْ ، وَذُلِّتْ ، وَخَضَعَتْ .

والخُشُوعُ قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدِيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ ، وَالْجَمْعِيَّةُ عَلَيْهِ انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يعني الأنبياء المذكورون في سورة الأنبياء ، وقيل : زَكْرِيَاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، أي : أَنَّهُمْ اسْتَحْقَوُوا الإِجَابَةَ إِلَى طَلَبَاتِهِمْ لِمَبَادِرَتِهِمْ أَبْوَابَ الْخَيْرِ ، وَمَسَارِعَتِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا ، وَالْمَسَارِعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْ أَكْبَرِ مَا يُمْدَحُ بِهِ الْمَرءُ ؛ لِأَنَّهَا تَدْلِي عَلَى حِرْصٍ عَظِيمٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا ﴾ أي : طَمْعًا وَخُوفًا ، كَوْلَهُ سَبْحَانُهُ : ﴿ يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ .

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ متواضعين خائفين : فَهُمْ قَدْ ضُمِّنُوا إِلَى الْمَسَارِعَةِ فِي فَعْلِ الطَّاعَاتِ أَمْرِيْنِ : أَحَدُهُمَا : الْطَّمْعُ وَالرَّغْبَةُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ ، وَالرَّهْبَةُ وَالخُوفُ مِنْ عَقَابِهِ ، وَالْأَمْرُ الثَّانِي : الْخُشُوعُ خُوفًا مِنَ الْوَقْوَعِ فِي الْإِثْمِ .

## س ٣٤ - ما الدليل على أنَّ الخشية عِبَادَة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾<sup>(١)</sup>

[من سورة البقرة ، الآية : ١٥٠] .

(١) الخشية : خوفٌ يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه ، ولذلك خُصَّ العلماء بها في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ [فاطر : ٢٨] (المفردات ، ص ٢٨٣).

وفي الحديث قوله ﷺ : "فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُهُمْ لِهِ خُشْبَةً" رواه مسلم.

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" في كلامه عن منزلة الخوف ١ : ٥١٢ :

"الخشية أَخْصُّ من الخوف ، فإنَّ الخشية للعلماء بالله ، فهي خوفٌ مقوٌّ بمعرفةٍ ، فالخوف حركة ، والخشية انجماع وانقباضٌ وسكون ، فإنَّ الذي يرى العدوَّ والسيَّلَ ونحو ذلك ، له حالتان : إِحْدَاهُما : حركة للهرب منه ، وهي حالةُ الخوف ، والثانية : سكونه وقراره في مَكَانٍ لا يصلُّ إليه فيه ، وهي الخشية ... فصاحبُ الخوف : يتجهُ إلى الهرب والإمساك ، وصاحبُ الخشية : يتجهُ إلى الاعتصام بالعلم ، ومثلُهما مثلُ من لا علم له بالطلب ، ومثلُ الطَّيِّبِ الْحَادِقِ ، فالْأَوَّلُ يتجهُ إلى الحِمْيَةِ والهَرَبِ ، والطَّيِّبُ يتجهُ إلى معرفته بالأدوية والأدواء" انتهى.

قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشُوْنِي﴾ [سائدः ٤٤] ، وقال سبحانه :

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِين﴾ [فاطر : ٢٨] .

## س ٣٥ - ما الدليل على أن الإنابة عبادة؟

قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾<sup>(١)</sup> [الزمر: ٥٤] .

(١) الإنابة : الرجوع إلى الله تعالى بانتوبه وإخلاص العمل ، يقال : فلا ينتاب فلاناً أي : يقصده مرةً بعد أخرى (المفردات ، ص ٨٢٧) .

وقال الطبرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهُ مُنِيبٌ ﴾ ١٥ : ٤٠٦ : (منيب) : أي : متذلل لربه ، خاشع له ، منقاد لأمره ، رجاع إلى طاعته . قال ابن القيم في "المدارج" في منزلة "الإنابة" ١ : ٤٣٤ : "إنابة أوليائه هي إنابة لإلهيه ، إنابة عبودية ومحبة ، وهي تتضمن أربعة أمور : محبتة ، والخضوع له ، والإقبال عليه ، والإعراض عمّا سواه ، فلا يستحق اسم "المنيب" إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع ، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك . وفي هذه اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقديم ، و "المنيب" إلى الله : المسرع في مرضاته ، الراجع إليه في كل وقت ، المتقدم إلى محابه "انتهى" .

وقال ابن القيم في "طريق الهدى" ص ٢٨٦ : "الإنابة الرجوع إلى الله ، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه ، وهي تتضمن الحب والخشية ، فإن المنيب محب لمن أناب إليه ، خاضع له ، خاشع ذليل" ، ثم قال : "فأعلى أنواع الإنابات : إنابة الروح بحملتها إليه لشدة الحب والخالصة المغنية لهم عمّا سوى محبوبهم ومعبودهم ، وحين أنابت إليه أرواحهم لم يختلف منهم شيء عن الإنابة . فإن الأعضاء كلها رعيتها وملكتها تبع للروح ، فلما أنابت الروح بذاتها إليه إنابة محب صادق الحب ، أنابت جميع القوى والجوارح" وانظر ترجمة كلامه النفيسي ص ٢٨٩ - ٢٨٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ أي : ارجعوا إليه بانتوبه والطاعة ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ أي : أخلصوا له التوحيد .

## س ٣٦ - ما الدليل على أن الاستعانة عبادة؟

قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾<sup>(١)</sup> [الفاتحة : ٥] .

(١) الاستعانة : طلب العون ، والعون : المعاونة والمظاهر ، يقال : فلا عونني أي : معيوني ، وقد أعنّته ، قال تعالى : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف : ٩٥] (مفردات الراغب ص ٥٩٨) .

وتكون الاستعانة بالتوجه إلى الله تعالى بالدعاء ، كما تكون بالتوجه إليه تعالى بفعل الطاعات ؛ لقوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة : ٤٥] .  
وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك ؛ لأنك ربنا ورب كل شيء ، والكل عبادك ، وحْق على العبد أن يعبد ربه سبحانه .  
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ أي : لا نستعين إلا بك ، فإنه لا معين غيرك ؛ إذ الكل مُفتقرٌ إليك : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

فالعبد كلهم فقراء إلى الله سبحانه في وجود ذاتهم ، وبقائهم ، وحياتهم ، وجميع أمورهم ، والله هو الغني على الإطلاق ، فها نحن نسألك يا ربنا أن تُعيننا على جميع أمورنا الدينية ، وما ينفعنا من أمورنا الدنيوية .  
فالعبد محتاج إلى الله سبحانه في فعل المأمورات ، وترك المخظورات ، وفي الصبر على المقدورات ، وفي مصالح دينه ودنياه .

وهذا الموقف هو موقف اعتراف العبد وإقراره بعجزه ، وأنه لا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العلي الكبير ، وأنه لا معين على الحقيقة إلا الله تعالى ، فهو سبحانه وحده المعين الذي لا يحتاج إلى معين ، وكل ما سواه سبحانه فهو العاجز المستعين به ، فمن أعانه الله فهو المُعَان ، ومن خذله فهو المخذول .

وفي الحديث : "إذا استعنت فاستعن بالله" <sup>(١)</sup>.

س ٣٧ - ما الدليل على أن الاستعاذه عبادة؟

قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ <sup>(٢)</sup> [الفلق : ١] .

فيجب على العباد أن يرجعوا في أمورهم كلّها إلى الله تعالى ، فيسألوه حاجاتهم كلّها ؛ لأنّه لا يمْلِك قضاء الحاجات إلّا الله تعالى ، والعباد كلّهم عاجزون محتاجون إلى عونه سُبْحَانَهُ.

(١) رواه أَحْمَد ١ : ٢٩٣ ، وَالْتَّمْذِي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح.

(٢) الاستعاذه : الاستجارة والالتجاء ، ومعنى قول القائل : (أعوذ بالله) أي : استجير بالله وأتتجي إليه وأستنصر به ، دون غيره من سائر خلقه . والدعاة أعم من الاستعاذه ، فهو جلب الخير أو دفع الشر ، والاستعاذه دعاء لدفع الشر .

وكانوا في الجاهلية يعوذون بعُظَمَاءِ الْجَنِّ من أذى مَنْ دونهم فيقول من نَزَّلَ وادِيَاً : أَعُوذُ بِعَظِيمِ هَذَا الْوَادِي ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رَجُالٌ مِّنَ الْإِنْسَنِ يَعُوذُ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجَنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ [الجنس : ٦] ، أي : زادوهم طغياناً وغَيْرَه قُلْ بِهِمْ وَيَغْشَاهُمْ بِهِذِهِ الْاسْتِعَاذَةِ .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي : قل : يا أَيُّهَا الرَّسُول ، والأمر لَنِبِّئْنَا أَمْرًا لَنَا ﴿أَعُوذُ﴾ أَسْتِجِيرُ وَأَتَجِي . و﴿الْفَلَقُ﴾ أي : الفجر المفلوق ، من الفلق . قال تعالى : ﴿فَالْفَلَقُ الْإِصْبَاحُ﴾ [الأنعام : ٩٦] ، وقال سُبْحَانَهُ : ﴿فَالْفَلَقُ الْحَبَّ وَالنُّوَى﴾ [الأنعام : ٩٥] .

قال العلامة ابن عاشور في تفسيره ١٥ : ٦٢٦ "حقيقةُ الفلقِ : الانشقاق عن باطنِ الشيءِ ، واستئنافُ ظهورِ الصُّبْحِ بعدَ ظُلْمَةِ الليلِ ، وهذا مثلُ استعارةِ الإخراجِ لظهورِ النُّورِ بعدَ الظُّلَامِ في قوله تعالى : ﴿وَأَغْطَشَ لِيَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ، واستعارةِ السَّلْخِ له في قوله تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْلَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَار﴾ . وربُّ الفلقِ : هو اللهُ ؛ لأنَّهُ الذي خَلَقَ أَسْبَابَ ظهورِ الصُّبْحِ ، وتَحْصِيصُ وصفِ اللهِ بِأَنَّهُ ربُّ الفلقِ دونَ وصفٍ آخرٍ ؛ لأنَّ شَرَّاً كثِيرًا يَحْدُثُ في الليلِ مِنْ لصوصٍ وسباعٍ ، وذواتِ سمومٍ ، وتعذرُ السَّيرُ ، وعُسْرُ النَّجْدَةُ ، وبُعدِ الاستغاثةِ ، واشتدادِ آلامِ المرضى" انتهى.

قال ابن القيم في "تفسير المعوذتين" ص ٤١ : "فَإِنَّ الْفَلَقَ هُوَ الصُّبْحُ الَّذِي هُوَ مِبْدأً ظهورَ النُّورِ ، وَهُوَ الَّذِي يُطْرُدُ جَيْشَ الظُّلَامِ ، وَعَسْكَرَ الْمُفْسِدِينَ فِي اللَّيلِ ، فَيَأْوِي كُلُّ خَبِيثٍ ، وَكُلُّ مُفْسِدٍ ، وَكُلُّ لِصٍ ، وَكُلُّ قَاطِعٍ طَرِيقَ إِلَى سِرْبٍ أَوْ كِنْ أَوْ غَارٍ ، وَتَأْوِي الْهَوَامُ إِلَى جَحُورِهَا ، وَالشَّيَاطِينُ الَّتِي اتَّشَرَتْ بِاللَّيلِ إِلَى أَمْكَنَتِهَا ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَبَادَهُ أَنْ يَسْتَعِذُوا بِرَبِّ النُّورِ الَّذِي يَقْهِرُ الظُّلَامَ وَيُزِيلُهَا ، وَيَقْهِرُ عَسْكَرَهَا وَجِيشَهَا.

ولهذا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ عبادَهُ مِنَ الظُّلَامَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَيَدْعُ الْكُفَّارَ فِي ظُلَامَاتِ كُفْرِهِمْ.. فَإِيمَانُ كُلُّهُ نُورٌ ، وَمَا لَهُ إِلَى نُورٍ ، وَمُسْتَقْرُرٌ فِي الْقَلْبِ الْمُضِيءِ الْمُسْتَنِيرِ ، وَالْكُفْرُ وَالشُّرُكُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ ، وَمَا لَهُ إِلَى الظُّلَامَاتِ ، وَمُسْتَقْرُرٌ فِي الْقُلُوبِ الظُّلْمَةِ" انتهى. فَلَا يَنْفِي ظُلَامَاتُ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَنوارُ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالْحَقِّ مِنْ خَالقِهَا ، وَفَالْقُلُوبُ أَنوارُهَا.

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> [الناس: ٢-١].

(١) قوله سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي : مَرِيَّهُمْ وَمَعْطِيهِمْ فِي كُلِّ مَرَقَبٍ مِّنْ مَرَاتِبِ الْوِجُودِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِحَفْظِهَا ، وَهَادِيهِمْ لِاستِعْمَالِ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَنْفَعُهُمْ ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَةً ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

قال العالمة ابن باديس في تفسيره ، ص ٦٤٦ : "الرَّبُّ" : رَبُّ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ، بَلْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَإِنَّمَا خَصَّ النَّاسَ بِالذِّكْرِ :

١ - لَأَنَّهُمْ هُمْ هَدْفُ الشَّيْطَانِ وَمَرْمَى وَسُوْسَتِهِ ؛ وَلَأَنَّهُمْ الْمَأْمُورُونَ بِالاستِعَاةِ مِنْهُ ؛ وَلَأَنَّ عَالَمَ التَّكْلِيفِ أَشْرَفُ ، فَإِلَيْهِمْ يَوْجَهُ الْخُطَابُ ، وَإِلَيْهِمْ يَسَاقُ التَّحْذِيرُ .

٢ - وَنِكْتَةٌ أُخْرَى فِي تَخْصِيصِ النَّاسِ بِالذِّكْرِ دُونَ بَقِيَّةِ أَفْرَادِ الْمَرْبُوبِينَ ، وَهِيَ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ نَامُوسُ الْهِدَايَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَدْ ضَلُّوْا بِالْفَعْلِ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَفِي أَلْوَهِيَّتِهِ : ضَلُّوْا فِي الرَّبُوبِيَّةِ بِاتْخَادِ الْمُشَرِّعِينَ ، لِيُشَرِّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، وَيَصُدُّونَهُمْ بِذَلِكَ عَمَّا شَرَعَ اللَّهُ . وَضَلُّوْا فِي الْأَلْوَهِيَّةِ بِعِادَةِ غَيْرِ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْبُدُ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ كَالدُّعَاءِ .

وَأَخْتِيرُ لِفَظِ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ الْأَلْفَاظِ الْمَشَارِكَةِ لَهُ فِي الدَّلَالَةِ كَالْبَشَرِ وَالْبَرِّيَّةِ ؛ لَأَنَّهُ يَنْوُسُ وَيَضْطَرِبُ وَيَنْسَاقُ ، وَهِيَ صِفَاتٌ يَزْمِنُهَا التَّوْجِيهُ ، وَلَا غُنَّى لِصَاحِبِهَا عَنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِلْوَجْهَةِ الصَّالِحةِ ، وَالْتَّسْدِيدِ فِيهَا ، مَادَمَ لَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ ذَلِكَ ، وَمَا دَامَ مُحَاسِبًا عَلَيْهِ ، وَمَا دَامَتْ هَنَاكَ قُوَّةٌ مُسْلِطَةٌ تَنْزَعُ بِهِ إِلَى الشَّرِّ ، فَفِي تَخْصِيصِ النَّاسِ بِالذِّكْرِ تَنْبِيَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ =

## س ٣٨ - ما الدليل على أن الاستغاثة عبادة؟

قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الأفال : ٩] .

= أحوال المربوبين إلى تأييد الله ، وأحقهم بطلب ذلك منه ، وقد أرشدهم إلى ذلك وله الحمد .

ولو تفقة الناس في معنى اسمهم واشتقاقه ، لعلموا بفطرتهم أنهم مخلوقات ضعيفة ، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً ، ولا يقنوها أنه لا بدّ لهم من رب يربّهم ويحميهم ، ومالك يدبر أمورهم ، وإله يعبدونه" انتهى.

(١) الاستغاثة : طلب الغوث أو الغيث ، والغوث يقال في النصرة ، والغيث يقال في المطر ، قال تعالى : ﴿فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص : ١٥] ، (مفردات الراغب ، ص ٦١٧).

وقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُم﴾ أي : واذكر يا رسول الله إذ تستجيرون بربكم من عدوكم ، وتطلبون منه الغوث والنصر.

روى مسلم (١٧٦٣) عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثة وبضعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله ﷺ قبلة ، ثم مدد يده فجعل يهتف بربه يقول : اللهم أنجز لي ما وعديني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه مادياً يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله : ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُم﴾ انتهى .

## س ٣٩ - ما الدليل على أنَّ الذِّبْحَ عبادة؟

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الأنعام . الآيات : ١٦٢-١٦٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ فأجاب دعاءكم ﴿ أَنِّي مُمْدُّكُمْ ﴾ أي : مرسلاً إليكم مَدَداً ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ يعني : يردد بعضهم بعضاً . يعني يتبع بعضهم بعضاً .

فالمؤمن يستغاث بالله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، مثل : النصر على العدو ، وإزالة المطر ، وكشف الضر ، وشفاء المرض . وطلب الرزق ، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧] .

والمؤمن يستغاث باسم الله أو بصفة من صفاته ، روى الترمذى (٣٥٢٤) عن أنس بن مالك قال : كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال : (( يا حَيٌّ يا قِيُومٌ بِرْ حَمْتَكَ أَسْتَغِيثُ )) ورواه الحاكم في "المستدرك" ١:٥٠٩ من حديث ابن مسعود .

(١) الذِّبْحُ : أصل الذِّبْحِ شَقْ حُلْقُ الحيوانات ، والذِّبْحُ : المذبوح ، قال تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصفات : ١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ أي : قُلْ يا رسول الله لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوَّلَانِ والأَصْنَامِ ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَسْتَبِّعَ أَهْوَاءَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَهْلَةِ والْأَوَّلَانِ ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أي : وَذَبْحِي ، وَالنُّسُكُ الْعِبَادَةُ ، وَالنَّاسِكُ : العابد ، واحتَصَرَ بِأَعْمَالِ الْحَجَّ ، وَالنَّسِيْكَةُ : الْذِيْبَحَةُ ، وَجَمَعُهَا نُسُكُ ، =

ومن السُّنَّةُ قوله عليه الصلاة والسلام : "لَعْنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ  
اللَّهِ" (١).

قالَ تَعَالَى : ﴿فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .  
﴿وَمُحْيَايِ﴾ أي : وحياتي ﴿وَمَاتِي﴾ ووفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾  
يعني : أَنَّ ذَلِكَ كله خالصاً دون ما أشركتم به ، أيها المشركون من الأواثان  
﴿لَا شَرِيكَ لَه﴾ في شيءٍ من ذَلِكَ من خلقه ، ولا لشيءٍ منهم فيه  
نصيبٌ ؛ لأنَّه لا ينبغي أن يكون ذَلِكَ إِلَّا لَه خالصاً ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾  
وبذلك أَمْرَنِي ربي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَفَرَّ وَأَذْعَنَ وَخَضَعَ  
من هذه الأمة لرَبِّه (تفسير الطبرى ١٢ : ٢٨٣).

قال ابن عطية في تفسيره ٣ : ١٩٢ : " وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة ما يلزم  
المؤمنين التأسيّ به ، حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قَصْدًا وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى " انتهى.  
وقد جمع الله بين هاتين العبادتين اللتين هما من أفضل العبادات ، وأفضل  
القرُبَات لله تعالى في هذه الآية ، كما جمع بينهما في قوله سبحانه : ﴿فَصَلَّ  
لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ﴾ [الكوتور : ٢] ، أي : فاعبد ربَّك الذي أَعْزَكَ وَشَرَفَكَ على كافة  
الخلق ، ورفع منزلتك ، وأعطاك العطاء الجزيل ، والخير الكثير مراوغَمَا لقومك  
الذين يعبدون غير الله ﴿وَأَنْحَرَ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مُتَقْرِّباً إلى ربك ،  
مخالفاً لعبدة الأواثان في النَّحْرِ لغير الله سبحانه . (النسفي ٤ : ٤١٦) .

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) في كتاب الأضاحي، من حديث علي بن أبي طالب عليهما السلام .  
قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" ١٣ : ١٤١ : "وَمَا الذَّبَحَ لِغَيْرِ  
اللَّهِ ، فَالْمَرَادُ بِهِ : أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنْمِ أَوْ الصَّلِيبِ أَوْ  
لِمُوسَى أَوْ لِعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ ، فَكُلُّ هَذَا حَرَامٌ ، =

س٠ ٤ - ما الدليل على أن النذر عبادة؟

قوله تعالى : ﴿يُوفون بالنذر ويَخافُون يَوْماً كَانَ شَرِّهُ

مُسْتَطِيرا﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الإنسان ، الآية : ٧].

= ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصراًياً أو يهودياً . نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا ، فإن قصداً مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى ، والعبادة له ، كان ذلك كفراً ، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا" انتهى .

وقال النووي أيضاً في "روضة الطالبين" ٣ : ٢٠٥-٢٠٦ : "اعلم أن الذبح للعبد وباسمه نازل منزلة السجود له ، وكل واحد منهمما نوع من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى ؛ الذي هو المستحق للعبادة ، فمن ذبح لغيره من حيوان ، أو جماد - كالصنم - على وجه التعظيم والعبادة ، لم تحل ذبيحته ، وكان فعله كفراً ، كمن سجد لغيره سجدة عبادة " وانظر تتمة كلامه ، ففيه تفصيل ليس هنا موضع ذكره .

(١) النذر : أن توجب على نفسك ما ليس بواجبٍ لحدوث أمر ، يقال : نذرت الله أمراً ، قال تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِرَحْمَنَ صَوْمًا﴾ [مريم : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فِيَنَّ اللَّهُ يَعْلَمُه﴾ [البقرة : ٢٧] "المفردات" ، ص ٧٩٧.

وقال ابن الأثير في "النهاية" ٥ : ٣٩ : "النذر : إذا أوجبت على نفسك شيئاً ثرثراً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك ."

وقوله تعالى في وصف أعمال الأبرار في الدنيا بعد أن وصف ثوابهم في الآخرة : ﴿يُوفون بالنذر﴾ أي : أنهم كانوا في الدنيا يوفون بالنذر ، -

= والنذر : الإيجاب ، والمعنى : يُوفون بما فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فيدخل فيه جميع الطاعات من الإيمان والصلة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الواجبات .

وقيل : النذر في عرف الشرع واللغة : أن يُوجب الرجل على نفسه شيئاً ليس بواجب عليه ، وذلك بأن يقول : اللَّهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ كَذَا وَكَذَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ صَلَاتِهِ أَوْ صِيَامِهِ أَوْ حَجَّهُ أَوْ عُمْرَةَ ، يَعْلَقُ ذَلِكَ بِأَمْرٍ يَتَمَسَّهُ مِنَ اللَّهِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ : إِنْ شَفَى اللَّهُ مَرِيضِي أَوْ قَدِيمَ غَائِبِي كَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ كَذَا .

وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر ، وهذا مبالغة في وصفهم بأداء الواجبات ؛ لأن من وفي بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ فِي "انتهى . "تفسير الخازن" ٤ : ٣٣٩ .

وقد ذَمَّ رسول اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ يَنْذِرُونَ وَلَا يُوفِّونَ ، فقد روى البخاري (٦٩٥) في كتاب الأيمان والنذور من حديث عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنَ ﷺ أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال : (( خَيْرُكُمْ قَرْنَيْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قال عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنَ ﷺ : لَا أَدْرِي ذَكْرُ ثَتَّيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ بَعْدَ قَرْنَهِ - ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنْذِرُونَ وَلَا يُوفِّونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهِدُونَ ، وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السَّمْنَ )) . قال الحافظ في "الفتح" ١١ : ٥٨٠ : " قال ابن بطال : سُوَّى بَيْنَ مَنْ يَخْنُونَ أَمَانَتَهُ ، وَمَنْ لَا يَفِي بِنَذْرِهِ ، وَالخِيَانَةُ مَذْمُومَةٌ ، فَيَكُونُ تَرْكُ الْوَفَاءِ مَذْمُومًَا " .

وأما قوله ﷺ : "إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَخِيلِ" رواه البخاري (٦٠٨) في كتاب النذر ، ومسلم (١٦٣٩) في كتاب النذر ، =

= فقد قال ابن الأثير في "النهاية" ٥ : ٣٩ : "وقد تكرر في أحاديثه النهي عنه ، وهو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يُفعَل ، لكان في ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ؛ إذ كان بالنهي يصير معصية ، فلا يلزم . وإنما وجْهُ الحديث أنه قد أعلمهم أنَّ ذلكَ أمرٌ لا يجْرِيُ لهم في العاجل نفعاً ، ولا يصرف عنهم ضرراً ، ولا يَرُدُّ قضاءً فقال : لا تَنذروا على أنكم قد تُدرِّكون بالنَّذْرِ شيئاً لم يقدِّره الله لكم ، أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضاءُ عليكم ، فإذا نذرتם ولم تعتقدوا هذا فاخرجوه عنه بالوفاء ، فَإِنَّ الَّذِي نذَرْتُمُوه لازِمٌ لكم" انتهى .

ولو نَذَرَ في مُعْصيَةٍ لَا يُجَبُ الوفاءُ بِهِ ، روى البخاري (٦٦٩٦) في كتاب الأيمان والنذور في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلَيَفِرُّ بِنَذْرِهِ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يُعَصِّيَ اللَّهَ فَلَا يَفِرُّ بِهِ" ، وفي روايَةٍ : "فَلِيَطِعْهُ وَلَا يُعَصِّيهِ" .

وعنها رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال : "لَا نَذَرَ في مُعْصيَةِ اللهِ ، وَكُفَّارُهُ كُفَّارَةٌ يَمِينٌ" أخرجَهُ أبو داود (٣٢٩٠) ، والترمذِي (١٥٢٥) ، والنسائي (٣٨٣٤) .

## الأصل الثاني

### معرفة دين الإسلام بالأدلة

س ٤ - ما الأصل الثاني؟

معرفة دين الإسلام بالأدلة .

س ٤ - ما هو دين الإسلام؟

هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة  
والخلوص من الشرك وأهله .

س ٤ - كم مراتب دين الإسلام؟

مراتبه ثلاثة : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان . وكل مرتبة  
لها أركان .



## ١- الإسلام<sup>(١)</sup>

---

(١) قَدَّمَ المرتبة الأولى ، وهي الإسلام ، والمراد به : الاستسلام لله ، والخضوع والانقياد ، والعبودية له سبحانه .

والإسلام إذا أطلق فإنه يشمل أمور الدين كلها ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فيشمل الاستسلام القلبي والاعتقادي الجازم فيما جاء في الدين من العقائد ، ويشمل الاستسلام العملي ، وذلك بالعمل فيما جاء به الدين من الأعمال ، ويشمل الاستسلام الخلقي ، وذلك بالتحلُّق بما جاء به الدين من الأخلاق الحميدة الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الذميمة .

وإذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في نَصٌّ من الكتاب أو السنة على وجه الإقرار ، فيَخْتَصُّ الإسلام بالأقوال والأعمال التكليفية ، وينحصر الإيمان بالعقائد القلبية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وكمَا سيأتي في حديث جبريل عليه السلام ، فقد اقتربن الإسلام والإيمان واجتمعا في حديث واحد ، وقد فَسَرَ رسول الله ﷺ الإسلام بالأعمال والأقوال الظاهرة ، وأهمها الأركان الخمسة ، وفَسَرَ ﷺ الإيمان بالعقائد الإيمانية القلبية ، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه المسألة في المرتبة الثانية ( الإيمان ) .

## س٤٤ - كم أركان الإسلام؟

خمسةٌ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصومُ رمضان ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرام<sup>(١)</sup> .

(١) روى البخاري (٨) ومسلم (١٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((يُنَبَّئُ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحِجَّةُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ)) .

قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ١ : ٩٨ - ١٠١ : "فَأَمَّا الإِسْلَامُ فَقَدْ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَأَوْلَى ذَلِكِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَهُوَ عَمَلُ الْلِّسَانِ، ثُمَّ إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَهِيَ مُنْقَسِّمَةٌ إِلَى عَمَلٍ بَدْنِيٍّ : كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَإِلَى عَمَلٍ مَالِيٍّ : وَهُوَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَإِلَى مَا هُوَ مُرْكَبٌ مِنْهُمَا : كَالْحِجَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَعِيدِ عَنْ مَكَّةِ . وَإِنَّمَا ذَكَرْ هَاهُنَا أَصْوَلَ أَعْمَالِ الإِسْلَامِ الَّتِي يُنَبَّئُ الإِسْلَامُ عَلَيْهَا، وَإِلَّا فَإِنَّ جُمِيعَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ دَاخِلَةٌ فِي مَسْمَىِ الإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْمُحْرَمَاتِ دَاخِلٌ مَسْمَىِ الإِسْلَامِ أَيْضًا .

وقال ابن رجب أيضًا ١ : ١٤٥ : "وَالْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْحَدِيثِ أَنَّ الإِسْلَامَ مُبْنَىٰ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسِ، فَهِيَ كَالْأَرْكَانِ وَالدُّعَائِمِ لِبَنْيَانِهِ، فَلَا يَثْبِتُ الْبَنْيَانُ بِدُونِهَا، وَبَقِيَّةُ حَصَالِ الإِسْلَامِ كَتَتَمَّةُ الْبَنْيَانِ، فَإِذَا فَقَدَ مِنْهَا شَيْءٌ نَقْصَ الْبَنْيَانِ وَهُوَ قَائِمٌ لَا يَنْتَقِصُ بِنَقْصِ ذَلِكَ، بِخَلْفِ نَقْصِ هَذِهِ الدُّعَائِمِ الْخَمْسِ فَإِنَّ الإِسْلَامَ يَزُولُ بِفَقْدِهَا جَمِيعًا بِغَيْرِ إِشْكَالٍ، وَكَذَلِكَ يَزُولُ بِفَقْدِ الشَّهَادَتَيْنِ، =

س ٥ - ما دليل شهادة أن لا إله إلا الله؟

قوله تعالى : ﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا  
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> .

= والمراد بالشهادتين : الإيمان بالله ورسوله" انتهى .

وقال الإمام ابن الصلاح في "صيانته صحيح مسلم" ص : ١٣٤ : "وحكمة الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين ، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها ، وبقيامه بها يتضمّن استسلامه ، وتركه لها يُشعر بالخلال قيد انتقامه أو احتلاله" انتهى .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَيَّ بَيْنَ اللَّهِ وَأَظْهَرَ ؛ لَأَنَّ مَعْنَى الشَّهَادَةِ تَبَيَّنُ  
وَإِظْهَارُ ، وَقَدْ أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى شَهَادَتَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي مُحْكَمٍ آيَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ ،  
كَمَا أَعْلَمَ سُبْحَانَهُ شَهَادَتَهُ فِي آيَاتِهِ النُّفُسِيَّةِ وَالْأَفَاقِيَّةِ .

فيقول سُبْحَانَهُ في آياته النُّفُسِيَّةِ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ  
خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ  
تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦] . فتطوير الأجنحة في أرحام الأمهات ، وتخليقها خلقاً من  
بعد خلق ، ذلك أمر يحتاج إلى خالق عظيم ، لا وهو الله الخالق العظيم ،  
ويقول سُبْحَانَهُ أيضاً : ﴿ هُوَ الَّذِي يَصُوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦] ، فهو الْذِي صوَّرَ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي  
صُورَةٍ ، وَجَعَلَ لَهُ هِيَةً وَصُوتًا وَمِزاجًا يُخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ ، مَا يَشَاءُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ .  
ويقول سُبْحَانَهُ معلناً شهادته في آياته الْأَفَاقِيَّةِ : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ -

عليم . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيْلٍ ﴿١٠١﴾ [الأنعام : ١٠٢-١٠١] .

فهو سُبْحَانَهُ أعلم عِبادَهِ إِلَى تَوْحِيدِهِ بِمَا يَبْيَنُ مِنْ عَجَابِ مَصْنُوعَاتِهِ وَدَلَائِلِ  
قَدْرَتِهِ ، وَلِذَا قَيْلَ :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ  
تَدْلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ  
وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي : وَشَهَدَ الْمَلَائِكَةُ ، فَمَعْنَى شَهَادَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى : الْإِخْبَارُ وَالْإِعْلَامُ ، وَمَعْنَى شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ : الْإِقْرَارُ وَالْاعْتَرَافُ  
بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿وَأُولُو الْعِلْم﴾ أي : وَشَهَدَ أُولُو الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .  
قال ابن رجب في "شرح حديث أبي الدرداء" ص ٤٨ : "وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ  
الْعُلَمَاءِ ، وَيُرَادُ إِدْخَالُ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِمْ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْم﴾ فَلَمْ يُفْرِدْ الْأَنْبِيَاءَ بِالذِّكْرِ ، بَلْ أَدْخَلَهُمْ فِي  
مَسْمَى الْعُلَمَاءِ ، وَكَفَى بِهَذَا شَرْفًا لِلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ يُسَمَّوْنَ بِاسْمٍ يَجْتَمِعُونَ هُمْ  
وَالْأَنْبِيَاءُ فِيهِ" انتهى .  
﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي : بِالْعَدْلِ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَائِمٌ عَلَى تَدْبِيرِ خَلْقِهِ ،  
وَمَجَازٌ لَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِنَّمَا كَرَرَهُ لِلتَّأْكِيدِ وَالْتَّعْلِيمِ أي : قَوْلُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
﴿الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ .  
قال ابن القيم في "المدارج" ٣ : ٤٦٠ : "فَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ :  
الدَّلَالَةُ عَلَى وَحْدَانِيَتِهِ الْمَنَافِي لِلشَّرِكِ ، وَعَدْلِهِ الْمَنَافِي لِلظُّلْمِ ، وَعِزَّتِهِ الْمَنَافِي  
لِلْعَزْزَةِ ، وَحِكْمَتِهِ الْمَنَافِي لِلْجَهْلِ وَالْعَيْبِ . فِيَهَا الشَّهَادَةُ لِهِ بِالْتَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ  
وَالْقَدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَهَذَا كَانَتْ أَعْظَمُ شَهَادَةً" .

س٦٤ - ما معنی لا إله إلّا الله؟

معناه : لا معبود بحق إلّا الله وحده<sup>(١)</sup> .

س٦٧ - ما المقصود بـ (لا إله)؟

المقصود : نفي جميع ما يُعبد من دون الله .

س٦٨ - ما المقصود بـ (إلّا الله)؟

المقصود إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كمَا

أنّه ليس له شريك في ملكيّه<sup>(٢)</sup> .

(١) أمّا العبودات سواه سبحانة فإن إلهيتها التي يزعمها عابدوها باطلة ، ويدل ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢] ، قوله سبحانة : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْلَّاتَ وَالْعَزَّى وَمَنَّاةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى أَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْشَى تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْزِي إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَهْدَى ﴾ [النَّحْمَ] : ١٩-٢٣] ، قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف : ٤٠] .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْذُّلُّ وَكَبْرَةٌ تَكْبِيرًا ﴾ [الإِسْرَاءَ] : ١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ الَّذِي لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلْكِ ﴾ [الفرقان : ٢] .

س ٤٩ - ما تفسيرُها الْذِي يوضّحُها؟

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الزخرف . الآيات : ٢٦-٢٨].

فَاللَّهُ يَعْلَمُ الْذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُ الْعِبَادَةَ دُونَ سُوَاهٍ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلَكُونَ مِنْ قِطْمَيْرٍ ﴾ [فاطر : ١٣] . وَالقطمير هو لفافة النواة ، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة .

وقال سبحانه : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦] . أي : فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره؟

(١) قوله تعالى فيما أخبر عن عبده وخليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأوثان ، وهذا فيه معنى (لإله) ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ إِلَّا من الله الَّذِي خَلَقَنِي ، وفيه معنى : (إلا الله) ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ يرشدُنِي إلى دينه ، ويسْبِّحُنِي على الهدایة ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ أي : وجعلَ إبراهيم كلمة التوحيد ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ أي : في ذرَّتِه ، فلا يزالُ فيهم مَنْ يوَحِّدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي : لعلَّ من أشركَنِهم يرجع بدعاء من وَحْدَةِ مِنْهُمْ ، وقيل : لعلَّ أهْلَ مَكَةَ يَتَّبعُونَ هَذَا الدِّينَ ، ويرجِعونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرُكَ إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِمَةِ .

فَشَهَادَةُ التَّوْحِيدِ هِيَ الْكَلِمَةُ الْبَاقِيَةُ . روى الطبرى ٢١ : ٥٨٩ عن مُحَمَّدٍ وَالضَّحَّاكَ وَقَنَادَةَ وَالسُّدُّيِّ وَغَيْرِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ يَعْنِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَزَالُ فِي ذرَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ يَقُولُهَا مِنْ بَعْدِهِ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَن لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشَرِّكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتْخِذَ  
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة آل عمران ، الآية : ٦٤] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ۚ ۚ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ۚ ۚ تَعَالَوْا ۚ ۚ  
هَلَّمُوا ۚ ۚ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ۚ ۚ أَيٌ : مُسْتَوْيَةٌ ، فِيهَا الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ ، لَا مَيْلَ  
فِيهَا وَلَا جَوْرٌ ۚ ۚ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۚ ۚ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا الْقُرْآنُ وَالْتُّورَاةُ وَالْإِنْجِيلُ ،  
وَتَفْسِيرُ الْكَلِمَةِ ، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشَرِّكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا  
يَتْخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ ۚ وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ :  
عَبَدُوا الْمَسِيحَ !! ، وَأَشَرَّكُوا بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ قَدُّسٌ ، فَجَعَلُوا  
الْوَاحِدَ ثَلَاثَةَ ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَطِيعُونَهُمْ فِيمَا  
يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنَ الشُّرُكَ ، وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ ، وَهَذَا مَعْنَى اتَّخَادُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا  
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

وَمَعْنَى الْآيَةِ : قَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى : هَلَّمُوا إِلَى أَمْرِ عَدْلٍ  
وَنَصْفٍ ، وَهُوَ أَن لَا نَقُولَ عَزِيزًا ابْنَ اللَّهِ ، وَلَا نَقُولَ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ؛ لَأَنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَشَرٌ مُخْلوقٌ مُثْلُنَا ، وَلَا نُطِيعُ أَحْبَارَنَا وَرَهْبَانَنَا فِيمَا أَحْدَثُوا مِنَ  
الْتَّحْلِيلِ وَالْتَّحْرِيمِ بِغَيْرِ مَا شَرَعَ اللَّهُ ۚ ۚ فَإِنْ تَوَلُّوْا ۚ ۚ يَعْنِي أَعْرَضُوا عَمَّا أَمْرَتْهُمْ  
بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ۚ ۚ فَقُولُوا ۚ ۚ أَنْتُمْ لِهُؤُلَاءِ ۚ ۚ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۚ ۚ أَيٌ  
مُخْلِصُونَ بِالْتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ ۚ ۚ

=

## س٥٠ - ما دليلُ شهادة أَنَّ مُحَمَّداً رسولَ اللهِ<sup>(١)</sup>؟

روى البخاري في بدع الوحي (٧) ومسلمٌ في الجهاد (١٧٧٣) عن ابن عباس أَنَّ أبا سفيان أخبره أَنَّ هِرَقْلَ أُرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قَرِيشٍ، وَكَانُوا تَجَارِّاً بِالشَّامِ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قَرِيشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُوَ بِإِيلِيَّاءِ، فَدَعَاهُمْ فِي مَحْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عَظِيمُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ : سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، إِنْ تَوَلِّنَا فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِينِ، وَلَا يَأْهُلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءِ يَبْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَتَخَذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّنَا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ" ، والأَرِيسِيُّونُ : الْأَتَّبَاعُ مِنْ أَهْلِ مَلْكَتِهِ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ أَرِيسٍ، وَالْأَرِيسُ هُوَ الْأَزَارُ وَالْفَلَاحُ .

(١) إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَقْتَضِي مِنْ ذَاتِ مَعْنَاهَا : أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هُوَ : أَنَّهُ لَا مَعْبُودٌ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ، وَذَلِكَ حَقٌّ لَهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ لَأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ، وَهَذَا الْحَقُّ الْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَؤْدُوهُ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُعْلَمُ كَيْفِيَّتُهَا، وَلَا نُوَعِيَّتُهَا، وَلَا كَمِيَّتُهَا، وَلَا صِيَغَ أَقْوَالِهَا، وَلَا هِيَاتُ أَفْعَالِهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ بَأْنَ يُوحِي إِلَى رَسُولِهِ ﷺ تَبْلِيغُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، وَيَعْلَمُهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَيْفِيَّتِهَا، وَكَمِيَّتِهَا، وَأَوْقَاتِهَا، وَأَعْدَادِهَا، وَأَنْواعِهَا، =

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَّوِيفٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> [التوبه: ١٢٨] .

= قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنياء : ٢٥] ، فلا يعبد الله سُبْحَانَهُ ولا يتقرَّبُ إليه إلَّا بما شرعه سُبْحَانَهُ . وقد بعَثَ الله خاتَمَ رُسُلِهِ والأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِهِ لِيَعْلَمُوا النَّاسَ كِيفَ يَعْبُدُونَ الله سُبْحَانَهُ .

كما أَنَّ ( لَا إِلَهَ إِلَّا الله ) تستلزم و تقتضي أَنَّ مُحَمَّداً رسول الله ؛ لأنَّ الله تعالى هو الإِلَهُ الْحَقُّ ، فلابد أن يتعهَّد عباده بما يصلح أمورهم في دنياهم و آخرتهم ، وأن يَعْبُدُهُم بالتشريع الْذِي فيه سعادتهم و صلاحهم ونجاتهم ، وبيّن لهم ذلك .

وهذا البيان إنما يكون بواسطة رسول من عنده ، فبِعَثَةُ رسول الله ﷺ هي المقتضى المُحْتَمَلُ من كلمة : لَا إِلَهَ إِلَّا الله .

(١) قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ هذا خطاب للعرب يعني : لقد جاءكم أَيُّهَا الْعَرَبُ رسول مِنْ أَنفُسِكُمْ تُعرفون نَسَبَةً وَحَسَبَةً ، وأنه من ولد إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِيلَ ، والمقصود في قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ترغيَّبُ الْعَرَبِ فِي الإِيمَانِ بِهِ ، وَنَصْرَهُ فِي أَنَّهُ تَمَّ شَرْفُهُمْ بِشَرْفِهِ ، وَعَزَّتُهُمْ بِعَزَّهُ ، وَفَخَرُّهُمْ بِفَخْرِهِ ، وَهُوَ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ يُعْرَفُونَهُ بِالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ وَالْعَفَافِ وَطَهَارَةِ النِّسَبِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ .

وقيل : إنَّ قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ عامٌ ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْعُمُومِ أَوْلَى ، فَيُكَوِّنُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْقَوْلِ : لَقَدْ جَاءَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ ، أي : مِنْ جَنْسِكُمْ ، بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَضَعَفَتْ قُوَّةُ الْبَشَرِ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِهِ وَالْأَنْدَزِ عَنْهُ .

س ٥ - ما معنى شهادة أَنَّ مُحَمَّداً رسول الله؟

طاعتهُ فِيمَا أَمَرَ ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عنْهُ  
وَرَجَرَ<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ لَا نَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ<sup>(٢)</sup> .

وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُم﴾ أي : شديدٌ عليه عنتكم ، وهو دخول  
المشقة عليهم والمكروه والأذى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي : حريصٌ على  
إيمانكم ، وإيصال الخير إليكم ، وهدى ضلالكم ، وتوبيتهم ورجوعهم إلى الحق .  
قال الطبرى في تفسيره ٤ : ٥٨٦ : "إِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَحْجُزُ أَنْ يُوصَفَ  
بِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ عَنْتُ جَمِيعَهُمْ ، وَهُوَ يَقْتَلُ كُفَّارَهُمْ ، وَيَسْبِي  
ذَرَارَيْهِمْ ، وَيُسْلِبُهُمْ أَمْوَالَهُمْ؟ قَيْلٌ : إِنَّ إِسْلَامَهُمْ لَوْ كَانُوا أَسْلَمُوا كَانَ أَحَبَّ  
إِلَيْهِ مِنْ إِقْامَتِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَاهُ ، حَتَّى يَسْتَحْقُوا ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ،  
وَإِنَّمَا وَصْفُهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاءَهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنْتُهُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتُوا  
مَا يُعْتَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنْ يَضْلُّوْا فَيَسْتُوْجِبُوْا عَنْتُهُمْ مِنَ اللَّهِ بِالْقَتْلِ وَالسَّيْءِ" انتهى .  
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ يعني أَنَّهُ رَفِيقُ الْمُطَهَّرِينَ ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ ،  
وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِجَهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغُلْظَةِ عَلَيْهِمْ .

(١) قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] ،  
وقال ﷺ : ((ما أَمْرَتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ)).

(٢) لِأَنَّ الْعِبَادَةَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ خَصَائِصِهَا (الْتَّوْقُفُ) فَهِيَ مُوقَفَةٌ عَلَى مَا شَرَعَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَا بَيَّنَهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿وَإِنَّكَ  
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تُصْبَرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى : ٥٢-٥٣] .

## س ٥٢ - ما دليل الصلاة والزكاة وتفسیر التوحید؟

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءٌ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ <sup>(١)</sup> [البینة: ٥] .

فمن ابتدع عبادة لم يأذن بها الله لم تكن عبادة له سبحانه ، والله لا يقبل أن يعبد إلا بما شرع من عبادات .

وهذه الخصيصة التوفيقية دلت عليها أدلة كثيرة تأمر بالاتباع ، وتنهى عن الابتداع ، ومن ذلك قوله ﷺ : (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) ، وفي رواية مسلم : (( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد )) .

وقوله ﷺ : (( فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدي ، عضواً عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلال )) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) .

وقوله ﷺ في شأن الصلاة : (( صلوا كما رأيتونني أصلى )) رواه البخاري .

وقوله ﷺ في شأن الحج : (( حذوا عني مناسككم )) رواه النسائي .

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "العبودية" ص ١٧٠ -

١٧١ : "وجماع الدين أصلان : أن لانعبد إلا الله ، ولا نعبد بالبدع" انتهى.

(١) الصلاة في اللغة : الدعاء ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ﴾ [التوبه : ١٠٣] أي : ادع لهم .

وفي الاصطلاح : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة .

= والصلوة أكمل الفروض بعد الشهادتين وأفضلها ، وهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به .

والزكاة في اللغة : النماء والزيادة . وشرعًا : إخراج جزء من مال مخصوص لقوم مخصوصين بشرائط مخصوصة .

وركنتها ووجوبها ثابتان بالكتاب والسنّة والإجماع ، وقرنت بالصلوة في القرآن الكريم في اثنين وثمانين آية .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُوا﴾ يعني : وما أمر الله هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي : ما أمروا إلّا أن يعبدوا الله . قال ابن عباس : ما أمروا في التوراة والإنجيل إلّا بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لله مُوحِّدين له ﴿مُخَلِّصِينَ لِهِ الدِّين﴾ أي : مُفرِّدين له الطاعة ، لا يخلطون طاعة ربهم بشرك ، فأشرك اليهود بربّها بقولهم : إِنَّ عَزِيزًا بْنَ اللَّهِ ، والنصارى بقولهم في المسيح قبل ذلك ، وجحودهم نبوة محمد ﷺ .

والمراد بإخلاص الدين : هو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى ، مخلصاً له لا يريد بذلك رباءً ولا سمعةً ولا عرضاً آخر ، فيجعل العبد عبادته لمحض العبودية ، واعترافاً لربه سبحانه بالربوبية .

وقوله سبحانه : ﴿حُنَافَاء﴾ أي : مائلين عن الأديان كُلُّها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي : المكتوبة في أوقاتها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي : المفروضة في محلها ، وإنما حصل الله سبحانه إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة بالذكير مع أنهما من العبادة ؛ لما لهما من الأهمية ، فالصلوة عبادة بدئية ، والزكوة عبادة مالية ، وهما قرینتان في كتاب الله عز وجل ﴿وَذَلِكَ﴾ الذي أمروا به ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي : الملة المستقيمة العادلة دون اليهودية والنصرانية .

## س ٥٣ - ما دليل الصيام؟

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة : ١٨٣] .

## س ٤٥ - ما دليل الحج؟

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [آل عمران : ٩٧] .

(١) دليل وجوب الصيام قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ ﴾ أي : فرض ﴿ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ الصوم في اللغة : الإمساك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فلن أَكُلُّ الْيَوْمَ إِنْسِيًا ﴾ [مريم : ٢٦] أي : صمّتًا ؛ لأنَّه إمساك عن الكلام .

والصوم في الشرع : الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص ، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية .

وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني : من الأنبياء والأمم ، فالصوم عبادة قدية ما أخلَى الله أمةً لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم ، أي : أنتم مُتَعَبِّدُون بالصوم في أيامٍ كما تَعَبَّدَ من كان قبلكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ العاصي بالصوم ؛ لما فيه من كسرِ النفس ، وترك الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما .

(٢) الحج : بفتح الحاء ، ويجوز كسرها ، هو لغة : القصد ، وفي الاصطلاح : قصد موضع مخصوص ( وهو البيت الحرام وعرفة ) في وقت مخصوص ( وهو = أشهر الحج ) للقيام بأعمال مخصوصة .

وَدَلِيلُ وجوبِ الحجِّ قوله ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ أي : والله على الناس فرض حجّ البيت ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ أي : أنَّ فرض الحج واجبٌ على من استطاع من أهل التكليف ، ووُجُدَ السَّبِيلُ إِلَى حجٍّ بيت الله الحرام ، فلا يجب على غير المستطيع ، فلو تَكَلَّفَ غير المستطيع الحج وحجٌّ صَحَّ حجُّه وسقط عنه فرض حجّة الإسلام .

والاستطاعة نوعان : أحدهما : أن يكون مستطيناً بنفسه ، والآخر : أن يكون مستطيناً بغيره ، فأمّا المستطيع بنفسه : فهو أن يكون قويّاً قادرًا على الذهاب ، ووُجُدَ الرَّادُ والراحلة .

وأمّا المستطيع بغيره : فهو أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه ؛ لأنَّ كَانَ به مرضٌ لا يُرْجِحُ بُرُؤَةً ، وله مالٌ يُمْكِنُهُ أن يستأجرَ من يحجّ عنه ، فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه ، والتفصيل وذُكرُ اختلاف الفقهاء مما لا يسعه هذا المختصر .

قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ يعني : ومن جَحَدَ ما أَلْزَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ فَرْضِ حجّ بَيْتِهِ وَكَفَرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِهِ وَعَنْ حَجَّهِ وَعَمَلِهِ ، وَجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكُفَّارِ ، أَيْ : وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ مَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ صَحَّةِ الْجَسْمِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَلَمْ يَحْجُجْ فَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَغْنٌ عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْ طَاعَتِهِمْ .

## ٢- الإيمان<sup>(١)</sup>

(١) قَدَّمَ المرتبة الأولى وهي الإسلام ، وثُنِيَ بمرتبة الإيمان ، والإيمان إذا أفرد ذكره فإنه يشمل أمور الدين كلها : عقائده وأعماله وأقواله ، فيكون المراد من الإيمان : الإيمان الاعتقادي والعملي والقولي ، فيكون الإسلام والإيمان مترافقين عند إفراد أحدهما بالذكر .

ومن الآيات التي ذُكر فيها الإيمان مفرداً ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا ﴾ [الأنفال : ٤-٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيِّرَ حَمْمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبه : ٧١] .

وكذلك جاءت الأحاديث الكثيرة : منها حديث وفد عبد القيس - المتفق عليه - وفيه : (( فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، وقال لهم : هل تدرؤن ما الإيمان بالله تعالى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، =

= قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تؤدوا حُمُسًا من المغن ) ، ولم يذكر الحج لأنه لم يُفرض وقتها ، ففسر الإيمان بأعمال الإسلام .

ومنها حديث شعب الإيمان الذي سيدكره المصنف : (( الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها إيمان لا إله إلا الله ، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان )) .

وأما إذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في آية أو حديث على وجه الإقرار ، فعندما يختص الإسلام بالأعمال والأقوال الشرعية التكليفية ، ويختص الإيمان بالعقائد القلبية كما تقدم ذكره عند المرتبة الأولى : ( الإسلام ) ص : ١٠٥ .

وأما إذا اقترب ذكر الإسلام والإيمان في آية قرآنية أو حديث نبوى لا على وجه الإقرار ، بل على سبيل النفي كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَغْرَابُ آمَنَا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [ الحجرات : ١١ ] فنفي عنهم الإيمان القلبي الاعتقادي ، وأثبت لهم الاستسلام الظاهري ، وهذا الاستسلام - ولو ظاهراً - يُحرّي عليهم أحكام المسلمين في الدنيا ، ولكن إذا بقي على ذلك ولم يدخل الإيمان الجازم قلبه فهو مع المنافقين يوم القيمة .

ولهذا قال المحققون من العلماء : كل مؤمن مسلم ، فإن من حق الإيمان ورسوخ في قلبه ، قام بأعمال الإسلام ، وليس كل مسلم مؤمناً ، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً في قلبه ، مع عمل جوارحه أعمال الإسلام ، فيكون مسلماً لم يصل إلى درجة الإيمان التام ، وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر .

س ٥٥ - ما المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام ؟

هي الإيمان<sup>(١)</sup> .

س ٥٦ - كم شعب الإيمان ؟

هي بضعة وسبعون شعبة، أعلىها : قول (لا إله إلا الله)، وأدنىها : إماتة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الإيمان في اللغة : التصديق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [يوسف : ١٧] أي : بمصدقنا لنا .

وفي الشرع : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان .  
فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه ، فهو منافق وليس مؤمن ، ومن لم ينطق بلسانه - مع القدرة - لا يسمى مؤمنا .  
وأما أعمال الجوارح فهي تابعة لأعمال القلوب ، ولازمة لها ، فهي داخلة في مسمى الإيمان ، وما يدل على ذلك حديث : شعب الإيمان ؛ الذي استدل به المصنف .

(٢) روى مسلم (٣٥) ، من حديث أبي هريرة : "الإيمان بضعة وسبعون شعبة..."  
والبِضْعُ : بِكْسِرِ الْبَاءِ ، ما بَيْنَ الْثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ ، وَالشُّعْبَةُ : الْقَطْعَةُ مِنِ الشَّيْءِ ، وَإِمَاطَةُ الأذى عن الطريق هو عزل الحَجَرِ وَالشَّوْكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ عَنْهُ ، والحياء : هو انقباض النفس عن فعل القبيح ، وإنما جُعلَ من الإيمان ؛ لأن المستحيي يتزجر باستحياءه من الله عن المعاصي .

## س ٥٧ - كم أركان الإيمان؟

ستة : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتومن بالقدر خيره وشره" .

## س ٥٨ - ما الدليل على ذلك؟

قوله تعالى : ﴿ لِيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ <sup>(١)</sup> [البقرة : ١٧٧] .

---

(١) البر : اسم جامع لـ كل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله ، المؤدية إلى الجنة ، وقد بيّن الله سبحانه خصال البر ، وذكر بـ العقيدة أولاً ، المشتمل على الأركان الإيمانية الخمسة ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ ، والإيمان بالكتاب يشمل الإيمان بـ جميع الكتب المُنَزَّلة . وهذه الأركان الإيمانية الخمسة ذكرها الله سبحانه في أواخر سورة البقرة ، فقال سبحانه : ﴿ آمَنَ الرَّوْسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] ، فـ ذكر الله في هذه الآية الكريمة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والمصير إليه - وهو اليوم الآخر - .

## س ٥٩ - ما دليلُ الْقَدْرِ ؟

قولُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ <sup>(١)</sup> [القمر: ٤٩] .

(١) الْقَدْرُ وَالْقَدْرُ : بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان ، ومعنى القدر : أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه "شرح التوسي على مسلم" ١ : ١٥٤ .

ودليل الإيمان بالقدر قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ أي : بتقدير سابق مكتوب في اللوح المحفوظ ، أو خلقنا كُلَّ شَيْءٍ مُقدَّرًا مُحَكَّمًا مرتبًا على قدرِهِ الَّذِي ينبعُ له .

روى مسلم في صحيحه في كتاب القدر ٤ : ٢٠٤٦ (٢٦٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشرِّكٌ إلى النبي ﷺ يُخَاصِّمُونَهُ في القدر ، فنزلتْ هذه الآية : ﴿إِنَّ الْمُجْرَمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرُ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ [سورة القمر : ٤٧-٤٩] .

فقوله سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ المراد بالقدر هنا كما يدلُّ عليه سبب نزول هذه الآية : القدر المعروف ، وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته ، فكُلُّ ذَلِكَ مُقدَّرٌ في الأَزَلِ ، معلوم لله تعالى ، مُرَادٌ له .

قال الخطابي في "معالم السنن" ٤ : ٣٢٢-٣٢٤ : وقد يحسب كثيرٌ من الناس أنَّ معنى القضاء والقدر إجبارُ الله تعالى العبد وقهرُهُ على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمنه ، وإنما معناه : الإِخْبَارُ عَنْ تَقْدِيمِ عِلْمِ الله تعالى بِمَا يَكُونُ مِنْ أَكْسَابِ الْعَبْدِ وَصَدُورِهَا عَنْ تَقْدِيرٍ مِنْهُ ، وَخَلَقَ لَهَا خَيْرًا وَشَرًا . =

---

= قال : "والقدَرُ اسْمٌ لِمَا صَدِرَ مَقْدِرًا عَنْ فَعْلِ الْقَادِرِ ، يُقَالُ : قَدَرْتُ الشَّيْءَ وَقَدَرْتُهُ - بِالْتَّحْفِيفِ وَالتَّشْقِيلِ - بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ . وَالْقَضَاءُ فِي هَذَا مَعْنَاهُ الْخَلْقُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَوْفَاتٍ﴾ [فَصْلُتْ : ١٢] أَيْ : حَلَقَهُنَّ .

قال النووي في "شرح مسلم" ١ : ١٥٥ : "وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية ، والله أعلم" . انتهى .

### ٣ - الإحسان<sup>(١)</sup>

س٦٠ - ما المرتبة الثالثة من مراتب دين الإسلام ؟  
هي الإحسان ، وله ركن واحد.

س٦١ - ما هو الإحسان ؟

"هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُ" <sup>(٢)</sup> .

---

(١) قدم مرتبتي الإسلام والإيمان ، ثم ذكر المرتبة الثالثة من مراتب الدين ، وهي الإحسان ، فالإحسان أعلى المراتب وأعمُّها من جهة نفسها ، وأخصها من جهة أصحابها ، كما أن الإيمان أعمُّ من جهة نفسه ، وأخصُّ من جهة أصحابه ، وهذا يقال : كل محسن مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن محسناً . وإذا ما أطلق الإحسان فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام ، فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر ، أوسعها دائرة الإسلام ، ثم يليها في السُّعَةِ الإيمان ، ثم أضيقها الإحسان ، كدوائر كلٌّ واحدة منها محيطة بالآخر ، فأهل الإحسان هم خواص أهل الإيمان ، كما أن أهل الإيمان خواص أهل الإسلام .

"حاشية ابن قاسم ص ٦٦-٦٧ باختصار" .

(٢) قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١ : ٢١١ : "المراد : أَنَّ نَهَايَةَ مَقَامِ الإحسان : أَنْ يَعْبُدَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ بَقْلَبِهِ ، فَيَكُونُ مُسْتَحْضِرًا بِبَصِيرَتِهِ وَفِكْرَتِهِ لِهَذَا الْمَقَامِ ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ اِنْتِقَالًا إِلَى مَقَامٍ آخَرَ ، وَهُوَ : أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَطْلُبُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِهِ" .

## س ٦٢ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحسِّنُون﴾<sup>(١)</sup> [من سورة النحل ، الآية : ١٢٨] .

ثم قال : "قال بعض السلف : من عمل الله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص . فهذا مقامان : أحدهما مقام المراقبة ، وهو أن يستحضر العبد قرب الله منه واطلاعه عليه ، فيتخايل أنه لا يزال بين يدي الله ، فيراقبه في حركاته وسكناته ، وسيره وعلاناته ، فهذا مقام المراقبين المخلصين ، وهو أدنى مقام الإحسان .

والثاني : أن يشهد العبد بقلبه ذلك شهادة فيصير كأنه يرى الله ويشاهده ، وهذا نهاية مقام الإحسان ، وهو مقام العارفين" انتهى ، وانظر "جامع العلوم والحكم" ١ : ١٢٧ - ١٣٠ .

وقال ابن القيم في "مدارج السالكين ٢ : ٥٧" في منزلة الرغبة : "ولو كان فوق مقام الإحسان مقام آخر لذكره النبي ﷺ لجبريل ، ولسؤاله جبريل عنه ، فإنه جَمَعَ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلُّهَا فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ، وَتَحْقِيقِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ : أَنْ يَفْنِي بَحْبَه وَخَوْفَه وَرَجَائِه ، وَالْتَّوْكِلَ عَلَيْهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَالتَّبَّلُ إِلَيْهِ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلِيُسْ فَوْقَ ذَلِكَ مَقَامٌ يُطَلَّبُ" اهـ .

(١) أورَدَ المؤلِّفُ هنا ما يحملُ المُسلِّمُ على التَّحْقُّقِ بِالْإِحْسَانِ ، وَهُوَ مَرَاقِبُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ؛ لَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ مُطْلِعٌ عَلَى سِرِّهِ وَعِلْمِهِ ، وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَهُ حِيثُمَا كَانَ ، وَأَنَّهُ يَرَاهُ حِيثُمَا كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِهِ ، حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ ، وَدُمُّ الالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي عَمَلِهِ .

روى الطبراني (في مسنده الشاميين ٥٣٥، ١٤١٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: "إِنَّ أَفْضَلَ الإِيمَانَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حِيشُمَا كَنْتَ".

وروى البزار في مسنده من حديث عبد الله بن معاوية أنَّ رجلاً قال لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: ما تزكيةُ المرءِ نفسه يا رسول الله؟ قال: "أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حِيشُمَا كَانَ" (جامعُ العلوم والحكمة ١: ١٢١-١٢٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الظِّنَّاتِ وَالظِّنَّاتُ هُنَّ مُحْسِنُون﴾ قال ابن رجبٍ في "نور الاقتباس" ص ٥٦: "وَهَذِهِ الْمِعِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِالْمُتَقْبِلِينَ غَيْرُ الْمِعِيَّةِ الْعَامَّةِ الْمَذَكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤٠] فَإِنَّ الْمِعِيَّةَ الْخَاصَّةَ تَقْتَضِي النِّصْرَ وَالْتَّأْيِدَ وَالْحَفْظَ وَالْإِعْانَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُوسَى وَهَارُونَ: ﴿لَا تَحْافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرِي﴾ [طه: ٤٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبه: ٤٠]، وَكَانَ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَدْ قَالَ لِأَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رضي الله عنه فِي تَلْكَ الْحَالِ: "مَا ظَنَّكَ بِأَنْتِي اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"، فَهَذَا غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَذَكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [الْمَجَادِلَة: ٧]، فَإِنَّ ذَلِكَ عَامٌ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ انتهٰى.

وقوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة

الشعراء ، الآيات : ٢١٧-٢٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شَهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup>

[من سورة يونس ، الآية : ٦١] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي : إلى صلاتك ﴿ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ أي : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وترکع وتسجد ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ أي : إنَّ ربَك هو السميع تلاوتك ، وذِكرَك في صلاتك ، وما تتلو وتدرك ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما تعمل فيها ، ويَعْمَلُ فيها من يتقلب فيها معك مُؤْتَمًا بك ، يقول : فرتل فيها القرآن ، وَأَقِمْ حُدُودَهَا ، فِإِنَّكَ بِرَأْيِكَ وَمَسْنَعَ (تفسير الطبرى ٤١٣ : ١٩) .

(٢) يقول تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدَ ﷺ : ﴿ وَمَا تَكُونُ ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في شَأْنٍ ﴾ أي : في عملٍ من الأفعال ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْ قُرْآنٍ ﴾ وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ أيها الناسُ من خيرٍ أو شرًّا ﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شَهُودًا ﴾ إِلَّا وَنَحْنُ شُهُودٌ لأعْمَالِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ إذ تَعْمَلُونَها وَتَأْخُذُونَ فِيهَا (تفسير الطبرى ١١٤ : ١٥) .

## س ٦٣ - ما الدليل من السنة على مراتب الدين الثلاثة؟

حدثُ جبريلَ المشهور عن عُمَرَ بنِ الخطابِ قَالَ : "يَبْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عَنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ يَيْاضٌ الشَّيَابُ ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ<sup>(١)</sup> ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثْرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرَفُه مَنَا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ<sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ : "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتَؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحْجَجَ الْبَيْتَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا".

---

(١) زاد النسائي في سنه ٨ : ١٠١ في كتاب الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) عن أبي هريرة : "أَحْسَنُ النَّاسِ وِجْهًا ، وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا ، كَأَنَّ ثِيابَه لَمْ يَمْسَسْهَا دَنْسٌ" وكذلك الملائكة تمثل في أحسن الصور، وتأخذ أحسن الزينة، وفي هذا أسوة حسنة لأهل العلم الداعين إلى الله أن يتخللوا من الحلال الطيب بما يحسن منظره ولا يُزْرِي بِلَابِسِه، فذلك أدنى إلى توقير الناس لهم وميلهم إلى اتباعهم، وهو مع ذلك من شُكْرِ النعمة، فإنَّه تعالى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثْرَ نعمته على عبده (المختار ، للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٨١).

(٢) فكان في جلسته جامعاً بين أدب التوقير والاحترام، وبين حرارة الملاطفة التي لا تكون إلا عند تمام الألفة، وانقطاع الكلفة . (المصدر السابق).

قال : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ<sup>(١)</sup> .

قال : فَأَخْبَرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟

قال : "أَنْ تَؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرٍ وَشَرٍّ" .

قال : صَدَقْتَ ، فَأَخْبَرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟

قال : "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَائِنَكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" .

قال : فَأَخْبَرْنِي عَنِ السَّاعَةِ .

قال : "مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنِ السَّائِلِ" <sup>(٢)</sup> .

قال : فَأَخْبَرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا<sup>(٣)</sup> .

---

(١) لِأَنَّ السُّؤَالَ يَدْلِيُ عَلَى أَنَّهُ يَرِيدُ التَّعْلُمَ ، وَالتَّصْدِيقُ يَدْلِيُ عَلَى أَنَّهُ عَالِمٌ .

(٢) أَيْ : أَنَّ النَّاسَ كُلُّهُمْ فِي وَقْتِ السَّاعَةِ سَوَاءً ، وَكُلُّهُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَرَادَ جَبَرِيلُ السَّلَيْلَةَ بِسُؤَالِهِ عَنِ السَّاعَةِ : إِظْهَارُ انْفَرَادِ اللَّهِ بِعِلْمِهَا دُونَ خَلْقِهِ ، حَتَّى يَنْقُطَعَ السُّؤَالُ عَنْهَا ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يُسَأَلُ عَنْهَا حَتَّى نَزَّلَتْ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا إِلَى رَبِّكَ مِنْتَهَا﴾ [النَّازُورَاتُ : ٤٢-٤٤] ، وَنَزَّلَتْ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْقِتُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الْأَعْرَافُ : ١٨٧] .

(٣) لِمَّا كَانَ الْعِلْمُ بِوْقْتِ السَّاعَةِ الْمَسْؤُلُ عَنْهَا غَيْرُ مُمْكِنٍ اِنْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى سُؤَالِهِ عَنِ أَمَارَاتِهَا ، وَهِيَ أَشْرَاطُهَا وَعِلْمَاتُهَا الدَّالِلَةُ عَلَى اِقْتِرَابِهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَامَتَيْنِ .

قال : "أَن تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَن تَرَى الْحُفَّةَ الْعَرَاءَ  
الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوِلُونَ فِي الْبَيْانِ"<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المراد بالرَّبِّ : السَّيِّدُ ، وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، فَقِيلُ : الْمَرَادُ أَن يَكُثُرَ فَتْوُحُ  
بِلَادِ الْكُفَّرِ ، وَالسَّبَّيْ ؛ فَيَكُثُرَ السُّرَارِيُّ ، فَتَلِدَ الْإِمَاءُ الْأُولَادَ مِنْ سَادِتِهِنَّ ،  
وَوَلَدَ السَّيِّدُ بِمَنْزِلَةِ السَّيِّدِ ، فَتَصْبِرُ الْأَمَةُ وَلَدَتْ رَبَّهَا بِهَذَا الاعتْبَارِ .  
وَمَعْنَى هَذِهِ الْأَمْارَةِ : أَن يَصِيرَ أَبْنَاءُ الْإِمَاءِ سَادَةً وَمُلُوكًا ، وَبَنَاتُ الْإِمَاءِ سَادَاتٍ  
وَمُلْكَاتٍ ، فَيَكُونُونَ أَرْبَابًا وَرَبَّاتٍ لِأَمَهَاتِهِمْ ، وَلِغَيْرِ أَمَهَاتِهِمْ بِالْأُولَى ، وَقَدْ وَقَعَ  
ذَلِكَ مِنْذَ اَتَسْعَتُ الْفَتْوَحَاتِ .

وَقِيلُ : الْمَرَادُ بِقُولِهِ ﷺ : "أَن تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا" أَن يَكُثُرَ الْعَقُوقُ مِنَ الْأُولَادِ ،  
حَتَّى يُعَامِلَ الْوَلَدُ أُمَّةً مُعَالِمَةً أُمَّتِهِ بِالسُّبَّ وَالْإِهَانَةِ وَالْاسْتِخْدَامِ ، وَيُشَهِّدُ هَذَا :  
أَنَّهُ جَاءَ فِي رَوَايَةٍ : "أَن تَلِدَ الْمَرَأَةُ رَبَّهَا" فَلَمْ يَخْصُهُ بِالْأَمَةِ .

(٢) "الْحُفَّةُ الْعَرَاءُ" : جَمْعُ الْحَافِي الْعَارِيِّ ، الَّذِي لَا نَعْلَمُ بِرِجْلِهِ وَلَا ثُوبَ عَلَى بَدَنِهِ ،  
وَ"الْعَالَةُ" : الْفَقَرَاءُ ، جَمْعُ عَائِلٍ ، وَهُوَ ذُو الْعَيْلَةِ - بِفَتْحِ فُسْكُونِ - أَيِّ :  
الْفَقْرُ ، وَ"رِعَاءُ الشَّاءِ" هُمْ رِعَاءُ الْأَغْنَامِ ، وَ"يَتَطَاوِلُونَ" يَتَسَابَقُونَ وَيَتَنَافَسُونَ  
أَيُّهُمْ أَطْوَلُ بَنِيَانًا وَأَعْلَى ، وَالْمَرَادُ : أَنَّ أَسَافِلَ النَّاسِ يَصِيرُونَ رُؤْسَهُمْ ، وَتَكُثُرُ  
أَمْوَالُهُمْ حَتَّى يَتَبَاهَوْنَ بِطُولِ الْبَيْانِ وَزُخْرُفِهِ وَإِتقَانِهِ .

قَالَ ابْنُ رَجِبٍ فِي "جَامِعِ الْعِلُومِ وَالْحُكْمِ" ١ : ١٣٩ "مُضْمِنُونَ مَا ذُكِرَ مِنْ  
أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْأَمْوَالَ تُوَسَّدُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، فَإِنَّهُ  
إِذَا صَارَ الْحُفَّةُ الْعَرَاءُ رِعَاءُ الشَّاءِ ، وَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْحُفَّاءِ - رُؤُسُ النَّاسِ ،  
وَأَصْحَابُ الشَّرْوَةِ وَالْأَمْوَالِ ، حَتَّى يَتَطَاوِلُوا فِي الْبَيْانِ ، فَإِنَّهُ يَفْسُدُ بِذَلِكَ نَظَامُ  
الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ... " .

قال : فمضى ، فلبتنا مَلِيًّا ، فقال : "يَا عُمَرُ : أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ ؟" قلتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قال : "هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ" <sup>(١)</sup> رواه مسلم في صحيحه <sup>(٢)</sup> .

(١) قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١: ٢١٥ : "فهذه المقاماتُ الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسانُ يشملها اسم الدين، فمن استقام على الإسلام إلى موته عصمهُ الإسلامُ من الخلودِ في النار، وإن دخلَها بذُنبِه، ومن استقام على الإحسان إلى الموتِ وصلَ إلى الله عَزَّلَهُ، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] ، وقد فسرَ النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ الزيادةَ بالنظرِ إلى وجهِ الله عَزَّلَهُ في الجنة" .

وقال الحافظ ابن رجب في "الفتح" أيضاً ٢١١ : "فهذه الحديث قد اشتمل على أصولِ الدينِ ومهماهِ وقواعدِه، ويدخلُ فيه: الاعتقاداتُ، والأعمالُ الظاهرةُ والباطنةُ، فجميعُ علومِ الشريعة ترجعُ إليه من أصولِ الإيمان والاعتقاداتُ، ومن شرائعِ الإسلام العملية بالقلوب والجوارح، ومن علومِ الإحسان، ونفوذِ البصائر في الملائكةِ، وقد قيل: إنه يصلحُ أن يُسمَّى "أمَّ السُّنَّةَ" لرجوعها كلُّها إليه، كما تسمَّى الفاتحةُ "أمَّ الكِتَابِ" و "أمَّ القرآن" لرجوعِها إليها" .

وقال في "جامع العلوم والحكم" ١: ١٣٤ : "إِنَّ جَمِيعَ الْعِلُومِ وَالْمَعْرِفَةِ تَرْجِعُ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَتَدْخُلُ تَحْتَهُ، وَإِنَّ جَمِيعَ الْعُلَمَاءَ مِنْ فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَخْرُجُ عِلْمَهُمْ الَّتِي يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا... فَقِي هَذَا الْحَدِيثِ وَحْدَهُ كَفَايَةٌ، وَلَلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمَلْئَةُ" انتهى .

(٢) هذا الحديث تفرد مسلمُ عن البخاري بإخراجه من حديث عمر بن الخطاب <sup>رضي الله عنه</sup> برقم (٨)، وخرّجاه في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة <sup>رضي الله عنه</sup> : رواه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) .

### الأصل الثالث

معرفة نبينا محمد ﷺ

س ٦٤ - ما هو الأصل الثالث ؟

معرفة نبينا محمد ﷺ ، وهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

س ٦٥ - كم عمر النبي ﷺ ؟

ثلاث وستون سنة : منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشروننبياً ورسولاً<sup>(١)</sup> ، نبئ بـ ﴿اقرأ﴾<sup>(٢)</sup> ، وأرسل بـ

(١) منها ثلات عشرة سنة بعثة المكرمة ، وعشرون بالمدينة المنورة .

(٢) في قوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ وهذه السورة أول سورة أُنزلت من القرآن ، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله تعالى : ﴿ما لم يعلم﴾ ، وأماما باقي السورة فنزل بعد ذلك بستين ، وأول ما نزل بعد فتره الوحي سورة المدثر .

روى البخاري (٤) ومسلم (١٦١) عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يحذّر عن فتره الوحي - أي : عن احتباسه وعدم تتابعيه وتواليه في النزول - فقال لي في حديثه : فبيّنما أنا أمشي ، فسمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراً جالساً على كرسي بين السماء والأرض ، =

﴿المَدْرُ﴾<sup>(١)</sup> ، وبلدُهُ مكَةَ (وهاجرَ إِلَى الْمَدِينَةِ) .

## ٦٦ - بَأَيِّ شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ؟

فَجَئْتُ مِنْهُ -أَيْ : فَرَعِبْتُ مِنْهُ وَفَرَعْتُ -رَعْبًا ، فَقُلْتُ : زَمْلُونِي زَمْلُونِي ، فَدَرَرْتُ رُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْرُ﴾ إِلَى ﴿الرُّجْزَ فَاهْجُر﴾ قَالَ : ثُمَّ حَمَيَ الْوَحْيُ بَعْدَ وَتَابَعَ ، أَيْ : كَثُرَ نَزْولُهُ وَازْدَادَ بَعْدَ فَتْرَتِهِ .

وَقَدْ حُدِّدَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ فِي حَدِيثٍ مَرْسُلٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ الشَّعْبِيِّ بِأَنَّهَا كَانَتْ سَنْتَيْنِ وَنَصْفَ سَنَةٍ ، فَإِذَا ضَمَّنَا مُدَّةَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ إِلَى مُدَّةِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ، كَانَ مَجْمُوعُهَا ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَهِيَ مُدَّةُ النُّبُوَّةِ الَّتِي لَمْ يُؤْمَرْ فِيهَا بِالْتَّبْلِيغِ ، ثُمَّ نَزَّلَتْ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ فَكَانَ هَذَا أَوَّلُ مَا تَقْلِدَ مِهْمَةَ التَّبْلِيغِ وَالرِّسَالَةِ ، فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ عَشْرِينَ سَنَةً ، نَصْفُهَا فِي مَكَةَ ، وَنَصْفُهَا فِي الْمَدِينَةِ ، وَبِهَذَا يُجْمِعُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِمَكَةَ ، بَعْدَ الْوَحْيِ ، وَهِيَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ سَنَةً إِذَا حُسِبَتْ مُدَّةُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، وَعَشَرُ إِذَا حُسِبَتْ مُدَّةُ الرِّسَالَةِ وَحْدَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (الْمُخْتَارُ ، ص ٣٨-٣٩) .

(١) الْمَدْرُ : أَصْلُهُ الْمَدَّرُ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَدَّرُّ فِي ثِيَابِهِ لِيَسْتَدْفَعَ بِهَا ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى (مُدَّرًا) لِقَوْلِهِ تَعَالَى : "دَرُونِي" ، وَيُشَيِّرُ الْمَصْنُفُ بِقَوْلِهِ : "بَئِيْ بِـ (أَفْرَا) وَأَرْسِلَ بِـ (الْمَدْرُ) إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ؛ فَالنَّبِيُّ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِالبَلَاغِ ، وَالرَّسُولُ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ ، فَالرَّسُولُ أَعْمَمُ مِنَ النَّبِيِّ ، وَعَلَى ذَلِكَ : فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا ، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْمُشْهُورُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ .

وَالْقَوْلُ الْمُخْتَارُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ : أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ ، وَالنَّبِيُّ هُوَ الْمَبْعُوثُ لِتَقْرِيرِ شَرَعٍ مَنْ قَبْلَهُ ، وَكُلُّ مَنْ رَسُولٍ وَالنَّبِيُّ مَأْمُورٌ بِالْتَّبْلِيغِ .

بعثه الله بالنذارة<sup>(١)</sup> عن الشرك ، وبالدعوة إلى التوحيد<sup>(٢)</sup> .

س ٦٧ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدْثُر قُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فَأَنذِرْ وَرَبَكَ فَكَبِرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ<sup>(٤)</sup> وَلِرَبِّكَ

فَاصْبِرْ<sup>(٥)</sup> [من سورة المدثر : الآيات ١-٧] .

س ٦٨ - ما معنى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ؟

معناه : أنذر عن الشرك ، وادع إلى التوحيد .

(١) النذارة والإذنار : إخبار فيه تخويف ، كما أن التبشير : إخبار فيه سرور .

(٢) قال تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ [الشورى : ٧] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ [يس : ٦] .

(٣) خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ مُلْقًا إِيَاهُ بِصَفَتِهِ وَهِيَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا عِنْدَ نَزْوَلِ الْوَحْيِ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدْثُر ﴾ تنبئهَا لَهُ أَنَّ هَذَا الْمَدْثُرُ الَّذِي هُوَ عَنْوَانُ الرَّاحَةِ وَالدَّعْةِ أَصْبَحَ لَا يَتَفَقَّ وَالْمَهْمَةُ الَّتِي سَتَلْقَى عَلَى عَاتِقِهِ ، وَلَذِكَ أَتَبَعَ هَذَا النَّذَاءَ بِأَمْرِهِ بِالْقِيَامِ فَقَالَ : ﴿ قُمْ ﴾ مِنْ مَضْحِعِكَ ، وَأَلْقِ دِثَارَكَ ، وَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدْ .

وَسِيَذْكُرُ الْمُصْنِفُ تَفْسِيرَ بَقِيَّةِ الْآيَاتِ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴾ يعني : لَا تُعْطِ مَالَكَ مَصَانِعَةً لِتُعْطَى أَكْثَرَ مَا أُعْطِيَتْ ، لَأَنَّكَ مَأْمُورٌ بِأَجَلِ الْأَخْلَاقِ ، وَأَشْرَفِ الْآدَابِ ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفْسِرِينَ ، وَقَيْلٌ : لَا تَمْنُنْ عَلَى النَّاسِ بِمَا تُنْعَمُ عَلَيْهِمْ وَتُعْطِيهِمْ ؛ اسْتَكْثَارًا مِنْكَ لِتَلِكَ الْعَطِيَّةَ ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُحْبِطُ الْعَمَلِ .

(٥) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ<sup>(٦)</sup> أي : على طاعته وأوامره ونواهيه ، وعلى ما حُمِّلْتَ مِنْ أَمْرٍ عظيم : اصْبِرْ لِوَجْهِ اللهِ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِهِ .

س ٦٩ - ما معنى ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبَرَ وَثِيَابَكَ فَطَهَرَ ﴾ ؟

معناه : عَظِيمٌ رَبُّكَ بِالْتَوْحِيدِ ، وَطَهَرٌ أَعْمَالُكَ عَنِ الشُّرُكِ<sup>(١)</sup> .

(١) قال الإمام الطبرى ١٤ : ١٢-٩ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَرَ ﴾ " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

١ - فقال بعضهم : معنى ذلك : لاتلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدرة .  
٢ - وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتلبس ثيابك من مكاسب غير طيب .  
٣ - وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك .  
٤ - وقال آخرون : بل معنى ذلك : أغسلها بالماء وطهرها من النجاسة " .  
ثم ذكر من قال ذلك ، ونسب القول الأخير إلى ابن سيرين وابن زيد ، وقال : " وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانه ، والذي قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا قولٌ عليه أكثر السلف من أنه عني به : جسمك فطهر من الذنوب ، والله أعلم " انتهى .

ورجح العلامة ابن القيم في " مدارج السالكين " ٢ : ٢٠ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَرَ ﴾ قول قتادة ومجاهد : نفسك فطهر من الذنب ، فكى عن النفس بالثوب . وهذا قول إبراهيم النحوي ، والضحاك ، والشعبي ، والزهري ، والحقين من أهل التفسير " .

ثم قال : " ولاريب أن تطهيرها - أي : الثياب - من النجاسات وقصصها من حملة التطهير المأمور به ، إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق ؛ لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن ، ولذلك أمر القائم بين يدي الله تعالى يازالتها والبعد عنها ... ، وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة ، و يؤثر كلٌّ منها في الآخر ، ولهذا نهى عن لباس الحرير والذهب ، وجلود السباع ، لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع " انتهى .

## س ٧٠ - ما معنى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ ؟

معناه : اهْجُرُ الأَصْنَامَ<sup>(١)</sup> ، وَهَجْرُهَا : ترَكُهَا وَأَهْلِهَا ، والبراءة

(١) الرجز : - بالكسر والضم - قراءتان صحيحتان ، قرأ حفص بالضم ، والأكثرون بالكسر ، وهما لغتان فصحيتان ، ويقال في المكسور : رجس وركس أيضاً ، وقد ورد استعمال هذه المادة على وجهين : أحدهما أن تكون بمعنى القدر ، وهو كل مُسْتَفْحَشٌ تَبُو عنده العقول السليمة ، وتنفر منه الطباع الشريفة من النجاسة الحسية والمعنوية ، والإثم الظاهر والباطن ، ومن ذلك قوله تعالى في الخمر والميسر ولحم الخنزير إنه ﴿رجس﴾ .  
الثاني : أن تكون بمعنى العذاب كما في قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف : ١٦٢] .

ويرجع إلى هذين المعنين استعمالها في الشرك وعبادة الأوثان ، كما في قوله تعالى : ﴿فَزَادُوهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِم﴾ [التوبه : ١٢٥] . وذلك أن الشرك قدر معنويٍّ وسبب في العذاب ، بل هو أول أنواع الرجز دخولاً في عموم لفظه عند إطلاقه ، ومن هنا فسره أبو سلمة في الآية بقوله : وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون . كما رواه البخاري في التفسير (٤٦٤٢) .

"ولا يلزم من النهي عن الشيء سبق حصوله من المنهي عنه ، ولا توقع حصوله منه ، ولذلك صَحَّ نَهْيُ نَبِيِّهِ ﷺ عن هذه المناكير مع أنه نَسَأَ مُبِرًّا من النقائص الْخَلِقِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ ، متحللاً بخصال الفطرة السليمة ، مُبَغِّضًا إِلَيْهِ الْأَوْثَانِ وَأَهْلِهَا . وإنما يراد من هذه النواهي ضم زواجر النص النقلية إلى ما هو مركوز في فطرته بالاجتهاد العقلي ؛ ليتطابق عنده الخبرُ والخبرُ ، ويشترك في حقه السمع والنظر ، وبذلك يُثبَّت اللَّهُ فواده على أمره ، ولا يقع منه إفحام أو تردد في الجهر برأيه والعمل به " (المختار ، ص ٥٠-٥١) .

منها وأهله<sup>(١)</sup> .

(١) قال الله سبحانه عن الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمٌ إِنِّي بُرِيءُ مَا تَشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٨-٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتَفْعَارٌ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مُوَعِّدَةٍ وَعَدَهَا إِيَاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ ﴾ [التوبه : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٥-٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي إِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧] .

وأمر الله خاتم الأنبياء أن يخاطب المشركين بقوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَشَهَّدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آتَهُ أُخْرَى ، قُلْ : إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وأمر الله المؤمنين أن يتّأسوا بإبراهيم عليه السلام في البراءة من الكفر وأهله ، فقال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَأْنَا مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَهُ حَتَّى تَوْمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [المتحنة : ٤] .

## س ٧١ - كَمْ أَخْذَ عَلَى هَذَا ؟

أَخْذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سَنِينَ ، أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ، وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ  
عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ<sup>(١)</sup> ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ

(١) أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى  
السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿سُبْحَانَ  
الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإِسْرَاءٌ : ١] .  
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإِسْرَاءٌ : ٦٠] .  
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرَيَاهَا لِيَلَةً أُسْرِيَ بِهِ لِأَرْؤِيَّا مَنَامًا . كَمَا فِي صَحِيفَةِ  
الْبَخَارِيِّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ (٤٧١٦) .

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عُمَرِ الدَّانِي فِي "الرِّسَالَةِ الْوَافِيَّةِ" صٌ : ١٠٠ : "وَلَوْ كَانَتْ رُؤْيَا  
نَوْمٍ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ طَوَافِفُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً  
لِلنَّاسِ ، حَتَّى ارْتَابَ قَوْمٌ ، وَارْتَدَّ قَوْمٌ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَانَ فِيهَا أَيْضًا دَلَالَةً عَلَى  
نِبْوَتِهِ ﷺ ، وَلَا حِجَّةً عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَلَا كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ  
يُدْفَعُونَهُ عَنْ صِدْقَهِ فِي ذَلِكَ ، إِذَا غَيْرُ مُنْكَرٍ عَنْهُمْ وَعِنْهُمْ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ قَدْ يَرَى  
الرَّأْيِ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ ، فَضْلًا عَمَّا هُوَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَدُونَهُ . هَذَا مَعَ  
دَلِيلٍ ظَاهِرٍ النَّصِّ الْمَذَكُورُ الَّذِي لَا طَرِيقَ لِلِّمَجَازِ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ  
لَا بِرُوحِهِ دُونَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ﴾ .  
وَتَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسْرَى بِهِ عَلَى دَبَّةٍ يَقَالُ  
لَهَا الْبَرَاقُ ، وَالدَّوَابُ لَا تَحْمِلُ الْأَرْوَاحَ ، وَإِنَّمَا تَحْمِلُ الْأَجْسَامَ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿عَلِمَهُ﴾ أَيْ : عَلِمَ مُحَمَّدًا ﷺ شَدِيدَ الْقُوَى﴾ أَيْ :  
شَدِيدَ الْخَلْقِ ، يَعْنِي حَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ أَيْ : =

لَيْلَتَئِذٍ<sup>(١)</sup> ، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة المنورَة .

فاعتدل = قائماً ، يعني جبريل عليه السلام ، ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقَ الْأَعْلَى﴾ يعني : وجبريل بالأفق الأعلى ... ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّ﴾ أي : فتدلى جبريل بالوحي إلى محمد ﷺ . يعني : قرب ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى﴾ أي : قدر ذراعين ، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوْحَى﴾ أي : فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ - ما أوحى إليه ربه ﷺ . وقيل : فأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ ، ﴿مَا كَذَبَ الْفَوَادَ مَارَأَى﴾ قال الحسن : ما كذب فواده مارأته عيناه ليلة أُسري به ، بل صدقه الفواد ، ﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرِى﴾ إلى قوله : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبِيرِ﴾ [النجم : ٥ - ١٥] . وأنه رأى هناك الأنبياء عليهم السلام ؛ آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وإدريس ، وفِرِضَتْ عليه الصلوات الخمس ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وأدخله الجنة ، وأَرَاهُ النَّارَ ، على ما تواترت به الأخبار ، وثبتت بنقله الآثار " انتهى .

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٦٧٤) ، قال ﷺ : «(ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَيَّ الصلواتِ خَمْسَيْنَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ فَمَرْرَتْ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمِ أُمِرْتُ؟ قَالَ : أُمِرْتُ بِخَمْسَيْنِ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : أَمْتَكَ لَا تَسْتَطِعُ خَمْسَيْنَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ ، فَارْجَعْتُ إِلَيْ رَبِّكَ فَاسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْتَكَ ، فَرَجَعْتُ فَوْضَعَ عَيْنِي عَشَرَّاً ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَوْضَعَ عَيْنِي عَشَرَّاً ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَاةٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : بِمِ أُمِرْتَ؟ قَلَتْ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَاةٍ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ : إِنَّ أَمْتَكَ لَا تَسْتَطِعُ خَمْسَيْنَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ .

## س ٧٢ - ما هي الهجرة ؟

هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام<sup>(١)</sup> ، ( ومن بلد

صلوات كل يوم ، وإنني قد جربت الناس قبلك وعالجت يبني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضي وأسلم . قال : فلما جاوزت نادي مِنَادٍ : أمضيت فريضي ، وخففت عن عبادي ) .

(١) قال الراغب في "المفردات" ص ٨٣٣ : "الهُجُرُ والهُجُرَانُ : مفارقةُ الإنسان غيره ، إما بالبدن ، أو باللسان ، أو بالقلب ، والهاجرةُ في الأصل : مُصارمةُ الغير و مُتارَكَتُهُ ، من قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الأنفال : ٧٤] ، ﴿وَمَن يَخْرُجَ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء : ١٠٠] ، فالظاهر منه : الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان ، كمن هاجر من مكة إلى المدينة ، وقيل : مقتضى ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها" انتهى .

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" في منزلة الإحسان ٢ : ٤٦٣ : "وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ هُجْرَانٌ ، وَهُمَا فَرْضٌ لَازِمٌ لِهِ عَلَى الْأَنفَاسِ : هُجْرَةٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ بِالْتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَالإِنْبَاتِ وَالْحُبِّ ، وَالخُوفِ وَالرَّجَاءِ وَالْعُبُودِيَّةِ .

وهجرة إلى رسوله ﷺ ؛ بالتحكيم له والتسليم والتفويض ، والانقياد لحكمه ، وتلقّي أحكام الظاهر والباطن من مشكّاته ، فيكون تعبدُه به أعظم من تعبد الرّكب بالدليل الماهر في ظلم الليل ، ومتاهات الطريق .

فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليجئ على رأسه الرّماد ، وليراجع أصل الإيمان من أصيله ، فيرجع وراءه ليقتبس نوراً قبل أن يحال بينه وبينه ، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السُّور ، والله المستعان" اهـ .

البدعة إلى بلد السنة )<sup>(١)</sup> .

## س ٧٣ - ما حكم الهجرة ؟

حكمها : أنها فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام<sup>(٢)</sup> ، ( ومن بلد البدعة التي يدعو أهلها إليها إلى بلد

و في الحديث : (( والهاجر من هجر ما نهى الله عنه )) - أخرجها الخمسة إلا الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - ، فاهجرة لا يحرر فضلها إلا من أعرض بقلبه وجوارحه عن كُلّ ما نهى الله عنه من ظاهر الإثم وباطنه . وإنما سكت في هذا الحديث عن هجرة المكان اتكالاً على علم السامعين بها ، أو تنبئها على أنها أهون الهجرتين عملاً ، على أن تعريف الهجرة يشمل الهجرتين الحسية والمعنوية ؛ لأن كلمة : " ما نهى الله عنه " تتناول الإقامة في دار الشرك أيضاً ، والله أعلم .

قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١ : ٣٩ : " فأصل الهجرة : أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي ، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام ، وإلا فمحرر هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة ، بل الهجرة التامة الكاملة : هجران ما نهى الله عنه ، ومن جملة ذلك : هجران بلد الشرك مع القدرة عليه " انتهى .

(١) هذه زيادة من طبعة الأنصارى ليست في الأصول الأخرى المطبوعة .

(٢) وقد روى النسائي (٢٤٣٥) من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده - معاوية بن حبطة القشيري رضي الله عنه - مرفوعاً : (( لا يقبل الله من مشرك بعدما أسلم عملاً ، أو يفارق المشركين )) ورواه أحمد ٥ : ٤ ، والحاكم ٤ : ٦٠٠ ، وصححه ووافقه الذهبي .

ـ وروى أبو داود (٢٦٤٥) ، والترمذى (١٦٠٥) من حديث سمرة مرفوعاً :  
((أنا بريءٌ من كُلّ مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين)) .

وفي قصة جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : أتيت النبي صلوات الله عليه وهو يبَايِعُ ، فقلت : يارسول الله ، أبْسُطْ يَدَكَ حتى أبَايِعَكَ وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ ، فَأَنْتَ أَعْلَمْ . فقال صلوات الله عليه : ((أبَايِعُ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ)) رواه النسائي (٤١٧٧) ، فألحق مُفارقة المشركين بأركان الإسلام ، ودعائمه العظام .

أما من أقام ببلاد الكفار رغبة واحتياجاً لصحبتهم ، وموالاة وحباً لهم ، وانحيازاً إلى فتنهم ، فَيُعَذَّبُ مُوَالِيَّا لَهُمْ ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلِيَسْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

قال ابن حزم في "المحلى" ١٣ : ٣١ : "من لحق بأرض الشرك بغير ضرورة فهو محارب ، هذا أقل أحواله إن سلم من الردة بنفس فراق جماعة الإسلام وانحيازه إلى أرض الشرك" .

ويقول أيضاً ١٣٩ : "وَأَمَا مَنْ فَرَّ إِلَى أَرْضِ الْحَرْبِ لِظُلْمٍ خَافَهُ ، وَلَمْ يُحَارِبْ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا عَانَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْحُدْ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ يُجِيِّرُهُ ، فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ ؛ لَأَنَّهُ مُضْطَرٌ مُّكْرَهٌ" انتهى .

وقال ابن رشد في "المقدمات" ٢ : ٦١٢ - ٦١٣ : "فَصُلْ : فَإِذَا وَجَبَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى مِنْ أَسْلَمَ بِلَدَ الْحَرْبِ أَنْ يَهَاجِرْ ، وَيَلْحِقَ بِدَارِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُشْوِي حِيثُ تَحْرِي عَلَيْنَا أَحْكَامَهُمْ فِي تَحْمَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا . وَقَدْ كَرِهَ مَالِكُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْكُنَ أَحَدٌ بِلَدَ يُسَبِّ فِيهِ السَّلْفُ ، فَكَيْفَ بِلَدٌ يُكَفِّرُ فِيهِ بِالرَّحْمَنِ ، وَتُعَبِّدُ فِيهِ مِنْ دُونِهِ الْأُوْثَانَ ، وَلَا تَسْتَقِرُ نَفْسٌ أَحَدٌ عَلَى هَذَا إِلَّا وَهُوَ مُسْلِمٌ سُوءٌ ، مُرِيضٌ إِلِيمَانٌ ... " انتهى .

السُّنَّةِ<sup>(١)</sup> ، وأنها باقيةٌ إلى أن تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مغربها .

## س ٧٤ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ إِنَّفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَا وَاهِمْ جَهَنَّمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> [من سورة النساء : ٩٧-٩٨] .

وللإمام أحمد بن بن يحيى الونشريسي التلمساني المتوفى سنة (٩١٤) جواب طويل في كتابه "المعيار المغرب" ٢: ١١٩-١٣٥ سماه "أُسْنَى المتأجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترب عليه من العقوبات والزواج" .

(١) زيادة ليست موجودة في الأصول المطبوعة .

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني : مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ ، وَالْتَّوْفِي : قبضُ الرُّوحِ ﴿ظَالِمٌ إِنَّفُسَهُمْ﴾ بالشُّرُكِ أو بِالْمُقَامِ في دارِ الشُّرُكِ ، أو بخروجِهم مع المشرِّكِينَ يوْمَ بَدْرٍ وَتَكْثِيرِ سُوادِهِمْ حَتَّى قُتِلُوا مَعَهُمْ ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ سُؤالٌ تَوْبِيعٌ وَتَقْرِيبٌ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ﴾ عاجزِينَ عَنِ الْهِجْرَةِ ﴿قَالُوا﴾ أي : قال لهم الملائكة : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ أَرَادُوا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ إِلَى بَعْضِ الْبَلَادِ الَّتِي لَا تَمْنَعُونَ فِيهَا مِنْ إِظْهَارِ دِينِكُمْ ، فَأَكْذَبُهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ : كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ ، وَأَعْلَمَنَا بِكَذْبِهِمْ ﴿فَأَوْلَئِكَ﴾ يعني : مَنْ هَذِهِ صَفَّتُهُمْ ﴿مَا وَاهِمْ﴾ مَنْزَلُهُمْ ﴿جَهَنَّمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي : بَئْسَ مَصِيرُهُمْ مَصِيرًا إِلَى جَهَنَّمِ .

وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّاهُ يَأْتِيَ فَاعْبُدُونَ ﴾ [من سورة العنكبوت ، الآية : ٥٦] .

قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٥١٤ : "هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنًا من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه ، مرتكب حراماً بالإجماع" انتهى .

ثُمَّ استثنى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَصْحَابَ الْعُذْرِ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ ضُعْفَهُمْ مِنْهُمْ فَقَالَ : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفُينَ ﴾ استثناءً منقطع ﴿ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ أي : لا يقدرون على حيلةٍ ولا نفقةٍ ، ولا قوَّةً لهم على الخروج ؛ لفقرهم وعجزهم ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ أي : ولا يعرفونَ طريقاً يسلُّكونه يوصلهم إلى مكان هجرتهم .

روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (٤٣٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال : (( سمع الله من حمده )) . ثُمَّ قال قبل أن يسجد : (( اللهم نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، اللهم نَجِّ سَلْمَةَ بْنَ هَشَّامَ ، اللهم نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، اللهم نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللهم اشدد وطأتك على مصر ، اللهم اجعلها سنين كثينيْ يوسف )) انتهى .

وتتمة الآيات : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُورًا ﴾ [النساء : ٩٩] أي : يتتجاوز عنهم بفضله وإحسانه ، و﴿ عَسَى ﴾ وإن كان للإطماء فهو من الله تعالى واجب ؛ لأنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَطْمَعَ أَنْجَرَ .

## س ٧٥ - مَا سَبَبَ نُزُولِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ؟

سببُ نزولِ الآية الأولى<sup>(١)</sup> : أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ مَكَةَ أَسْلَمُوا ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَافْتَنَ بَعْضُهُمْ ، وَشَهِدُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ حَرْبَ يَوْمِ بَدْرٍ ، (فَقُتِلُوا مَعَ الْكُفَّارِ)<sup>(٢)</sup> ، فَأَبَى اللَّهُ قَبْوُلُ عُذْرِهِمْ ، فَجَازَاهُمْ جَهَنَّمُ<sup>(٣)</sup> .

وَسَبَبُ نزولِ الآية الثانية : أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا بِمَكَةَ لَمْ يُهَا جُرُوا ، فَنَادَاهُمْ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ<sup>(٤)</sup> ، وَحَضَّهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ .

---

(١) اقتصر صاحبُ المتن عَلَى سببِ نزولِ الآيةِ الثَّانِيَةِ دونَ الْأُولَى ، وَعَزَاهُ إِلَى الْبَغْوَى .

(٢) زيادةً من تفسير البغوي والخازن ١ : ٣٨٧ .

(٣) روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (٤٣٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، يَكْثُرُونَ سُوادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ ، فَيُصْبِبُ أَحَدُهُمْ فَيُقْتَلُهُ ، أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوْفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ أَنفُسَهُمْ ...﴾ الآية .

(٤) فأفاد أن تاركَ الْهِجْرَةَ بعدها وَجَبَتْ عَلَيْهِ لِيَسْ بِكَافِرَ ، لَكِنَّهُ عَاصَ بِتَرْكِهَا ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ ، عَاصٌ مِنْ عَصَّةِ الْمُوْهَدِينَ الْمُؤْمِنِينَ "حاشية ابن قاسم ص : ٨٥" .

## س ٧٦ - ما الدليل على بقاء الهجرة في الحديث؟

قوله ﷺ : "لا تقطع الهجرة حتى تقطع التوبة ، ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها" <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أَحْمَدُ في المسند ١ : ١٩٢ ، وأَبُو دَاوُدَ (٢٤٧٩) في الجَهَادِ ، مِنْ حَدِيثِ مَعاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ تَعَالَى عَنْهُ .

وروى النسائي ٧ : ١٤٦ في كتاب البيعة (٤١٧٢) من حديث عبد الله بن واقد السعدي تَعَالَى عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (( لا تقطع الهجرة ما قوتَ الْكُفَّارَ )) أي : ما دام في الدنيا دارُ كُفَّرٍ ، فالهجرة واجبةٌ منها على من أسلم ، وخشى عليه أن يُفْتَنَ عن دينه .

وأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لا هِجْرَةٌ بَعْدَ الفَتْحِ" أي : فتح مكة ، رواه البخاري (٢٨٢٥) في كتاب الجَهَادِ ، ومسلم (١٣٥٣) في الإمارة من حديث ابن عباس .

قال الخطابي : "كانت الهجرة فرضاً أول الإسلام على من أسلم ؛ لقلة المسلمين بالمدينة و حاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أَفْوَاجاً ، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة ، وبقي فرض الجَهَادِ والنية على من قام به أو نزل به عدو" .

وروى البخاري في كتاب "مناقب الأنصار" باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه (٣٩٠٠) عن عطاء بن أبي رباح قال : زرْتُ عائشةً مع عبيد بن عمر الليثي ، فسألناها عن الهجرة فقلت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفرُّون بدينه إلى الله تعالى ، وإلى رسوله مخافةً أن يُفْتَنَ عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، واليوم يعبد ربَّه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية" .

قال الحافظ في "الفتح" ٧ : ٢٧٠ : "أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة ، وأنَّ سببها خوف الفتنة ، والحكم يدورُ مع علته ، فمُقتضاه أنَّ من قدر على

س ٧٧ - ما الذي أمر بِهِ بعد أن استقر بالمدينة ؟

أمر ببقاء شرائع الإسلام من الزكاة<sup>(١)</sup> ، الصوم<sup>(٢)</sup> ، والحج<sup>(٣)</sup> ،

عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجحب عليه الهجرة منه ، وإن وجَّبَ ، ومن ثم قال الماوردي : إذا قَدِرَ على إظهار الدين في بلده من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحالة منها ؛ لما يُترَجَّحُ من دخول غيره في الإسلام "انتهى" .

(١) فرضت الزكاة في مكة المكرمة مطلقة أولاً ، وفي السنة الثانية من الهجرة حُدِّدت الأنواع التي تجحب فيها ، ومقدار النصاب في كُلٍّ . قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٣ : ٢٦٦ : "اختلف في أول فرض الزكاة ، فذهب الأكثرون إلى أنه قد وقع بعد الهجرة في السنة الثانية قبل فرض رمضان ، وادعى ابن خزيمة في صحيحه أن فرضها كان قبل الهجرة ، واحتج بقول جعفر للنجاشي : "ويأمرنا بالصلاوة والزكاة والصيام" . ويحمل على أنه كان يأمر بذلك في الجملة ، ولا يلزم أن يكون المراد هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحوال" ثم قال : "وما يدل على أن فرض الزكاة وقع بعد الهجرة : اتفاقهم على أن صيام رمضان إنما فرض بعد الهجرة ؛ لأن الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف" .

(٢) فرض صيام رمضان في شعبان من السنة الثانية للهجرة ، فتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صام تسع رمضانات .

(٣) اختلف في تحديد الزمن الذي شرع فيه الحج ، والمشهور أنه سنة ست ؛ لقوله تعالى ﴿وَأَتُوا الْحِجَّةَ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، فإنها نزلت بالحدىبية ، وكانت سنة ست . وقيل : إنه فرض سنة خمس ؛ لأن في حديث ضيّام : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، قال : ((صدق)) . رواه مسلم في الإيمان (١٢) . وكان قدوم ضيّام سنة خمس ، وقيل : إن قدومه سنة تسع . (هداية الناسك لابن جماعة ١ : ١٧٩ - ١٨٠) .

والأذان<sup>(١)</sup> ، والجهاد<sup>(٢)</sup> ، ( والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

= وقال طائفة من أهل العلم : إنه تأخر نزول فرضه إلى السنة التاسعة ، وصححه القاضي عياض والقرطبي ، وصَوَّبَهُ ابن القيم فقال في "زاد المعاد" ٢ : ١٠١ : "إن الحج فرض سنة تسع ، وإن آية فرضه وهي قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ نزلت عام الوفود ، أواخر سنة تسع ، وأنه ﷺ لم يؤخر الحج بعد فرضه عاماً واحداً ، وهذا هو الالائق بهديه وحاله ﷺ .

وكذا مما يحتاج فيه لهذا القول أن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود سنة تسع ، وفيها ناظر أهل الكتاب ودعاهم إلى التوحيد والماهلة ، وصالحهم على أداء الجزية ، والجزية إنما نزلت عام تبوك سنة تسع ، وفيها نزلت آية ﴿إِنَّ الْمُشْرِكَوْنَ نَجَسٌ﴾ [التوبه : ٢٨] ، ونزول هذه الآيات والمناداة بها إنما كان سنة تسع ، وبعث الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَؤْذِنَ بِذَلِكَ فِي مُوْسَمِ الْحَجَّ ، وَأَرْدَفَهُ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الْهِجْرَةِ حِجَّةَ وَاحِدَةً فَقَطْ سَنَةً عَشَرَ .

(١) شرع الأذان بالمدينة في السنة الأولى من الهجرة على الأصح ، للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك . وقيل : إن الأذان شرع في السنة الثانية من الهجرة .

وقيل : إنه شرع بمكة قبل الهجرة ، وهو بعيد لعارضته للأحاديث الصحيحة .

(٢) وقد كان الجهاد قبل الهجرة غير مأذون فيه ؛ لأن النبي ﷺ أمر أول الأمر بالتبليغ والإذار ، والصبر على أذى الكفار ، والصفح والإعراض عن المشركين . ثم أذن الله بعد الهجرة لل المسلمين في القتال إذا ابتدأهم الكفار بالقتال ، وكان ذلك في آخر السنة الأولى من الهجرة . وذلك في قوله تعالى : ﴿أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج : ٣٩] ، ثم شرع الله الابداء بالقتال على الإطلاق بقوله : ﴿أَنْفَرُوا خَفَافاً وَثَقَالاً﴾ [التوبه : ٤١] ، قوله : ﴿وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكَوْنَ كَافِةً﴾ [التوبه : ٣٦] . وتسمى هذه الآية : آية السيف . وقيل : هي قوله تعالى : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكَوْنَ حِيْثُ وَجَدُوكُمْ﴾ [التوبه : ٥] .

وغير ذلك من شرائع الإسلام )<sup>(١)</sup> .

س ٧٨ - كم أخذ على هذا ﷺ ؟

أخذ على هذا عشر سنين ، وتوفي صلاة الله وسلامه عليه<sup>(٢)</sup> ،

(١) سقطت من الأصل .

(٢) وكان ابتداء مرضه ﷺ في أواخر شهر صفر ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في الشهر ، وخطب الناس في ابتداء مرضه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رض أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : (( إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا ماشاء ، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده )) .

وكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من مرضه : وجع رأسه مع حمى اشتدت به ﷺ ، ولم يقبص ﷺ حتى خير مرة أخرى بين الدنيا والآخرة . وكانت وفاته ﷺ في يوم الإثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول ، وكان قد كشف الستر ذلك اليوم والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر ، فهم المسلمون أن يفتنوا من فرحهم برويته ﷺ حين نظروا إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ، وظنوا أنه يخرج إلى الصلاة ، فأشار إليهم : أن مكانكم ، ثم أرخى الستر ، وتوفي من ذلك اليوم عند ارتفاع الضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هاجر إليها .

ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون ؟ فمنهم من دُهشَ فخُولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكُلِّية ، وقال : إنما بُعثَ إِلَيْهِ كَمَا بُعثَ إِلَى مُوسَى . وكان من هؤلاء عمر ، وبلغ الخبر أبا بكر ، فأقبل مسرعاً حتى دخل بيت عائشة ورسول الله =

— مُسَجَّىٌ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ التُّوْبَ ، وَأَكَّبَ عَلَيْهِ ، وَقَبَلَ وَجْهَهُ مِرَارًا وَهُوَ يَبْكِي ، وَهُوَ يَقُولُ : وَابْنِيَاهُ ! وَابْنِيَاهُ ! وَاصْفِيَاهُ ! وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَاتَ وَاللَّهُ رَسُولُ اللَّهِ .

ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعُمْرُ يَكْلُمُ النَّاسَ ، وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، فَتَكَلَّمُ أَبُو بَكْرَ وَتَشَهَّدُ وَحْمَدُ اللَّهَ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَتَرَكُوا عُمْرَ ، فَقَالَ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَتَسْلَمَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَدُّخِلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ فَاسْتَيْقَنَ النَّاسُ كُلَّهُمْ بِمَوْتِهِ ، وَكَانُوهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتْلُوَهَا أَبُو بَكْرٌ ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ مِنْهُ ، فَمَا يُسْمَعُ أَحَدٌ إِلَّا يَتْلُوَهَا .

رَوَى البَخْرَارِيُّ (٤٤٦٢) عَنْ أَنْسِ بْنِ عَلِيٍّ : لَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ : " كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ تَحْتَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْتَّرَابَ " ؟

قَالَ أَنْسُ بْنُ عَلِيٍّ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَا نَفَضَنَا أَيْدِيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَفِي دُفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبِنَا . " لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ " ، لَابْنِ رَجَبِ الْخَنْبَرِيِّ صَ : ١٩١ - ٢١٦ .

(١) لَأَنْ رِسَالَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الرِّسَالَةُ الْخَاتَمَةُ الْعَامَّةُ الْبَاقِيَةُ الْخَالِدَةُ ، وَلَيْسَ لِأَقْوَامَ مُعِينَينَ ، وَلَا لِأَزْمَنَةِ خَاصَّةٍ . وَلَذِلِكَ تَكْفِلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِحَفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ عَزِيزٌ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الْحِجْرَ : ٩] ، وَهَذَا الْحَفْظُ يَسْتَلِزُمُ حَفْظَ بَيَانِ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهُوَ السُّنْنَةُ الْمَطَهَّرَةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ عَلِيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ ، إِنَّا قَرَأْنَا فَاتِعَ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلِيْنَا بِيَانَهُ ﴾ [الْقِيَامَةَ : ١٧-١٩] . وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الْتَّحْلِيلَ : ٤٤] .

وهذا دينه : لا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ.

س ٧٩ - ما الْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ ؟ وَمَا الشَّرُّ الَّذِي حَذَرَهَا عَنْهُ ؟

الْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَرَهَا عَنْهُ : الشَّرُّكُ ، وَجَمِيعُ مَا يُكْرَهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

س ٨٠ - هل بَعَثَهُ اللَّهُ لِقَبِيلَةٍ مَخْصُوصَةٍ أَمْ لِجَمِيعِ النَّاسِ ؟

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ ، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمُقْلِنِينَ :

الْجَنُّ وَالْإِنْسَنُ .

س ٨١ - ما الدليل على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَمِيعًا ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الأعراف ، الآية: ١٥٨] .

= وهذا الحفظ يستلزم أيضًا بقاء حملة الكتاب والسنّة الذين يبلغون ذلك للأمة إلى يوم الدين ، كما جاء في الحديث الصحيح المتواتر عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول : (( لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون )) رواه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢١). وروى البخاري (٧٤٦٠) وغيره عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول : (( لا تزال طائفة من أمتي قائمة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك )) .

(١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بُشِّرِيًّا وَنذِيرًا ﴾ [سباء: ٢٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ،

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرَّا مِنَ الْجِنِّ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة

الحقاف ، الآية : ٢٩] .

س ٨٢ - هل أَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ أَوْ كَمْلَ بَعْدِهِ ؟  
نعم ، أَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ حَتَّى لَا يُحْتَاجَ لِشَيْءٍ مِّنَ الدِّينِ  
بَعْدِهِ .

---

=وقال سُبْحَانَهُ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ  
نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] ، وقال ﷺ : ﴿وَأَوْحَيْتِ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمِنْ  
بَلْغِ﴾ [الأنعام : ١٩] ، فهذه الآيات الكريمة صريحة في عموم رسالته ﷺ .

وفي الصحيحين والسنن عن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أُعْطِيَتُ  
خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدًا قَبْلِي : كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُعَثَّرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعْثَرُ إِلَى  
كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ" . قال ابن الأثير في "جامع الأصول" ٨ : ٥٢٩ : "أراد  
بِالْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ جَمِيعَ الْعَالَمِ ، فَالْأَسْوَدُ : مَعْرُوفٌ ، وَهُمُ الْحُبُوشُ وَالْزُّنُوجُ  
وَغَيْرُهُمْ ، وَالْأَحْمَرُ : هُوَ الْأَبْيَضُ ، وَالْعَرَبُ تَسَمَّى الْأَبْيَضَ أَحْمَرًا" . هـ .

(١) قد ثبتَ بلوغُ دعوته ﷺ إلى الجنّ ، عن طريق توافدهم عليه واستماعهم إليه  
ﷺ ، وعن طريق ذهابه ﷺ وقراءته عليهم القرآن .

فيدخل في عموم بعثته إلى الناس كافية : الجنّ . قال الحافظ في "الفتح" :  
"وثبت التصريح بذلك في حديث : ((وَكَانَ النَّبِيُّ يُعَثَّرُ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبُعْثَرُ إِلَى  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ" فيما أخرجه البزار أهـ .

س ٨٣ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> [المائدة : ٣] .

(١) نَزَّلتْ هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة ، والنبي ﷺ وافق بعرفات ، وذلك في حَجَّةِ الْوَدَاعِ سنة عشر من الهجرة .

روى البخاري في كتاب الإيمان (٤٥) ومسلم في أول التفسير (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب قال : جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين : آيةٌ في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا نزلت - عشر اليهود - لاتخذنا ذلكَ اليوم عيداً ، قال : فَأَيُّ آيَةٍ ؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٢)</sup> فقال عمر : "إني لأعلم اليوم الذي نَزَّلتْ فيه ، والمكان الذي نَزَّلتْ فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم الجمعة" ، أشار عمر رضي الله عنه إلى أنَّ ذلكَ اليوم يوم عيده لنا . وروي أنَّه لَمَّا نَزَّلتْ هذه الآية بِكَيْ عمر ، فقال له النبي ﷺ : ما يُكِيكَ يا عمر ؟ فقال : أَبْكَانِي أَنَا كُنَّا في زِيادَةٍ مِنْ دِينِنَا ، فَأَمَا إِذَا كَمِلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُمِلْ شَيْءٌ إِلَّا نَقْصٌ ، قال : صَدِقْتَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَعِيَ رَسُولَ الله ﷺ عَاشَ بَعْدَهَا وَاحِدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا ، وَمَاتَ رضي الله عنه يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِاثْنَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةَ مِنْ رَبِيعِ الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى عَشَرَةَ مِنْ الْهِجْرَةِ .

وقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني : بالفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام ، ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيءٌ من الفرائض ، وإنَّما الدين لهذه الأُمَّةِ يقتضي أنَّه لا يزول ولا يُنسَخ ، وَأَنَّ شريعتهم باقيةٌ إلى يوم القيمة ، والشروع السابقة النازلة =

## ٨٤ - ما الدليل على موته ﷺ؟

قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة الزمر ، الآيات : ٣٠-٣١] .

= من عند الله كانت كاملةً في وقت التعبُّد فيها ، ولكن كمالها إلى وقتٍ مخصوص ، أما هذه الشريعة فهي آخر الشَّرَائِع ، وكمالها باق إلى يوم القيمة ﴿وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكمال الدين والشريعة ؛ لأنَّه لا نعمة أتم من الإسلام ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ يعني : اخترت لكم الإسلام دينًا من بين الأديان ، بالصَّفَة التي هو اليوم بها ، وهي نهاية الكمال ، وأنتم الآن عليه ، فالزموه ولا تفارقوه "تفسير الخازن" ١ : ٤٢٨-٤٢٩ .

(١) فالموت مكتوب على كُلَّ حَيٍّ من الأنبياء والرسل وغيرهم . قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ﴾ أي : ستموت ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ أي : سيموتون ، وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موتة ، فأخبر أنَّ الموت يعُمِّهم ، فلا معنى للترُبُّص ، وشَمَاتَةُ الفاني بالفاني . وعن قتادة : نعى إلى نبيه ﷺ نفسه ، ونعى إليكم أنفسكم ، أي : إنك وإيَّاهُمْ وإن كنتم أحياء فإنَّكُمْ في عِدَادِ الموتى ﴿ثُمَّ إِنْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أي : الحق والمُبْطَل ، والظَّالِم والمظلوم .

وقد ترجم البخاري في صحيحه هذه الآية في آخر كتاب المغازي (٧٨) : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، وقول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١] .

وقال سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ ، أَفَإِنْ مِتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ، وَنَبْلُوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٤-٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا شَيْئًا ، وَسِيَجِزِيَ اللَّهُ الشَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال الحافظ في "الفتح" ٧ : ٧٥٢ : "وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة : أن أبا بكر مَرَّ بعمر وهو يقول : ما مات رسول الله ﷺ ، ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين ، و كانوا أظهروا الاستبشار ، ورفعوا رؤوسهم ، فقال : أيها الرجل ، إن رسول الله ﷺ قد مات ، ألم تسمع الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرًا مِنْ قَبْلِكَ الْخَلِدُ ﴾ ، ثم أتى المنبر فصعد ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، فذكر خطبته .

ثم قال الحافظ ٧ : ٧٥٣ : "وفي الحديث قوة جاوش أبي بكر وكثرة علمه ، وقد وافقه على ذلك العباس والمغيرة وابن أم مكتوم ، و كان أكثر الصحابة على خلاف ذلك . فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثر" انتهى .

وهو ﷺ - وإن مات - حَيٌّ في قبره حياة بُرْزَخِية أعلى وأكمل من حياة الشهداء المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسِنُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ أَنْدَرَ بَيْنَ أَيْمَانِهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . والأنبياء أفضل من الشهداء ، والشهداء أحياه عند ربهم ، فدلل ذلك على حياتهم عليهم السلام .

قال العلامة ابن القيم في كتاب "الروح" ص ١٢٠ نقلًا عن أبي عبد الله القرطبي : "صح عن النبي ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السماء ، وخصوصاً بموسى . وقد أخبرنا بأنه : "ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام" رواه أبو داود (٢٠٤١) ، ورواته ثقات . إلى غير ذلك =

س ٨٥ - هل يُعَثِّثُ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَمْ لَا ؟

نعم يُعَثِّثُونَ ، لقوله تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ <sup>(١)</sup> [من سورة طه ، الآية : ٥٥] .

---

= ما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غَيَّبُوا عنا ، بحيث لا يدرُّ كهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كحال في الملائكة ، فإنهم أحياء موجودون ولا يدرُّهم" .

وقال أيضًا ص ١٣٩ : "ومعلوم بالضرورة أن جسده صلاته في الأرض طري مطري ، وقد سأله الصحابة : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمْتَ ؟ - أي : بَلِيْتَ - فقال صلاته : ((إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ النَّبِيِّينَ)) رواه أبو داود (٤٧٠) انتهى .

قال الحافظ في "الفتح" ٦ : ٥٦١ : وقد جمع البيهقي كتاباً لطيفاً في "حياة الأنبياء في قبورهم" ، أورد فيه حديث أنس : ((الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون )) ، وذكر الحافظ طرقه عند البيهقي وعند غيره ، وقال : "صححه البيهقي" انتهى .

وهي حياة أخرى لا تشبه الحياة الدنيا ، والله تعالى أعلم .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿مِنْهَا﴾ أي : من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُم﴾ أي : خلقنا أباكم آدم ، أو لأنَّ النطفة من الأغذية وهي من الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُم﴾ عند الموت والدُّفْنِ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُم﴾ عندبعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ مرَّةً أخرى ، والمراد بإخراجهم : أنه يؤلِّفُ أجزاءهم المُتَفَرِّقة المُخْتَلِطَة بالتراب ويردُّهم كما كانوا أحياء .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتْكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ

فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾<sup>(١)</sup> [من سورة نوح ، الآيات : ١٧-١٨] .

س ٨٦ - هل النَّاسُ مُحَاسَّبُونَ وَمَجْرِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ بَعْدَ الْبَعْثِ أَمْ لَا ؟

نعم مُحَاسَّبُونَ وَمَجْرِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، بدليل قوله تعالى :

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَأُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

بِالْحُسْنَى ﴾<sup>(٢)</sup> [من سورة النجم ، الآية: ٣١] .

س ٨٧ - ما حِكْمَةُ مَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ ؟

حِكْمَةُ أَنَّهُ كَافِرٌ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنْ لَنْ يُعْشَاوْا قُلْ بَلِّي وَرَبِّي لَتُبَعَّثُنَّ ثُمَّ لَتَنْبَئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [من سورة التغابن ، الآية : ٧] .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ أراد مبدأ خلق آدم ، وأصل خلقه من الأرض ، والناس كلهم من ولده ﴿ نَبَاتًا ﴾ فنبتم نباتاً عجیباً بقدرة الله تعالى ، ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ أي : في الأرض بعد الموت ، ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَوْمَ الْبَعْثِ ﴾ إخراجاً ﴾ حَقًا لَا مَحَالَةَ بِوْقُوعِهِ .

(٢) قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَأُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ بسبب ما عملوا من السوء ، فِيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحْقِهِ ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي : وَحَدُّوا رَبَّهُمْ وَأَطَاعُوهُ ﴿ بِالْحُسْنَى ﴾ أي : بِالْمُثْوَبَةِ الْحُسْنَى ، وَهِيَ الْجَنَّةُ .

(٣) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : أهْلُ مَكَّةَ ، وَالرَّعْمُ : حَكَايَةُ قولٍ يَكُونُ مَظِنَّةً لِلْكَذْبِ ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ذُمُّ الْقَائِلِينَ بِهِ -

﴿أَن لَن يُعْثُوا﴾ أَنْهُمْ لَن يُعْثُوا بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿قُلْ﴾ أَيْ : قُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُبَعَّثُنَّ﴾ أَيْ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَكْدَ الْإِخْبَارَ بِالْيَمِينِ ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّئُنَّ﴾ أَيْ : لَتُخْبَرُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيْ : الْبَعْثُ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيْ : هِينٌ .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷺ على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع :

الأول : في سورة يونس في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَبَّئُونَكُمْ : أَحَقُّ هُوَ ؟ قُلْ : إِنَّ رَبِّي إِنَّهُ الْحَقُّ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس : ٥٣] .

الثاني : في سورة سباء في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ : بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ : ٣] .

الثالث : في سورة التغابن في قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يَعْثُوا ، قُلْ : بَلَى وَرَبِّي لَتُبَعَّثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن : ٧] . كما أقسم الله تعالى في مواضع كثيرة على وقوع البعث ، كقوله تعالى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رِيبَ فِيهِ﴾ [النساء : ٨٦] .

إنكار البعث : يتضمن إنكار علم الله تعالى وقدرته وحكمته ، وإنكاره تكذيب لظاهر الآيات القرآنية الصريحة في إثبات البعث ، وتكذيب لما اتفقت عليه دعوة الرسل ، ونزلت به الكتب السماوية .

قال القاضي عياض في "الشفا" ٢ : ١٠٦٧ : "وكذلك نقطع على كفر من قال بتناصح الأرواح وانتقامها أبداً الآباء في الأشخاص ، وتعذيبها أو تعنيمها فيها ، بحسب زكائها وحيثها . وكذلك من أنكر البعث والحساب ... فهو كافر بإجماع ؛ للنص عليه ، وإجماع الأمة على نقله متواتراً" انتهى .

س ٨٨ - بأي شيء أرسل الله الرسُّل ؟

أرسلهم بالبِشارة لِمَنْ وَحَدَ اللَّهَ بِالْجَنَّةِ ، وبالنَّذارَةِ لِمَنْ أَشْرَكَ  
بِاللَّهِ بِعِذَابِ النَّارِ .

س ٨٩ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ  
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup> [النساء ، الآية : ١٦٥] .

س ٩٠ - من أول الرُّسُل ؟

نوح عليه السلام .

---

(١) قوله تعالى : ﴿رُسُلًا﴾ أي : أرسلنا رُسُلًا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ أطاعَنِي وَاتَّبَعَ  
أُمْرِي وَصَدَّقَ رَسُلِي بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الْجَنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ عَصَانِي  
وَخَالَفَ أُمْرِي وَكَذَّبَ رَسُلِي بِالْعِذَابِ الْأَلِيمِ فِي النَّارِ ﴿لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى<sup>اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي : لَئِلَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِ التَّوْحِيدِ  
وَالطَّاعَةِ بَعْدَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ فَيَقُولُوا : مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، وَمَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا  
كِتَابًا ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَعْذِبُ الْخَلْقَ قَبْلَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ :  
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإِسْرَاءَ : ١٥] .</sup>

روى البخاري (٥٢٢٠) ومسلم (٢٧٦٠) عن المغيرة بن شعبة قال ﷺ :  
((وَلَا أَحَد أَحَبَ إِلَيْهِ الْعُذْرَ مِنَ اللَّهِ ، وَمَنْ أَجْلَ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُنذِرِينَ  
وَالْمُبَشِّرِينَ )) .

## س ٩١ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ﴾

من بعده ﴿<sup>(١)</sup> النساء ، الآية : ١٦٣ .﴾

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة ، فأجاب الله عَزَّ وَجَلَّ عن سؤالهم بهذه الآية ، والمعنى : إنكم يا معاشر يهود تُقْرُونَ بنبوة نوح وبجميع الأنبياء المذكورين في هذه الآية ، وهم اثنا عشر نبياً ، فأنتم معترفون بهؤلاء الأنبياء ، وما أنزل الله على أحدٍ من هؤلاء المذكورين كتاباً جملة واحدة مثل ما أنزل الله على موسى ، فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة على أحدٍ هؤلاء الأنبياء قادحاً في نبوته ، فكذلك لم يكن إنزال القرآن جملة واحدة على محمدٍ ﷺ قادحاً في نبوته .

﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ وإنما بدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بذكر نوح عليه السلام ، لأنَّه أول رسول من أولي العزم ، وكان أول من عذّبتْ أمته لردهم دعوته ، وأهلكَ أهلَ الأرض بدعائه ، وكان أطْوَلَ الأنبياء عمراً ، وصبرَ على أذى قومه طول عمره .

وما يدلُّ على أنه أول الرسل إلى أهل الأرض ، ما جاء في صحيح البخاري (٣٤٠) من حديث الشفاعة ، وطلب الناس من بعض الرسل أن يشفعوا لهم ليりحوهم من طول الموقف : ((فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحًا ، أَنْتَ أَوْلُ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا بَلَغْنَا ؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ عَجَلَكَ)).

فكون نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض محمول على أنه أول الرسل =

ـ من أولي العزم ، أو أول الرسل من أصحاب الرسالات الكبرى ذات الشمول الواسع ، أو أنه أول رسول بعد الطوفان ؛ لأنه بعد الطوفان لم يبق على وجه الأرض إلا قوم نوح ، فكانت رسالته عامة لأهل الأرض إذ ذاك وهم قومه . ومن المعلوم : أن آدم أبا البشر هو أول نبي بعثه الله إلى أولاده ، فعلمهم دين الله ، وجاءت أجيال بعدهم على الإيمان والتوحيد ، ثم طرأ عليهم الشرك والكفر ، فبعث الله نوحًا عليه السلام نبياً ورسولاً ليدعوا إلى الإيمان بالله وتوحيده . روى الحافظ ابن حبان في صحيحه ١٤ : ٦٩ (٦١٩٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال : يارسول الله ، أبني كان آدم ؟ قال : نعم ، مكلّم ، قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون .

قال ابن كثير : وسند هذا الحديث على شرط مسلم ولم يخرجه .

وفي مستدرك الحاكم ٢ : ٤٨٠ (٣٦٥٤) عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة من الحق .

والمراد بالقرن : الجيل من الناس أو الأمة فيهم ، وهذه القرون العشرة قد كانت على الإسلام الذي تلقوه عن أبيهم آدم عليه السلام ؛ إذ هو نبيٌّ مُكلّم ، وقد بلغَ بنيه رسالَة ربه ، و منهاج دينه ، فهو رسول الله إليهم ؛ إذ هم أمة ، ويدخلون في عموم قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَفَهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر : ٢٤] . وعموم قوله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْوَا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] .

وما يدل على بعثة الرسل والنبين قبل نوح عليه السلام قوله تعالى : ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ لَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان : ٣٧] . فقول الله سبحانه : ﴿لَا كَذَّبُوا الرَّسُولَ﴾ يدل ظاهره على وجود رسل تواردوا على جماعات من الناس كانوا في آخر الأمر هم قوم نوح .

س ٩٢ - هل بقيت أمة لم يبعث الله لها رسولاً يأمرهم بعبادة الله  
واجتناب الطاغوت؟

لَمْ تَبْقَ أَمْمَةً إِلَّا بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولًا (يأمرهم بعبادة الله وحده ،  
وينهاهم عن عبادة الطاغوت)<sup>(١)</sup> بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ  
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الْطَاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>.

س ٩٣ - ما هو الطاغوت؟

هُوَ مَا تَحَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ ، أَوْ مَتَّبُوعٍ ، أَوْ مُطَاعٍ<sup>(٣)</sup>.

= فلا تعارض بين هذه الدلالات، وبين ما استدل به المصنف أن نوحًا أول الرسل،  
وبين حديث الشفاعة السابق ذكره ، فالأنبياء والمرسلون قبل نوح النَّصِيْلَةَ لم يكن  
لهم صفة رسالة كبرى ذات شمول واسع كنوح الذي جاء بعد ذلك ، فكان أول  
الرسل من أولي العزم ، وأول الرسل أصحاب الرسالات الكبرى". وينظر :  
"نوح النَّصِيْلَةَ وقومه في القرآن" ، للأستاذ الميداني ص ٣٥٥-٣٥٩ .

(١) زيادة من الأصل .

(٢) قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي : كما بعثنا فيكم  
مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي : وَحْدَه وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ  
وهو اسم كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

(٣) قال الإمام الطييري في "جامع البيان" ٥ : ٤١٦-٤١٩ : "اختلف أهل التأويل  
في معنى الطاغوت .

## س ٩٤ - كم عدد الطواغيت؟

كثيرون ورؤوسهم خمسة<sup>(١)</sup> :

١ - فقال بعضهم: هو الشيطان .

٢ - وقال آخرون: الطاغوت هو الساحر .

٣ - وقال آخرون: بل الطاغوت هو الكاهن .

ثم قال بعد أن ذكرَ من قال ذلكَ من السلف: "والصوابُ من القولِ عندي في الطاغوتِ: أنه كُلُّ ذي طُغْيَانٍ على اللهِ، فَعُبْدٌ مِنْ دونِهِ، إِمَّا بِقَهْرِ الْمَنْ عَبْدُهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةِ مَنْ عَبَدَهُ لَهُ، إِنْسَانٌ كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانٌ، أَوْ وَئِنَا، أَوْ صَنْنَاماً، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ .

وأرى أنَّ أصلَ "الطاغوت": الطغّوْتُ، من قولِ القائل: "طغا فلانٌ يطغى" إذ عدا قدره ، فتجاوزَ حدَّه ، كـ: "الجبروت" من التجَّبر ، وـ"الخلبوت" من "الخلب" (وهو المخادع الكنوب) ، ونحو ذلكَ من الأسماء التي تأتي على تقدير "فالبوت" بزيادةِ الواو والباء ، ثمَّ نُقلَتْ لامَةً -أعني لام "الطغّوْت" - فجعلَتْ له عينَاً ، وحُولَتْ عينَهُ فجعلَتْ مكانَ لامِهِ ، كما قيل: جَذَبَ وَجَبَدَ ، وجاذَبَ وجَابَدَ ، وصَاعِقَةً وصَاعِقَةً ، وما أشبه ذلكَ من الأسماء التي على هذا المثال" انتهى .

(١) قال ابن القيم في "طريق الهجرتين" ص ٥٦٤ : "رؤساء الكفر وأئمته ودعاته: الذين كفروا وصدُّوا عباد الله عن الإيمان ، وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة ، فهؤلاء عذابهم مضاعف ، ولهُم عذابان: عذاب بالكفر ، وعذاب بصدِّ الناس عن الدخول في الإيمان .

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدَنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

## ١ - إبليس لعنه الله<sup>(١)</sup>.

= العذاب﴿ [الحل : ٨٨]. فأحد العذابين بكفرهم، والعذاب الآخر بصدتهم عن سبيل الله .

وقد استقرت حكمة الله وعدله أن يجعل على الداعي إلى الضلال مثل آثام من اتبعه واستجاب له ، ولاريب أن عذاب هذا يتضاعف بحسب من اتبعه وضلّ به . والمقصود : أنهم استحقوا أشد العذاب ؛ لغَلَظَ كُفُرِهم ، وصدتهم عن سبيل الله ، وعقوبتهم من آمن بالله . فليس عذاب الرؤساء في النار كعذاب أتباعهم ، ولهذا كان في كتاب النبي ﷺ لهرقل : (( فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين )) وهم الأتباع .

ولهذا كان عدو الله إبليس أشد أهل النار عذابا ، وهو أول من يُكسى حلة من النار ؛ لأنه إمام كل كفر وشرك وشر ، فما عصي الله إلا على يديه وبسببه ، ثم الأمثل فالأمثل من نُوَابِه في الأرض ودعاته" انتهى .

(١) قال الطبرى في تفسيره ١ : ٥٠٩ "إبليس (إفيلي)، من الإبلاس ، وهو الإياس من الخير والنندم والحزن ، عن ابن عباس قال : إبليس أَبْلَسَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلَّهُ ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عَقْوَبَةً لِمُعْصِيَتِهِ ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤَهُ : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُون﴾ [الأنعام : ٤٤] يعني : أنهم آيسون من الخير ، نادمون حزناً" انتهى . وقد تكرر ذكره بهذا اللفظ في (١١) موضعاً من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظُلْلَهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾ [سباء : ٢٠] . وورد ذكره بلفظ الشيطان في (٧٠) موضعاً من القرآن الكريم ، وقد بيّن الله سُبْحَانَهُ لَنَا عَدَوْتَه فَقَالَ : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانَ عَدُوٌّ مُبِين﴾ [يوسف : ٥] ، وَأَمَرَنَا بِمُعَادَتِه بقوله : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا﴾ [فاطر : ٦] ، وَحَذَرَنَا مِنْ عَبَادَتِه : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ إِلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ-

## ٢ - وَمَنْ عَبَدَ وَهُوَ رَاضٍ<sup>(١)</sup> .

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ [يس : ٦٠] .

قال الراغب في "المفردات" ص ٤٥٤ : "الشيطان : النون فيه أصلية وهو من شَطَنَ أي : تَبَاعَدَ ، وقيل : بل النون فيه زائدة من شاط يشيط : احترق غضباً ، فالشيطان مخلوقٌ من نار ، ولكونه من ذَلِكَ احتضَ بِفَرْطِ القوَّةِ الغضيَّةِ والحميَّةِ الْدُّمِيَّةِ ، وامتنَعَ مِنَ السجودِ لِآدَمَ" انتهى .

(١) قوله : ( وهو راض ) قيدٌ لإخراج مَنْ عَبَدَ من دون الله سبحانه ، وهو كَارِهٌ غير راض ، كَعْزِيرٍ وعِيسَى ، والملائكة عليهم السلام .

قال الله سبحانه في شأن عيسى عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: سُبْحَانَكَ! مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] .

وقال الله سبحانه في شأن الملائكة عليهم السلام : ﴿وَيَوْمَ يَحْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلملائكة: أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: سُبْحَانَكَ! أَنْتَ وَلِيَّنَا مِنْ دُونِهِمْ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّا أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سباء: ٤١-٤٢] .

وخطب الله سبحانه المشركين بقوله : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمُ - أَيْ: حطبها وقودها - أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ آهَةً - أَيْ: الأصنام - مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، ثم قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيبَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنياء: ١٠٢] .

قال أكثر المفسرين : عنى بذلك كل من عَبَدَ من دون الله ، وهو الله عَبَدَ طَائِعٌ ، ولعبادة من يعبد من دون الله كَارِهٌ .

٣ - ومن دعا الناسَ إِلَى عبادةِ نفسهِ<sup>(١)</sup> .

٤ - ومن أَدْعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ<sup>(٢)</sup> .

---

(١) كفرعون الذي قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النار: ٢٤] ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ، وقال: ﴿مَا أَرَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلُ الرُّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] .

قال ابن القيم في "طريق الهدى" ص ٥٦٥: "ولهذا كان فرعون وقومه في أشد العذاب ، كما قال سبحانه في حقهم: ﴿النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيَا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] . وهذا تنبيه على أن فرعون نفسه في الأشد من ذلك ؛ لأنهم إنما دخلوا أشد العذاب تبعاً له ، فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه ، وغرّهم فاتّبعوه . ولهذا كان يوم القيمة إمامهم وفرطهم - الذي يتقدّمهم - في هذا الورد . قال تعالى: ﴿يَقُدُّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] . انتهى .

وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال: ((من دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل أوزار من تبعه ، لا ينقص من أوزارهم شيئاً)).

(٢) كالكافر الذي يدعى علم الغيب ، والإخبار عن الأحوال الماضية ، وكذلك العرّاف والمنجم الذي يخبر بالأحوال المستقبلة ؛ لأنّ الغيب مما استائر الله تعالى بعلمه ، فلا يعلمه إلّا هو سبحانه ، ومن ارتضى من رسول يعلّمه منه ما يشاء وفق الحكمة الإلهية ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾  
[الأعراف: ٥٩] ، وقال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا  
وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَكَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا  
مَسَنِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يَؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ،

= وقال سُبْحَانَهُ : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنْ ارْتَضَى  
مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] وقال تَعَالَى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعَكُمْ عَلَى  
الْغَيْبِ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَنْ رَسَلَهُ مِنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

فَلَا سَيْلَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا بِإِنْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَصْلُ إِلَى عِلْمِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى  
أَحَدٌ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمَرَادُ بِالْعِلْمِ : الْجُزْمُ الَّذِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ وَلَا خَطَأٌ .

رَوَى أَحْمَدُ ٢ : ٥ وَالبَخَارِيُّ (٩٩٢) عَنْ أَبِي عُمَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :  
"مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ" لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى : لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدِ إِلَّا  
الَّهُ تَعَالَى ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ  
مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ  
تَعَالَى ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَحْيِي الْمَطْرُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى" .

وَهُؤُلَاءِ الْخَمْسُ هُنَّ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ، لَا عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْغَيْبَ مُحَصَّرٌ فِيهِنَّ ،  
فَقَدْ صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِهِنَّ فِي مَوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ ، مُثْلِ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الرُّوحِ ،  
وَتَفْصِيلِ بَدْءِ الْخَلْقِ : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ  
أَنفُسِهِمْ﴾ [الْأَكْهَفُ : ٥١] ، وَتَفْصِيلِ النَّشَأَةِ الْآخِرَةِ : ﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِيمَا لَا  
تَعْلَمُونَ﴾ [الْوَاقِعَةُ : ٦١] إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ .

أَمَّا مَا تَذَكَّرُهُ هِيَاتُ الْأَرْصَادِ الْجَوِيَّةِ مِنْ احْتِمَالَاتِ سُقُوطِ الْأَمْطَارِ ، وَالْمَدَّ  
وَالْجَزْرِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ ، فَلَا تَدْخُلُ فِي الْغَيْبِ ؛ لَأَنَّهَا مُبَيِّنَةٌ عَلَى أَمْوَارِ  
مُشَاهَدَةٍ ، تَرْتَبُ عَلَيْهَا آثَارُهَا وَفَقَ سُنَنُ اللَّهِ تَعَالَى .

وَمَا يُذَكَّرُ هُنَا أَيْضًا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لَقَمَانُ : ٣٤]  
لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ أَذْكَرَ أَمْ أَنْثَى ؛ لَأَنَّ (مَا) مِنْ أَفْنَاطِ  
الْعُوْمَ ، فَهِيَ تَشْمِلُ الْذَّكُورَةَ وَالْأُنْوَثَةَ ، وَالصَّحَّةَ وَالْمَرْضَ ، وَالْقُوَّةَ وَالْعُسْفَ ،  
وَالذِّكَاءَ وَالْغَبَاءَ ، وَالسَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ .

## ٥ - وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(١)</sup> .

(١) وقد سمي الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتاً، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكِمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وَعِبَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَقْتَضِي إِفْرَادَهُ تَعَلَّقُ بِالْتَّحْلِيلِ وَالْتَّحْرِيمِ، وَإِفْرَادُهُ بِالطَّاعَةِ وَالْأَنْقِيَادِ لِشَرِعِهِ .

قال سبحانه: ﴿أَتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مُرِيْمَ، وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ [التوبه: ٣١].

روى الترمذى (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم قال: أتىتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بِرَاءَةَ ﴿أَتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ...﴾ فَقَلَّتْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ، فَقَالَ: ((بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكُ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ)).

وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَنْزَلَةَ تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَقَالَ تَعَلَّقَ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ـ وهذه الآيات المحكمات غنية عن أيّ شرح وتفسير ، فهي واضحة الدلالة على أن الإذعان لحكم الله ورسوله جزء لا يتجزأ من الإيمان ، وقد أقسم الله سبحانه على نفي الإيمان عن كل من لم يُحَكِّم رسول الله ﷺ مع الرضا والقبول والتسليم . فقال سبحانه : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يَؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا قَضَيْتُ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾

[النساء : ٦٥]

وقد سُمِيَ الله تعالى الذين يحكمون بغير شرعه كفاراً وظالمين وفاسقين . فقال سبحانه : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة : ٤٤] . وقال تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة : ٤٧] . وهذه الآيات نزلت في أهل التوراة والإنجيل كما تدل على ذلك أسباب النزول ، والسياق نفسه ، ولكن خواتيم الآيات ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ ...﴾ جاءت بصيغة العموم ، فالعبرة بعموم اللفظ ، ولا يجوز قصر أحكامها على غير المسلمين من أهل الكتاب .

وما يجدر التنبيه إليه ضرورة التفريق بين من لم يحكم بما أَنْزَلَ اللَّهُ وينحرف أو يجور في بعض الأحكام والأمور الجزئية ؛ بحكم الضعف أو اتباع الهوى ، فلا يجوز المسارعة إلى تكفيره .

قال القرطبي في تفسيره ٦ : ١٩ : "إن حكم به - أي : بغير ما أَنْزَلَ اللَّهُ - هو ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين" .

وهذا كما قال ابن عباس : "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ، إنه ليس بكفر ينفل عن الملة ، كفر دون كفر" أخرجه الحاكم ٢ : ٣١٣ ، وقال : صحيح الإسناد .

وقال عطاء : "كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق" .  
وأما من رفض تحكيم شرع الله وقدّم عليه أحکام البشر وقوانينهم فقد كفر  
كما جاء في رواية لابن عباس : "من حمد ما أنزل الله فقد كفر" وهو اختيار  
ابن جرير في تفسيره ٦ : ١٤٩ .

قال ابن الجوزي في "زاد المسير" ٢ : ٣٦٦ : "وفصل الخطاب : أن من لم  
يحكم بما أنزل الله جاحداً له ، وهو يعلم أن الله أنزله - كما فعلت اليهود -  
 فهو كافر ، ومن لم يحكم به ميّلاً إلى الهوى من غير جحود ، فهو ظالم وفاسق"  
انتهى .

على أن اتصف الإنسان بالظلم والفسق ليس هيناً يستخف به ، بل الظلم  
والفسق من أشدّ ما يحدّر المسلم ، كيف لا ، وقد قال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ  
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران : ٥٧] ، و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة : ٥١] ،  
و ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف : ٢٣] و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾  
[النافعون : ٦] ، و ﴿بَئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفَسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات : ١١] .

والحكم بغير ما أنزل الله ليس فسق ساعة ، ولا ظلم يوم ، بل ظلم وفسق  
مستمر دائم بدوام الحكم بغير ما أنزل الله .

ولا بد من التذكير أيضاً بأن الكفر والفسق والظلم ينقسم إلى قسمين : كفر  
وفسق وظلم يُخرج من الملة ، وكل ذلك يعود إلى الاستحلال القلبي ، وآخر  
لا يخرج من الملة يعود إلى الاستحلال العملي .

ويتحقق بالجحود : إذا فَضَّلَ حَكْمَ الطَّاغُوتِ عَلَى حَكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، أو سَنَّ  
تَشْرِيعًا يُنَاقِضُ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالْمُرْضِرَةِ ، أو اسْتَحْفَفَ وَاسْتَهَانَ بِحَكْمِ  
اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ كُفُّرٌ مُخْرَجٌ مِنَ الْمَلَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿...قُلْ أَبِّ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ  
كُنُّتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبه : ٦٥-٦٦] =

## س ٩٥ - ما الدليل على ذلك ؟

قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة ، الآية : ٢٥٦].

وكذلك من ساوي بين الحكم الإلهي والحكم الوضعي ، واعتقد التمايز بينهما ، فذلك كفر مخرج من الملة ؛ لأنه تسوية بين حكم الله وحكم البشر .  
والله تعالى أعلم .

(١) قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ أي : لا إكراه في الدين لأحدٍ من حلّ قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام ، وأما عبادة الأواثان من مشركي العرب ، والمرتد عن دينه الحق إلى الكفر فلا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل ، ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ أي : قد ظهرَ ووضحَ وتميَّزَ الحقُّ من الباطل ، والإيمانُ من الكفر ، والهدايَ من الضلالَ ، فلا تُكَرِّهُوا من أهل الكتابين ومنْ أَبْحَثْتُ لَكُمْ أَحَدًا جزيةً منه أحدًا على دينكم الحق ، فإنَّ من حاد عن الرشاد بعد استبانته له ، فالي ربِّه أمرُه ، وهو ولِيُّ عقوبته في معاذه .

﴿ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ ﴾ أي : فمن يُحْمِدُ رُبوبيةَ كُلِّ معبودٍ من دون الله فيكفر به ﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ ويصدقُ بالله أنه إلهه وربه وعبوده ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثْقَى ﴾ أي : فقد تمسَّكَ واعتصم بالعُقْدِ الوثيقِ الحكيم ، قال سعيد بن جبير : قوله : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثْقَى ﴾ قال : لا إله إلا الله .  
وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ أي : لا انقطاع لها حتى تؤديه إلى الجنة ،  
والمعنى : أنَّ المتمسَّكَ بالدين الصحيح الَّذِي هو دينُ الإسلام كالمتمسَّك بالشيءِ الوثيق الَّذِي لا يمكن كسره ولا انقطاعه ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إيمان =

وهذا هو معنى : ( لا إله إِلَّا الله ) .

وفي الحديث : " رَأْسُ الْأَمْرِ إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَمْدَةُ الصَّلَاةِ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (١) .

---

= المؤمن بالله وحده ، الكافر بالطاغوت ، عند إقراره بوحدانية الله ، وتبئرُّه من الأنداد والأوثان من دون الله ﴿عَلِيهِم﴾ بِمَا عَزَّمَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَإِخْلَاصِ رَبُوبِيَّتِهِ قَلْبُهُ ، وَمَا انطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَلَهِ وَالْأَصْنَامِ وَالظَّوَاغِيْتِ ضَمِيرِهِ ، لَا يَنْكِتُمْ عَنْهُ سِرُّ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ ، حَتَّى يَحْزِيَ كُلَّا يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا نَطَقَ بِهِ لِسَانَهُ ، وَأَضْمَرَتْهُ نَفْسَهُ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًا فَشَرٌ " تفسير الطبرى " ٤١٤-٤٢٤ باختصار .

(١) رواه أحمد ٥ : ٢٣٠ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٥ ، والترمذى (٢٦١٦) في كتاب الإيمان ، وابن ماجه (٣٩٧٩) في كتاب الفتنة من حديث معاذ بن جبل رض .

قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ٢ : ١٤٥ "أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ : رَأْسِ الْأَمْرِ ، وَعَمْدَةِ الْأَمْرِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ . فَأَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ ، وَيَعْنِي بِالْأَمْرِ : الدِّينُ الَّذِي بُعِثَّ بِهِ وَهُوَ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ" ، فَمَنْ لَمْ يُقْرَرْ بِالشَّهَادَتِينِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، فَلَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ .

وَأَمَّا قِوَامُ الدِّينِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الدِّينُ كَمَا يَقُومُ الْفُسْطَاطُ عَلَى عَمُودِهِ ، فَهُوَ الصَّلَاةُ ، وَفِي الْرَوَايَةِ الْأُخْرَى : (( وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ )) .

وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ - وَهُوَ أَعْلَى مَا فِيهِ وَأَرْفَعُهُ - فَهُوَ الْجَهَادُ ، وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدِ الْفَرَائِضِ .

وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

(تمت)

---

وفي الصحيحين عن أبي ذر قال : قلت : يارسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال : ((إيمان بالله وجهاد في سبيله )) ، رواه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٤٨) . وفيهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((أفضل الأعمال : إيمان بالله ، ثم جهاد في سبيل الله )) ، رواه البخاري (٢٦) و (١٥١٩) ومسلم (٨٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً اهـ .

وقال ابن رجب أيضاً في شرح حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ((بني الإسلام على خمس ... )) ١ : ٢٥٢ : "ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر ، مع أنَّ الجهاد أفضل الأعمال ، وفي حديث معاذ : ((وذروة سنامه للجهاد )) ، وذروة سنامه : أعلى شيء فيه ، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بيَّنَها ؛ وذلك لوجهين : أحدهما : أنَّ الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ، ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان .

والثاني : أنَّ الجهاد لا يستمر فعله إلى آخر الدهر ، بل إذا نزل عيسى عليه السلام ، ولم يبق حيئذ ملة غير ملة الإسلام ، فحيئذ تضع الحرب أوزارها ويُسْتَغْنَى عن الجهاد ، بخلاف هذه الأركان ، فإنَّها واجبة على المؤمنين إلى أن ي يأتي أمر الله وهم على ذلك ، والله أعلم" . انتهى .

انتهيت من خدمة هذه الرسالة والتعليق عليها بعون الله وفضله في عدة مجالس ، كان آخرها صباح يوم السبت ١٨ رجب الفرد ١٤١٩هـ ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلها وسلم تسلیماً كثیراً .

# تسهيل الحفظ والوصول نظمهم شِلَاثة الأصول

نظمها

الشيخ عمر بن إبراهيم البري المداني  
المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٧٨  
رحمه الله تعالى

اعتنى بها

محمد بن أحمد مدي

كتاب الشِّلَاثة

دار نور المكتبة



بِلَا تَوْقِفٍ وَلَا تَرْدِيدٍ  
 وَكُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ وَمَيْرَةٌ<sup>(١)</sup>  
 عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْكَرِيمِ  
 وَعَبْدِهِ الْمُرْسَلِ فِي عَيْدِهِ  
 فَإِنَّمَا مِنْ خَيْرِ الْأَبْرَارِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّوْحِيدِ  
 نَحْمَدُهُ وَلَا إِلَهَ غَيْرَهُ  
 ثُمَّ صَلَةُ اللَّهِ بِالْتَّسْلِيمِ  
 مُحَمَّدٌ الدَّاعِيُّ إِلَى تَوْحِيدِهِ  
 وَاللَّهُ وَصَحْبُهُ الْأَخْيَارِ

### المسائل الأربع

عَلَيْكَ مِنْ تَعْلِيمِهِ كَيْلَاتُصْبَ  
 كَيْلَاتُكُونَ مُشْرِكًا لِذَاكَ<sup>(٢)</sup>  
 مَسَائِلُ تَحْوِي بِهِنَّ مَنْفَعَةَ  
 اللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَالدِّينَ مَعَهُ  
 فَمِلَةُ الْإِسْلَامُ خَيْرٌ مِلَّةٍ  
 تَكُونُ بِذَاكَ كَامِلًا ثُمَّ اتَّبِعْ

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ يَا أَخِي مَا قَدْ وَجَبَ  
 سُخْطٌ رِبِّكَ الَّذِي أَنْشَأَكَ  
 أَوْلَ وَاجِبٍ عَلَيْكَ أَرْبَعَةَ  
 أَوْلَهَا: الْعِلْمُ وَذَا فِي الْمَعْرَفَةِ  
 أَعْنِي بِهِ الْإِسْلَامُ بِالْأَدَلَّةِ  
 وَثَنِّي بَعْدَهُ بِأَنْ تَعْمَلَ بِهِ

(١) مَيْرَةٌ : من الميرة ، وهي الطعام الذي يختاره الإنسان مما يحلب للبيع ، قال تعالى ﴿ وَغَيْرُ أَهْلِنَا ﴾ [يوسف : ٦٥] .

(٢) السُّخْطُ وَالسُّخْطُ : الغضب الشديد المقتضي للعقوبة .

فِيهِ تَكُنْ ذَا مُهْجَةٍ مُطَاوِعَةٌ<sup>(٣)</sup>

دِلِيلُهُ مِنَ الْكِتَابِ مُنْجَلِي<sup>(٤)</sup>

وَاصْبِرْ عَلَى الْأَذْى وَتَلْكَ الرِّبَعَةُ

فَالْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ ثُمَّ الْعَمَلُ



---

(٣) المُهْجَةُ : دم القلب ، والروح .

(٤) مُنْجَلِي : أي ظاهر واضح لاختفاء فيه .

### المسائل الثلاث

أو إِنْ تَكُنْ مُسْلِمَةَ سُتْرَنُمْ  
وَعَمَلْ بِهِنَّ لَا كَلْجَا هَاهِلَّ  
بِأَمْرِهِ وَسَوْقِهِ لِرِزْقِنَا  
بَلْ أَرْسَلَ الرَّسُولَ لَهُمْ بَيْنَ الْمَلَأِ<sup>(٥)</sup>  
مُحَمَّدٌ نَبِيُّهُ الْمَفْضُلُ  
وَمَنْ عَصَى فَحَظَّهُ النَّيْرَانُ  
دِلْكِلَهُ هُدِيَّتَ لِلصَّوَابِ  
عِبَادَةَ مَعَهُ شَانِ يَقْتَفِي<sup>(٦)</sup>  
وَلَوْكُونُ مُرْسَلًا قَدِ اجْتَبَي<sup>(٧)</sup>

فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ يَا ذَا الْمُسْلِمِ  
تَعْلَمُ الْثَلَاثَةَ الْمَسَائِلَ  
فَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ حِينَ خَلَقَنَا  
مَا تَرَكَ الْخُلُقَ جَمِيعاً هَمَّلَ  
وَخَنَّ مِنْ أُمَّةٍ خَيْرٌ مُرْسَلٌ  
فَمَنْ أَطَاعَهُ لَهُ الْجَنَانُ  
وَذَا جَمِيعَهُ مِنَ الْكِتَابِ  
وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِأَنْ يُشْرِكَ فِي  
لَا مَلِكٌ مُقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ

(٥) هَمَّلَ : أي مهملين متزوكين سدى . والملأ : جماعة يجتمعون على رأي ، فيملؤون العيون رواء ومنظراً ، والآنفوس بهاء وجلاً . "المفردات" ص ٧٧٦ .  
والملأ : أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدّموهم ، الذين يرجع إلى قوتهم (النهاية ٤ : ٣٥١) .

(٦) يَقْتَفِي : أي يَتَّبِعُ ويقتدي به . " وقد تكرر ذكر القفو والاقتفاء اسمًا وفعلاً ومصدراً ، يقال : قفوته ، وقفته ، واقتفيته : إذا تبعه واقتديت به" (النهاية ٤ : ٩٥) .

(٧) اجْتَبَي : من الاجتباء ، وهو الاختيار والاصطفاء ، قال تعالى ﴿يَجْتَبِي مِنْ رَسْلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران : ١٧٩] . "واجتباء الله العبد : تخصيصه إياه بفيفيض إلهي يتحصل منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد ، كما قال تعالى : =

كُفُرٌ مُخَالِفٌ لِمَا فِيهِ رِضَاءٌ  
 مُتَصِّفًا بِوَصْفِهَا الْجَيْلَ  
 لَكَ الْمُوْلَاهَا لَمَنْ يَحْوِرُ<sup>(٨)</sup>  
 مُحَادِدًا مُنَابِذًا الْمَعْقُولَ<sup>(٩)</sup>  
 فَاتَّلُ الْكِتَابَ تَعْلَمْ صَوَابَهُ<sup>(١٠)</sup>

فَالْجُرْئُ مِنْ عِبَادَةِ لِمَا سِوَاهُ  
 فَإِنْ تَكُنْ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ  
 مُؤْخَدًا لِلَّهِ لَا يَجْعُلُ وَرَأْ  
 عَدَاوَةَ اللَّهِ مَعَ الرَّسُولِ  
 وَلَوْ يَكُونُ مِنْكَ ذَا قَرَابَةَ



=﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦] ، و﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠] ، وَقَالَ رَبُّكَ : ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَنَابِ﴾ [الشورى: ١٣] ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكْرِ الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦] . (المفردات: ١٨٦-١٨٧) .

(٨) يَحْوِرُ : مِنَ الْحَوْزِ ، وَهُوَ الْجَمْعُ وَضَمُّ الشَّيْءِ . (القاموس، ص ٦٥٥) .

(٩) مُحَادِدًا : الْمُحَادَّةُ ، الْمُعَادَّةُ وَالْمُخَالَفَةُ وَالْمُنَازِعَةُ ، وَهِيَ مُفَاعَلَةُ مِنَ الْحَدِّ ، كَأَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَحْاوزُ حَدَّهُ إِلَى الْآخَرِ . (النَّهَايَةُ ١: ٣٥٣) .

وَمُنَابِذًا : النُّبُذُ ، طَرْحُكَ الشَّيْءِ أَمَامَكَ أَوْ وَرَاءَكَ ، أَوْ عَامِ . (القاموس، ص ٤٣٢) .

(١٠) قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَيَاءَ إِنْ اسْتَحْبُوا الْكُفُرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبه: ٢٣] .

وَقَالَ سَبَحَانَهُ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يَوَادُونَ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [الْمُحَادَّةَ: ٢٢] .

## إِنَّ الْحَنِيفَيَّةَ خَيْرُ مِلَّةٍ مِلَّةُ إِبْرَامَ حَلِيفِ الْخَلْلَةِ<sup>(١١)</sup>

(١١) الحنيفية : أصل الحنف الميل ، والحنيف : هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم العليل . وفي الحديث : ((بعثت بالحنيفية السمححة )) . (النهاية ١ : ٤٥١) . إبرام : أي إبراهيم العليل ، وقرأ ابن عامر وحده : فَوَلِي إِبْرَاهِيمَ بِالْأَلْفِ في ثلاثة وثلاثين موضعًا . (وينظر : التلخيص لأبي معاشر الطبرى ، ص ٢١٣-٢١٤) . ولا توجد قراءة كما أوردها المؤلف ، وهي تنطق هكذا (إبرام) باللغة العربية ، والله تعالى أعلم . حليف : من الحلف والمحالفة : وهو العهد بين القوم والمعاهدة والمعاقدة على التعااضد والتساعد ، جعلت للملازمة التي تكون بمعاهدة ، وفلان حلف كرم ، وحليف كرم ، والأحلاف جمع حليف (المفردات : ص ٢٥٢) . الخلة : قال ابن الأثير في (النهاية) : " الخلة بالضم : الصدقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلالة : أي في باطنها ، والخليل : الصديق ، وإنما قال ذلك ؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متسع ، ولا يشركه من محاب الدنيا والآخرة ، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد ، فإن الطياع غالبة ، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده ، مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه " انتهى .

وقال الراغب في (المفردات ، ص ٢٩١) : " والخلة : المودة ؛ لأنها تخلل النفس ، كقوله :

قد تخللت مسلك الروح مني و به سُمي الخليل خليلاً" انتهى .

أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ مُوَحَّدًا لَهُ  
 وَمُخْلِصَ الطَّاغِيَةِ لَا تَمُوْهُ<sup>(١٢)</sup>  
 قَدْ جَاءَ يَهُدُوْهُمْ إِلَى السَّدَادِ<sup>(١٣)</sup>  
 ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ﴾ فَاتَّلْ تَدْرِ  
 بِذَكَرِ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ  
 وَخَلَقْنَا لَهَا أَتَى بِالْحَضْرِ



(١٢) **تموّه** : قال أبو هلال العسكري في ( الفروق اللغوية ، ص : ٢١٣ ) :  
 التمويه هو تغطية الصواب ، وتصوير الخطأ بغير صورته ، وأصله طلاء الحديد  
 والصفر بالذهب والفضة ليوهم أنه ذهب وفضة ، ويكون التمويه في الكلام  
 وغيره . تقول : كلام مموّه : إذا لم تبين حقائقه ، وحلّي مموّه إذا لم يعين  
 جنسه " انتهى .

(١٣) **السَّدَاد** : الاستقامة والصواب من القول والفعل ( القاموس ) .

## الأصول الثلاثة

ثلاثة أصول هذا الدين <sup>(١٤)</sup>  
مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ مَعَ الْيَقِينِ  
اللهُ وَالرَّسُولُ تَلَوِّهِ دِينَهُ <sup>(١٥)</sup>  
مُثْبِتًا بِعِلْمِهِ يَقِينَهُ  
الأصل الأول

### معرفة العبد ربّه

مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَرْضٌ <sup>(١٦)</sup>  
وَجَهَلُهَا ظُلْمٌ وَكُفُرٌ مُحْضٌ  
فَرِبُّكَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّكَ  
وَالْعَالَمِينَ نِعْمَةً أَعْطَاكَ

(١٤) اليقين : من صفة العلم ، وهو فوق المعرفة والدراسة وأخواتها . يقال : علم يقين ، ولا يقال : معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم (المفردات ، ص ٨٩٢) .

(١٥) تعلو : أي تتبع . مثبتاً : من الثبات وهو ضد الزوال ، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة ، فيقال : فلان ثابت عندي ، ونبوة النبي ﷺ ثابتة .  
وقوله تعالى : ﴿يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم : ٢٧] أي : يقويه بالحجج القوية . (المفردات : ١٧١) .  
أو مثبتاً : من التشكيت ، يقال ثبته ، أي قويته . قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَاكَ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، وقال : ﴿وَثَبَّتَ أَقْدَامَنَا﴾ [البقرة : ٢٥٠] .  
(١٦) مُحْضٌ : أي خالص .

اللَّهُ لَا غَيْرُهُ وَلَا جَحْوَدُ<sup>(١٧)</sup>  
 وَأَنْتَ مِنْهَا وَاحِدٌ مُّلَازِمٌ<sup>(١٨)</sup>  
 وَكُمْ تَرَى فِيهِ مِنَ الْإِثْبَاتِ  
 وَلَا جِدَالَ فِيهِمَا وَلَا مِرَا<sup>(١٩)</sup>

فَإِنْ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَالْمَعْبُودُ  
 وَكُلُّ مَنْ سِوَاهُ حَقَّاً عَالَمُ  
 عَرَقْتَهُ بِالْخَلْقِ وَالآيَاتِ  
 فَالْأَمْرُ وَالْخَلْقُ لَهُ قَدْ حُصِّرَا

(١٧) الجحود : نفي ما في القلب إثباته ، وإثبات ما في القلب نفيه . يقال : جحد ححوداً وجحداً ، قال عَلِيٌّ : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتُهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] .  
 وقال عَلِيٌّ : ﴿ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٥١] . ( المفردات ، ص ١٨٧ ) .

(١٨) ملازم : هو في اللغة : الملازمة للشيء والدوام عليه ، ولزوم الشيء : طول مكثه ، ومنه يقال : لزمه يلزم لزوماً ، والإلزام ضربان : إلزام بالتسخير من الله تعالى ، أو من الإنسان . وإلزام بالحكم والأمر . ( المفردات ، ص ٧٤٠ ) .

(١٩) قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . والخلق أصله : التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء . قال تعالى : ﴿ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : أبدعهما ، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء ، نحو : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر : ٦] . وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله تعالى . وهذا قال في الفصل الذي ي فيه تعالى وبين غيره : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمْنَ لَا يَخْلُقُ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] . ( المفردات : ٢٩٦ ) . والأمر : الشأن ، وجمعه أمور ، والأمر الذي هو مصدر أمرته : إذا كلفته أن يفعل شيئاً ، وجمعه أوامر ، والتَّكْلِيفُ بالشيء يشمل الإتيان والترك ، وهو لفظ عام يشمل : الاعتقاد والأقوال والأفعال جمِيعاً . والعلاقة بينهما هي علاقة لزوم وترتُّب ، فقضية الأمر فرع قضية الخلق ، وتقع منها موقع التَّيَّّنة من مقدماتها ، وترتُّب الأمر على الخلق =

يُنْقِذُهُ مِنْ جُهْلِهِ بَلْ يَرْفَعُهُ  
مِنَ الْعِبَادَاتِ بِنَظَمِي قَدْ أَتَى  
كَذَا الدُّعَاءِ وَالْخُوفُ وَالْتُّكَلَانُ<sup>(٢٠)</sup>  
كَذَا رَجَاءُ، خَشْيَةُ، وَرَهْبَةُ  
وَالْذَّبْحُ وَالنَّذْرُ مَعَ اسْتِغَاةِ  
فَقَدْ صُرِفتَ يَا قَسَى عَنْ خَيْرِهِ  
فَأَخْرِصْ رَعَاكَ اللَّهُ أَنْ لَا تُشْرِكَا

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ حَقًا يَنْفَعُهُ  
أَنْوَاعُ مَا أَمْرَتَهُ يَا ذَا الْقَسَى  
إِسْلَامُنَا الْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ  
كَذَا إِنَابَةُ خُشُوعُ رَغْبَةُ  
مَعَ اسْتِغَاةِ وَالْإِسْتِغْانَةِ  
فَإِنْ صَرَفْتَ وَاحِدًا لِغَيْرِهِ  
وَكُنْتَ كَافِرًا وَكُنْتَ مُشْرِكًا



=حقيقة شرعية وعقلية مسلمة ؛ لأن من يملك له أن يحكم في ملوكه بما شاء .  
والله سبحانه الذي خلق الكون وأبدعه ، له وحده الملك ، وله سبحانه الأمر  
وتشريع الشرائع والأحكام التي تنظم حياة الناس . مرا : الامتناء والمماراة :  
المحتاجة فيما فيه مريمة . والمرية : التردد في الأمر ، وهو أخص من الشك . قال  
تعالى : ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مَرَأَ ظَاهِرًا﴾ [الكهف : ٢٢] ، وأصله من : مريت  
الناقة ، إذا مسحت ضرعها للحلب . (المفردات ، ص ٢٢) .  
وفي (النهاية ٤ : ٣٢٢) : المراء : الجدال ، والتماري ، والمماراة : المحادلة على  
مذهب الشك والرivity . ويقال للمناظرة : مماراة ؛ لأن كل واحد منهما يستخرج  
ما عند صاحبه ويمتريه ، كما يمتري الحالب للبن من الضرع . انتهى .  
(٢٠) التكلان : أي التوكل . يقال : تكل عليه ، لغة في اتكل (القاموس ، ص

١٢٥٤ .

## الأصل الثاني

### معرفة العبد دينه

تُدرِكُهَا فَكُنْ لَهَا ذَا خَلَّةً<sup>(٢١)</sup>  
مُوَحَّدًا وَلَا تَكُنْ بِاللَّاهِي  
مُلَازِمًا فِيهَا وَذَا بَيْتَاتِ  
وَذَا مَعْنَاهُ الْحَقِيقِي فَخُذَا  
مَعْرِفَةُ الْإِسْلَامُ بِالْأَدَلَّةِ  
بِأَنْ تُرَى مُسْتَقِلًا لِمَا لَهُ  
كَذَالِكُهُ تَنْقَادُ بِالطَّاعَاتِ  
مُخْلِصًا نَقْسَلَكَ مِنْ شِرْكِكَذَا



---

(٢١) الخلة بالضم : الصدقة والمحبة ، كما تقدم ، والخلة بالفتح : الحاجة والفقر والخاصة والخلصة : جمع خلال ، المراد بها هنا أن تكون مصاحباً لها أو متصفاً بها .

## مراتب دين الإسلام

وَهُوَ أَتَى عَلَىٰ ثَلَاثَةِ رَتَبٍ  
إِسْلَامٌ إِيمَانٌ وَالْحُسْنَى حَسَبٌ<sup>(٢٢)</sup>  
وَكُلُّ رَتْبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ  
ثَنَىٰ بِهَا وَهَكَذَا الْبَيَانُ

### ١ - الإسلام

أَرْكَانٌ إِسْلَامٌ أَتَّسْكَ خَمْسَةٌ  
فَوَاحِدٌ مِنْهَا الشَّهَادَاتَانِ  
كَذَالِكَ إِتَاءُ الرِّزْكَاءِ عَدَدَهُ  
وَحَجَّ بَيْتِ اللَّهِ فِي التَّمِيمِ  
فَعِلْمُهَا أَحْذَرَ يَا أَخِي لَا تَسْهَلْ  
كَذَا الصَّلَاةِ يَا أَخِي الإِتْقَانِ  
وَصَوْمُ رَمَضَانَ أَتَّاكَ بَعْدَهُ  
لِلْمُسْتَطِيعِ فَخُذْ ذُنُونَ تَعْلِيمِي



---

(٢٢) رَتَبٌ : الرتبة والمرتبة : المنزلة الرفيعة ، وهي مفعولة من رتب : إذا انتصب قائماً ، والمراتب جمعها . حَسَبٌ : من الحساب ، وهو استعمال العدد ، يقال : حَسَب بفتح السين وكسرها وضمها ، وحسب يستعمل في معنى الكفاية : ﴿ حَسِبْنَا اللَّهَ ﴾ أي : كافينا .

## ٢ - الإيمان

إِقْرَارُهُ أَنْ يَفْلِظَ اللَّسَانَ  
وَعَمَلٌ بِكَامِلِ الْأَرْكَانِ<sup>(٢٣)</sup>  
وَتَاقِصٌ تَلْقَاهُ بِالْعِصْيَانِ  
أَفْضَلُهُ شَهِيدُ اللَّهِ ثَبَتَ  
وَكُلُّ ذَا ذُوقَةٍ رَوَاهَا  
كَذَا النَّسَائِيُّ وَهُوَ فِي الْعَدِيرِ  
فَنَعْمَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ<sup>(٢٤)</sup>

وَالرُّتْبَةُ الْثَّانِيَةُ الْإِيمَانُ  
مَعَ اعْتِقَادٍ دَاخِلِ الْجَنَانِ  
يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ مِنْ إِنْسَانٍ  
شُعْبَةُ بَضْعٍ وَسَبْعُونَ أَتَتْ  
إِمَاطَةً الْأَذَى كَذَا أَذْنَاهَا  
مِنْ مُسْلِمٍ كَذَا أَبُو دَاؤِدُ  
كَذَا ابْنُ مَاجَةَ حَكَمُوا بِالصِّحَّةِ

(٢٣) الجنان : القلب . من الاحتنان وهو السُّتر . وبه سمي الجن ؛ لاستثارهم واحتفائهم عن الأ بصار ، ومنه سمي الجنين ؛ لاستثاره في بطنه أمه .

(٢٤) حديث : «(الإيمان بضع وسبعون شعبة ... )» رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٨) ، ومسلم ١ : ٦٣ (٣٥) ، وأبو داود ٤ : ٢١٩ (٤٦٧٦) ، والترمذى ٥ : ١٠ (٢٦١٤) ، والنسائي ٨ : ١١٠ (٥٠٠٤) ، وابن ماجه ١ : ٢٢ (٥٧) ، ورواه البخاري في صحيحه (٩) بلفظ : «(الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان)» .

وقد اعتبرتى الأئمة بهذا الحديث ، واعتبروه أصلًا ؛ لإدخال الطاعات في الإيمان ، وأفردوا في ذلك بعض المصنفات ، ومن أغزرها فوائد كتاب : "المنهاج في شعب الإيمان" للإمام أبي عبد الله الحليمي ، وهذا حذوه الإمام البيهقي في كتابه الجليل الحفيل : "الجامع لشعب الإيمان" مع عنايته بالأسانيد . وللحافظ أبي حاتم بن حبان كتاب "وصف الإيمان وشعبه" عدّ فيه =

وَكُلُّهَا مِنَ الْكِتَابِ قَدْ أَتَتْ  
وَفِي الْكِتَابِ ذِكْرٌ مُفَضَّلٌ  
وَالْأَئِمَّاءُ كُلُّهُمْ تُرْتَبُ  
وَقَدْرٌ يَصْمُمُهُ التَّعْدِيدُ  
مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْكِتَابِ ثُمَّ  
إِقْرَبَتْ كَذَاكَ تَلْقَى الْقَدْرَ (٢٥)

وَسِتَّةُ أَرْكَانُهُ قَدْ ثَبَّتْ  
إِيمَانَنَا بِاللَّهِ ذَاكَ الْأَوَّلُ  
مَلَائِكَ كَذَاكَ ثُمَّ الْكِتَابُ  
وَالْيَوْمُ يَوْمُ الْآخِرِ الْمَوْعِدُ  
لِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلُّ أَتَى  
فَاقْرَأْ مِنَ النِّسَاءِ وَلَيْسَ الْبَرُّ

=تسعاً وسبعين شعبة من شعب الإيمان . ومن اعنى بحصر شعب الإيمان الإمام اللالكائي في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" وعد اثنين وسبعين شعبة من شعب الإيمان ٥ : ٩١١ - ٩٤٠ .

(٢٥) أي دليل أركان الإيمان ما جاء في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [ النساء : ١٣٦ ] .

ودليله أيضاً آية : ﴿ليس البر﴾ في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [ البقرة : ١٧٧ ] .

ودليل القدر ما جاء في سورة القمر والتي مطلعها قوله تعالى : ﴿اقترب الساعة وانشق القمر﴾ ، وفيها قوله تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [ القمر : ٤٩ ] .

### ٣ - الإحسان

وَالرُّتْبَةُ الْثَالِثَةُ الْإِحْسَانُ  
مَرْتَبَةُ الْأَبْرَارِ يَا إِنْسَانُ  
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ  
عَلَيْكَ فِي تَمِيمِهِ مِمْنُ رَوَاهُ  
وَذَاكَ رُكْنٌ وَاحِدٌ لَهُ فَقَطْ  
دَلِيلُهُ مِنَ الْكِتَابِ مُلْقَطٌ<sup>(٢٦)</sup>



---

(٢٦) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون﴾ [النحل : ١٢٨] . وقال سبحانه : ﴿وَمَنْ يَسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْفِ الْوَثِيقِ﴾ [لقمان : ٢٢] .

## الأصل الثالث

### معرفة العبد نبيه ﷺ

إذ منه تروي الدين يا ذا المسلم  
فالنسب الشريف في الأفواه  
وهي من العرب الكرام تنسب<sup>(٢٧)</sup>  
ابن الذي سمي بالخليل  
ثلاثة أعطى بها مراده  
ومرسى في فاضل السنين  
سورة المدثر التي تلا  
وفيها بيت الله ثم الحرم  
يأن نرى التوحيد فيما دينا  
فأطال الكتاب تلق فيه سؤلها<sup>(٢٨)</sup>  
به إلى السماء كيما يهبح  
اتي بها الجن معها والأنسا

معرفة النبي حقاً تلزم  
محمد ذاك ابن عبد الله  
من هاشم ومن قريش في الحسب  
والعرب ذرية اسماعيل  
وأمارة ستون فالزيادة  
منها من بعد أربعين  
نبي باقرا باسم ثم أرسل  
ومكة بلدة المكرم  
بعثة الله لنا يدعونا  
ومذرانا لالا نشرك  
عشر سنين ثم بعدها اخرج  
وفرضت فيها الصلاة خمسا

(٢٧) الحسب : الشرف بالآباء وما يُعد الناس من مفاخرهم .

(٢٨) في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدْثُرُ ، قَمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبُكَ فَكِيرْ ، وَثِيَابُكَ فَطَهِيرْ ، وَالرِّجْزَ فَاهْجِرْ ﴾ [المدثر : ١ - ٥] .

ثَلَاثَةٌ وَبَعْدَهَا إِلَزَامًا  
بِهِجْرَةِ يَنْشُرُ فِيهَا دِينَهُ  
لِيَوْمِ حَشْرٍ فَهُمْ يَدْوِرُ  
يَقْسِي كَذَا حُكْمًا عَلَى الدَّوَامِ  
فَلَا تَكُنْ فِي أَمْرِهِ تَرْتَابٌ  
وَتُمْكَنْتُ مِنْهُ لَهُ الْإِجَابَةُ  
يَنْشُرُهَا بَيْنَ الْوَرَى لِلطَّائِعِ  
قَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ فِينَا رَسْمُهَا  
وَالْحَجَّ وَالْجَهَادُ وَالْإِعْلَامُ<sup>(٢٩)</sup>  
عَنْ مُنْكَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ خُذَا  
عَشْرُ سِينَ وَهُوَ فِيهَا سَامِيٌّ<sup>(٣٠)</sup>  
وَدِينُهُ بَاقٍ بِلَا تَكْلِيمٍ<sup>(٣١)</sup>

بِمَكَّةَ أَتَى بِهَا أَعْوَامًا  
أَمْرَهُ الرَّبُّ إِلَى الْمَدِينَةِ  
وَحُكْمُ هَذِي الْهِجْرَةِ المَذَكُورُ  
مِنْ بَلْدِ الشَّرْكِ إِلَى الْإِسْلَامِ  
دِلْكُلَّهُ السُّنَّةُ وَالْكِتَابُ  
وَبَعْدَمَا اسْتَقَرَ وَسْطَ طَابَهُ  
أَخَذَ فِي بَيْقَيَّةِ الشَّرِائِعِ  
كَذَاكِ لِلْعَاصِي يَعْمَلُ حُكْمُهَا  
مِثْلُ الزَّكَاةِ وَكَذَا الصِّيَامُ  
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنُّهُيُّ كَذَا  
مِمَّا يَقِيِّ مِنْ شِرْعَةِ الْإِسْلَامِ  
ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَ الْكَرِيمِ

(٢٩) الإِعْلَامُ : الأَذَانُ .

(٣٠) سَامِيٌّ : مِنِ السَّمْوُ ، وَهُوَ الْأَرْتِقَاعُ وَالْعُلُوُّ .

(٣١) التَّكْلِيمُ : مِنَ الْكَلْمَ ، وَهُوَ التَّأْثِيرُ الْمَدْرُكُ بِإِحْدَى الْحَاسِتَيْنِ ؛ فَالْكَلَامُ :  
مَدْرُكٌ بِحَاسَةِ السَّمْعِ ، وَالْكَلْمُ : بِحَاسَةِ الْبَصَرِ . وَكَلْمَتُهُ : جَرْحَتُهُ جَرَاحَةٌ بَانَ  
تَأْثِيرُهَا ( المَفْرَدَاتُ : ٧٢٢ ) .

عَلَيْهِ فِي ذَا إِنْسَنَا وَجَنَّا  
 عَنْهُ وَكَانَ الْخَيْرُ فِيمَا أَخْبَرَ  
 فِيهِ رَضَا اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ  
 يَكْرَهُهُ اللَّهُ بِغَيْرِ شَكٍ  
 وَدِينُهُ لَا خَيْرَ إِلَّا دِينُهُ  
 وَدِينُهُ لَا شَرَّ إِلَّا حَذَرَ  
 وَكَلَّهُ فِي قَبْضَةِ التَّوْحِيدِ  
 وَالشَّرُّ مَجْمُوعٌ بِأَيْدِي الشَّرِكِ



طَاعَةَ ذَاكَ الْمُضْطَفَى وَالْمُجْبَى  
 مِنْ جَنَّهَا وَإِنْسِهَا قُلْ جَنْبَرَا<sup>(٣٢)</sup>  
 وَزَالَ عَنَّا كُلُّ شِرِّكٍ وَعَنَا<sup>(٣٣)</sup>  
 مُفْضَلٌ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ<sup>(٣٤)</sup>  
 مُحَاسِبُونَ مَا لِذَا مِنْ فَوْتٍ<sup>(٣٥)</sup>  
 مَنْ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى حَقِيقًا حَظُّهُمْ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ أَوْ جَنَّا  
 عَلَى جَمِيعِ التَّقْلِينَ طُرَّا  
 وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ لَنَا  
 وَمَاتَ وَالدَّلِيلُ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالنَّاسُ يُعْثِرُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ  
 جَرَاؤُهُمْ إِزَاءَ أَعْمَالِهِمْ

(٣٢) الثقلان : هما الجن والإنس . طرًا : أي جمِيعًا ، وهو منصوب على المصدر أو الحال . ( النهاية ٣ : ١١٩ ) .

(٣٣) عنا : أي الْقَهْرُ وَالْغَلْبَةُ وَالْخُضُوعُ ، وَهُوَ مِنْ عَنَا يَعْنُو إِذَا ذُلُّ وَخُضُوعُ .

(٣٤) قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [ الزمر : ٣٠-٣١ ] . وَقَالَ سَبَحَانَهُ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ ، أَفَإِنْ مَتْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [ الأنْبِيَاءُ : ٣٤-٣٥ ] .

(٣٥) قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لِيَجزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَلِيَجزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [ النَّحْمُ : ٣١ ] .

وَمَنْ أَسَاءَ فَالْعِقَابُ قِسْمٌ  
وَالْبَعْثُ مَنْ يُنْكِرُهُ فَقَدْ كَفَرَ  
وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ  
كَيْ لَا يَكُونَ حُجَّةً يُدْلِيَ بِهَا  
أَوْلَئِمْ نُوحٌ وَعَقْبَاهُمْ هُدَى  
صَلَّى عَلَى الْجَمِيعِ جَبَارُ السَّمَا  
وَكَلَّمْ دَاعٍ إِلَى التَّوْحِيدِ  
لِلَّهِ وَحْدَهُ وَذَاكَ الدِّينُ

بِعَمَلِ مِنْهُ وَذَاكَ إِثْمُهُ<sup>(٣٦)</sup>  
فَاقْتُلُ الْقُرْآنَ وَأَجْلُ فِيهِ النَّظرَ<sup>(٣٧)</sup>  
مُبَشِّرِينَ مُنْذِرِينَ كُمْلَ<sup>(٣٨)</sup>  
النَّاسُ يَوْمَ الْحِشْرَ كُنْ مُنْتَهَا<sup>(٣٩)</sup>  
مُحَمَّدٌ بَيْنَا مَنْ وَحْدَهُ<sup>(٤٠)</sup>  
وَاللَّهُمْ وَصَحْبِهِ مُ وَسَلَّمَا  
فِي أُمَّةٍ لَهُ بِلَا تَرْدِيدٍ  
دَعْوَتُهُمْ لَمَنْ بِهِ يَدِينُ<sup>(٤١)</sup>

(٣٦) قِسْمٌ : أي نصيبيه .

(٣٧) قال تعالى : ﴿ زُعمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا ، قَلْ : بَلِي وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَ ، ثُمَّ لَتَبْيَأُنَ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

(٣٨) قال تعالى : ﴿ رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا نَرْسَلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ [الكهف : ٥٦] .

(٣٩) يدلّي بها : يتوصّل بها . وأدلّي بحجته : أحضرها .

(٤٠) عَقْبَاهُمْ : أي آخرهم . ومن أسماء النبي ﷺ : (( العاقب )) ؛ لأنّه آخر الأنبياء ﷺ . والعاقب والعقوب : الذي يختلف من كان قبله في الخير .

(٤١) يَدِينُ : يخضع ويطيع .

كَيْلَامْ نَاهِ عَنِ الظَّغَوْتِ  
 مُفْضٌ إِلَى الشَّرْكِ وَقَدْ مِنْ  
 وَلَنْ تُرِدْ مَعْنَاهُ فَاعْرَفْهُ فَمَنْ  
 وَذَاكَ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَبْرُوْعٍ  
 إِنَّ الطَّوَاغِيْتَ كَثِيرٌ عَدُّهُ  
 أَبْلِيسُ أَوْهَمُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ  
 وَمَنْ مِنَ الْخَلْقِ تَرَاهُ يَعْمَدُ  
 وَمَنْ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَى عِبَادَتِهِ  
 وَالْمُدَعَّيُ فِي النَّاسِ عِلْمٌ الْغَيْبِ  
 وَالْحَاكِمُ الْغَاوِيُ بِغَيْرِ الْمُنْزَلِ

---

(٤٢) التفويت : من الفوت ، وهو بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتذرع إدراكه ، أو من الافتياط : وهو أن يفعل الإنسان الشيء من دون ائتمار من حقه أن يؤتمر فيه .

(٤٣) الورى : الخلق . قال أبو هلال العسكري في ( الفروق اللغوية ) ، ص ٢٢٧ : الفرق بين الناس والورى ، أن قولنا : الناس يقع على الأحياء والأموات ، والورى : الأحياء منهم دون الأموات ، وأصله من ورى الزند يرى ، إذا أظهر النار ، فسمى الورى ورى لظهوره على وجه الأرض . ويقال : الناس الماضون ، ولا يقال : الورى الماضون " انتهى .

وَكَلَمْ نَاهِ عَنِ الظَّغَوْتِ  
 مُفْضٌ إِلَى الشَّرْكِ وَقَدْ مِنْ  
 وَلَنْ تُرِدْ مَعْنَاهُ فَاعْرَفْهُ فَمَنْ  
 وَذَاكَ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَبْرُوْعٍ  
 إِنَّ الطَّوَاغِيْتَ كَثِيرٌ عَدُّهُ  
 أَبْلِيسُ أَوْهَمُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ  
 وَمَنْ مِنَ الْخَلْقِ تَرَاهُ يَعْمَدُ  
 وَمَنْ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَى عِبَادَتِهِ  
 وَالْمُدَعَّيُ فِي النَّاسِ عِلْمٌ الْغَيْبِ  
 وَالْحَاكِمُ الْغَاوِيُ بِغَيْرِ الْمُنْزَلِ

دِلْكُلَّهُ آيَةٌ ﴿لَا إِكْرَاهٌ﴾  
 مَعْنَاهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
 وَكُلُّ ذَا فِي ضِمْنِهِ تَقَاءُ  
 تَقْمِهُ تَفْهِمٌ يَا أَخِي مَعْنَاهَا<sup>(٤٤)</sup>



مِنْ رَبِّنَا الإِسْلَامُ فَأَفْهَمْ تَذْرِ  
 فَاتَّلُ الْحَدِيثَ يَا أَخِي تَهَنَّا  
 جَهَادُنَا اللَّهُ فِي الْأَنْيَامِ  
 وَهَكَذَا الْأَمْرُ بِلَا تَفْنِيدٍ<sup>(٤٥)</sup>  
 كَنِّي بِذَاكِرَتِهِ تَعْمَةُ الإِسْلَامِ



وَاعْلَمُ أَخِي أَنَّ رَأْسَ الْأَمْرِ  
 كَذَا عَمُودُهُ الصَّلَاةُ مِنَ  
 وَذْرَوَةُ السَّنَامِ لِلإِسْلَامِ  
 لِمَقْصِدِ الْإِعْلَاءِ لِلتَّوْحِيدِ  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْتَّمَامِ

(٤٤) قال الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرُ  
 بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعِرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

قال الراغب في ( المفردات ، ص ٣٢٣ ) : " الدين : يعني الطاعة ؛ فإن ذلك  
 لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص ، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه ، وقيل :  
 إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية " انتهى .

(٤٥) تفنيد : الفَنْد ، الخطا في القول والرأي ، والكذب . وفَنْدَهُ تفنيداً : كذبه ،  
 وعَجَزَهُ ، وخطأ رأيه ، كأفنته . ( القاموس ، ص ٣٩٢ ) .

## المصادر والمراجع

- ١ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، للأمير علي بن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ .
- ٢ - الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ .
- ٣ - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، للخطابي ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ .
- ٤ - أعلام من أرض النبوة ، لأنس كتبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .
- ٥ - التحرير والتنوير من التفسير ، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣) ، الدار التونسية للنشر . تونس ١٩٨٤ .
- ٦ - تحفة المحبين والأصحاب ، للأنصارى ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ .
- ٧ - تراجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي .
- ٨ - الترغيب والترهيب . سمندري ، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر .
  - ⊗ تفسير الخازن = باب التأويل .
  - ⊗ تفسير الطبرى = جامع البيان .
  - ⊗ تفسير القاسمى = محسن التأويل .
  - ⊗ تفسير القرطبي = جامع لأحكام القرآن .
  - ⊗ تفسير النسفي = مدارك التنزيل .

٩ - تفسير عبد الحميد بن باديس ، دار الفكر ، بيروت .

١٠ - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ .

١١ - تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، دار الحديث ، القاهرة .

١٢ - جامع الأصول ، لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩ .

١٣ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبرى ، تحقيق محمود شاكر ، توزيع دار التراث .

١٤ - جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، تحقيق إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ .

١٥ - الجامع لأحكام القرآن ، لقرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٧ .

١٦ - حاشية الأصول الثلاثة ، لعبد الرحمن بن قاسم الخبلي النجدي ، الرياض ، ١٤٠٤ .

١٧ - حول تفسير سورة الحجرات ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ .

١٨ - حول تفسير سورة الفاتحة ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ .

١٩ - **حياة الأنبياء في قبورهم** ، للبيهقي ، علّق عليه : محمد بن محمد الخانجي البوسني ، مطبعة التضامن ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٩ .

٢٠ - **الدُّرُّةُ الشَّمِينَةُ في النَّحْوِ** ، محمد الطيب الأنصارى ، المطبعة الماجدية بـمكّة المكرمة ، ١٣٥٤ .

٢١ - **ديوان عمر بن إبراهيم بري** ، تحقيق محمد العيد الخنطراوى ، دار التراث بالمدينة المنورة ، ١٤٠٦ .

٢٢ - **الرسالة الواقية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات** ، لأبي عمرو الداني ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٩ .

٢٣ - **الروح** ، لابن القيم ، تحقيق يوسف البديوي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٩ .

٢٤ - **روضة الطالبين وعمدة المفتين** ، للنورى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ .

٢٥ - **زاد المسير في علم التفسير** ، لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٨٤ .

٢٦ - **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ .

٢٧ - **سلاح المؤمن في الدعاء والذكر** ، لابن الإمام ، تحقيق محيي الدين مستو ، دار ابن كثير ، بيروت ١٤١٤ .

٢٨ - **سنن الترمذى** ، تحقيق أحمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية ،  
بيروت .

٢٩ - **سنن أبي داود** ، تحقيق محمد عوامة ، الدار المكية ودار القبلة ، الطبعة  
الأولى ، ١٤١٨ .

٣٠ - **السنن الكبرى للبيهقي** ، دار الفكر ، بيروت .

٣١ - **سنن ابن ماجه** ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،  
١٣٧٢ .

٣٢ - **سنن النسائي** ، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات  
الإسلامية بحلب .

٣٣ - **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ، لالكلائي ، تحقيق أحمد سعد  
حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٣ .

٣٤ - **شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم** ، لابن رجب الحنبلي ، المكتبة  
الدولية ، الرياض ، ١٤٠٢ .

٣٥ - **شرح صحيح مسلم** ، للنwoي ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٧ .

٣٦ - **شرح العقيدة الطحاوية** ، لابن أبي العز الحنفي ، مؤسسة الرسالة ،  
بيروت ، ١٤٠٨ .

٣٧ - **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضي عياض ، دار الكتاب العربي ،  
بيروت .

٣٨ - **صحيح البخاري** ، طبعة مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، ١٤١٤ هـ .

٣٩ - صحيح مسلم ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٤ .

٤٠ - صفوة البيان لمعاني القرآن ، لحسين محمد مخلوف ، مؤسسة زايد ابن سلطان آل نهيان ، ١٤١٨ .

٤١ - صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، لابن الصلاح ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨ .

٤٢ - طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ، تقريب صالح الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .

٤٣ - العبودية ، لابن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧ .

٤٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، المطبعة السلفية ، دار الريان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ .

٤٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن رجب الحنبلي ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .

٤٦ - الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، مصورة دار الكتب العلمية .

٤٧ - القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤٨ - الالئي الكمينة شرح الدرة الشمينة ، لحمد الطيب الأنصاري ، مطبعة المدنى بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ .

٤٩ - **باب التأويل في معاني التنزيل** ، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي ، المعروف بالخازن ، مصورة دار الفكر ، بيروت .

٥٠ - **لسان العرب** ، لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٥١ - **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** ، لابن رجب الخنبلبي ، تحقيق ياسين السواس ، دار ابن كثير ، بيروت .

٥٢ - **مجلة المنهل** ، مقالات الأستاذ عبد القدس الأنصارى ، ومحمد سعيد دفتردار .

٥٣ - **محاسن التأويل** ، لجمال الدين القاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ .

٥٤ - **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** ، لابن عطية ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، ١٤٠٣ .

٥٥ - **الخلی** ، لابن حزم ، مكتبة الجمهورية ، القاهرة .

٥٦ - **المختار من كنوز السنة** ، للدكتور محمد عبد الله دراز ، إدارة إحياء التراث بقطر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ .

٥٧ - **مدارج السالكين** ، لابن القيم ، مطبعة السنة الحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٥ .

٥٨ - **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، للنسفي ، مطبوع بهامش الخازن ، مصورة دار الفكر .

٥٩ - **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم ، مصورة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ .

٦٠ - **مسند أبي يعلى** ، تحقيق حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٤ .

٦١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت .

٦٢ - معالم السنن ، للخطابي ، منشورات المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ .

٦٣ - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب ، للونشريسي ، مطبوعات وزارة الأوقاف في المغرب ، ١٤٠١ .

٦٤ - مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان داودي ، دار القلم بدمشق ، ١٤١٨ .

٦٥ - المقدمات الممهدات ، لابن رشد الجد ، تحقيق محمد الحجji ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨ .

٦٦ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العربية ، مصر .

٦٧ - فدورة الإثنينية ، المجلد التاسع ، الناشر: عبد المقصود خوجة ، جدة .

٦٨ - نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية ، لحمد منير آغا الدمشقي ، مكتبة الشافعي ، الرياض .

٦٩ - النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ .

٧٠ - نواقض الإيمان القولية والعملية ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٥ .

٧١ - نوح وقومه في القرآن ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ،

١٤١٠.

٧٢ - نور الاقتباس ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد ناصر العجمي ، دار

البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٠.

٧٣ - هداية الناسك إلى المذاهب الأربعة في المذاهب ، لابن جماعة ، تحقيق نور

الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٤ .

# الفهرس الإجمالي

٩ - ٥	مقدمة الناشر
٣٣ - ١١	ترجمة العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري
٥٣ - ٣٥	ترجمة الناظم الشيخ عمر بن إبراهيم بري المدنى
٥٧	مقدمة الكتاب
٥٩	السائل الأربع
٦٥	السائل الثلاثة
٧٣	الأصول الثلاثة :
٧٣	الأصل الأول : معرفة العبد ربه
١٠٤	الأصل الثاني : معرفة العبد دينه
١٠٤	مراتب الدين :
١٠٥	المرتبة الأولى : الإسلام
١١٩	المرتبة الثانية : الإيمان
١٢٥	المرتبة الثالثة : الإحسان
١٣٣	الأصل الثالث : معرفة العبد نبيه <small>عليه السلام</small>
١٧٥	منظومة تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول

# الفهرس التفصيلي

٥	مقدمة الناشر
٣٣ - ١١	ترجمة العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري
١٢	ولادته ونشأته
١٣	شيوخه
١٤	جهاده وهجرته إلى المدينة المنورة
١٦	هجرته إلى مكة المكرمة ورجوعه إلى المدينة المنورة
١٨	زواجه وأولاده
١٨	علومه
١٩	تدریسها ووظائفها
٢٠	منهجه في التربية والتعليم
٢٥	مؤلفاته
٢٨	صفاته الخلقية والخلقية
٣٢	مرضه ووفاته
٥٣ - ٣٥	ترجمة الناظم عمر بن إبراهيم بوي المدنی
٣٦	ولادته وأسرته
٣٧	نشأته وتعليمه
٣٨	شيوخه ومذهبها
٣٩	أدبها وشعرها
٤١	مجلسه وأسلوبه في الحديث
٤٢	رحلاته إلى الشام وألبانيا وتونس

٤٥	إقامته بتونس
٤٦	رجوعه إلى المدينة المنورة
٤٦	رحلته إلى الهند
٤٧	تلاميذه
٤٨	مؤلفاته
٥١	وفاته
٥٥	<b>كتاب تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول</b>
٥٧	المقدمة
٥٩	<b>المسائل الأربع</b>
٦٠	العلم والعمل والدعوة والصبر
٦١	تفسير سورة العصر
٦٢	العلم قبل القول والعمل
٦٢	الآيات التي فيها الأمر بالعلم تبين أن أول ما ينبغي أن يعلم هو التوحيد
٦٥	<b>المسائل الثلاثة</b>
٦٥	وجوب طاعة الرسول ﷺ والتحذير من معصيته
٦٦	تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ...﴾
٦٧	تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...﴾
٦٨	النهي عن موالاة أعداء الله
٦٨	معنى الحنفية دين إبراهيم عليه السلام
٦٩	الغاية من خلق الجن والإنس
٧٠	تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْدِدُون﴾
٧٠	أعظم ما أمر الله به : التوحيد
٧١	أعظم ما نهى الله عنه : الشرك

٧١	معنى الشرك وأنواعه .....
٧٣	<b>الأصول الثلاثة :</b> .....
٧٣	<b>الأصل الأول :</b> معرفة العبد ربه <small>وَهُنَّ</small> .....
٧٣	معنى المعرفة .....
٧٤	تفسير قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والإشارة إلى كثرة العوالم وعظمتها .....
٧٥	من آيات الله <small>وَهُنَّ</small> .....
٧٧	معنى كلمة الرب ، وأنه لا يطلق عند الإطلاق إلا على الله <small>وَهُنَّ</small> .....
٧٨	تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ...﴾ .....
٨٠	معنى العبادة .....
٨١	<b>أنواع العبادة التي أمر الله بها</b> .....
٨٤	<b>١ - الدعاء</b> .....
٨٤	تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾ .....
٨٥	سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعًا من وجوه متعددة .....
٨٧	<b>٢ - الخوف</b> .....
٨٧	معنى الخوف والمراد بالخوف من الله تعالى .....
٨٧	تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ ...﴾ .....
٨٨	<b>٣ - الرجاء</b> .....
٨٨	معنى الرجاء والفرق بينه وبين التمني .....
٨٨	تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لَقَاءَ رَبِّهِ ...﴾ .....
٨٩	<b>٤ - التوكل</b> .....
٨٩	معنى التوكل والدليل على أنه من مقتضيات الإيمان .....

٩٠	٥ - الرغبة
٩٠	معنى الرغبة والفرق بينها وبين الرجاء
٩١	٦ - الرهبة
٩١	معنى الرهبة والتناسب بين الرهب والهرب
٩١	٧ - الخشوع
٩١	تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْأَلُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ...﴾
٩٢	٨ - الخشية
٩٢	معنى الخشية والفرق بينها وبين الخوف
٩٣	٩ - الإنابة
٩٣	معنى الإنابة وتضمنها لأربعة أمور
٩٤	١٠ - الاستعاة
٩٤	معنى الاستعاة
٩٤	تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
٩٥	١١ - الاستعاذه
٩٥	معنى الاستعاذه
٩٦	تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾
٩٧	تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾
٩٧	الحكمة من تخصيص الناس بالذكر
٩٨	١٢ - الاستغاثة
٩٨	معنى الاستغاثة
٩٨	تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغْاثُونَ بِرَبِّكُمْ ...﴾
٩٩	١٣ - الذبح
٩٩	معنى الذبح

٩٩	تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ... ﴾
١٠٠	الحكمة من الجمع بين الصلاة والنسك
١٠٠	شرح حديث : (( لعن الله من ذبح لغير الله ))
١٤	١٤ - النذر
١٠١	معنى النذر
١٠٢	تفسير قوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ... ﴾
١٠٣	توجيه الأحاديث التي جاءت في النهي عن النذر
١٠٣	حكم النذر في معصية الله
١٠٤	الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة
١٠٤	مراتب دين الإسلام
١٠٥	المরتبة الأولى : الإسلام
١٠٥	معنى الإسلام والمراد به عند الإطلاق
١٠٥	اختصاص الإسلام بالأقوال والأعمال التكليفية إذا اجتمع ذكره مع الإيمان
١٠٦	أركان الإسلام
١٠٧	دليل شهادة أن لا إله إلا الله
١٠٧	تفسير قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ... ﴾
١٠٧	إعلان الله سبحانه شهادة أنه لا إله إلا هو في آياته القرآنية وآياته النفسية
١٠٧	والآفاقية
	من شرف العلماء أن الله سبحانه لم يفرد الأنبياء بالذكر ، بل أدخلهم
١٠٨	في مسمى العلماء
١٠٩	معنى لا إله إلا الله
١١٠	تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إني براء ... ﴾
١١١	تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ... ﴾

..... ١١٢	دليل شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ
..... ١١٢	اقتضاء لا إله إلا الله أن محمداً رسول الله ..
..... ١١٣	تفسير قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾
..... ١١٤	معنى شهادة أن محمداً رسول الله ..
..... ١١٤	من خصائص العبادة في الإسلام التوقف ..
..... ١١٥	دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ..
..... ١١٦	معنى الصلاة والزكاة ..
..... ١١٦	تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ...﴾
..... ١١٧	دليل الصيام ..
..... ١١٧	معنى الصيام وتفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبُهُمْ الصِّيَامُ ...﴾
..... ١١٧	دليل الحج ..
..... ١١٨	معنى الحج وتفسير قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ ...﴾
..... ١١٩	المرتبة الثانية : الإيمان ..
..... ١١٩	معنى الإيمان إذا أفرِدَ بالذِّكْرِ ..
..... ١٢٠	ومعناه إذا ذكر مع الإسلام على وجه الإقرار أو النفي ..
..... ١٢١	معنى الإيمان في اللغة والشرع ..
..... ١٢١	شعب الإيمان ..
..... ١٢٢	أركان الإيمان ..
..... ١٢٣	دليل القدر وتفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ ..
..... ١٢٥	المرتبة الثالثة : الإحسان ..
..... ١٢٥	شرح قوله ﷺ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ...» ..
..... ١٢٦	مقام الإحسان أعظم مقامات الدين ..

١٢٦	كيف يتحقق المؤمن بمقام الإحسان
١٢٧	تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الظِّنَّا تَقَوَّا...﴾
١٢٧	المعية العامة والمعية الخاصة
١٢٨	تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ...﴾
١٢٨	تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ...﴾
١٢٩	الدليل من السنة على مراتب الدين ( حديث جبريل ﷺ )
١٣١	شرح بعض أشرطة الساعة في قوله ﷺ : ((أَنْ تَلِدُ الْأُمَّةَ رِبَّهَا...))
١٣٢	حديث جبريل اشتمل على أصول الدين ويسمى ( أم السنة )
١٣٣	<b>الأصل الثالث : معرفة نبينا ﷺ</b>
١٣٣	اسمه ونسبة وعمره الشريف ﷺ
١٣٤	مدة النبوة والرسالة
١٣٥	تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْثُرُ...﴾
١٣٦	تفسير قوله تعالى : ﴿وَثِيَابُكَ فَطَهَرَ﴾
١٣٧	تفسير قوله تعالى : ﴿وَالرَّجُزُ فَاهْجُر﴾
١٣٨	البراءة من الأصنام وأهلها
١٣٩	الإسراء والمعراج وأنه بالروح والجسد
١٤٠	فرض الصلوات الخمس
١٤١	معنى الهجرة
١٤١	قول ابن القيم : "الله على كل قلب هجرتان" ... انظرهما فهما من روائع كلامه
١٤٢	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه
١٤٢	حكم الهجرة
١٤٣	حكم من أقام ببلاد الكفار موالاة وحبأ لهم

١٤٤	تفسير قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِمْ ... ﴾
١٤٥	تفسير قوله سبحانه : ﴿ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ... ﴾
١٤٦	سبب نزول الآيتين
١٤٧	التفقيق بين قوله ﷺ : (( لا تقطع الهجرة ... )) وبين قوله ﷺ : (( لا هجرة بعد الفتح ))
١٤٨	فرض بقية شرائع الإسلام
١٤٨	تحديد الوقت الذي فرضت فيه الزكاة والصيام
١٤٨	تحديد الزمن الذي شرع فيه الحج
١٤٩	تحديد الزمن الذي شرع فيه الأذان
١٤٩	مراحل تشريع الجهاد
١٥٠	وفاته ﷺ
١٥١	بدء مرضه واضطراب المسلمين عند وفاته ﷺ
١٥١	بقاء دينه ﷺ
١٥٢	حفظ القرآن يستلزم حفظ السنة وبقاء حملة الكتاب والسنة
١٥٢	عموم بعثته ﷺ
١٥٣	كمال الدين
١٥٤	تفسير قوله ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾
١٥٥	تفسير قوله سبحانه : ﴿ إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ... ﴾
١٥٦	حياته البرزخية في قبره الشريف
١٥٧	الإيمان بالبعث
١٥٨	كفر من كذب بالبعث
١٥٩	أمر الله تعالى رسوله أن يقسم بربه ﷺ على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع ..
١٦٠	الحكمة من إرسال الرسل

١٦٠	أول الرسل من أولي العزم نوح <small>الثانية</small>
١٦١	تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ...﴾
١٦٢	آدم أبو البشر أول نبي بعثه الله إلى أولاده
١٦٢	بين آدم ونوح عشرة قرون والمراد بالقرن
١٦٣	دعاة جميع الرسل إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت
١٦٣	معنى الطاغوت
١٦٤	رؤوس الطواغيت
١٦٥	١ - إبليس
١٦٦	معنى كلمة (إبليس) و (الشيطان)
١٦٦	٢ - من عبد وهو راض
١٦٧	٣ - من دعا الناس إلى عبادة نفسه
١٦٧	٤ - من ادعى شيئاً من علم الغيب
١٦٧	الفرق بين الكاهن والعراف
١٦٨	الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه
١٦٨	مفاتيح الغيب خمسة
١٦٩	٥ - من حكم بغير ما أنزل الله
١٦٩	منزلة تحكيم شرع الله وأنه من الإيمان
١٧١	التفريق بين الكفر الاعتقادي والعملي
١٧٢	تفسير قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾
١٧٣	شرح قوله <small>عليه السلام</small> : ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ... ))
١٧٤	لِمَ لَمْ يذَكُرُ الْجَهَادَ فِي حَدِيثِ أَبْنِ عُمَرَ : ((بَنِي الإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ ... ))

١٧٥	منظومة تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول
١٧٧	السائل الأربع
١٧٩	السائل الثلاث
١٨٣	الأصول الثلاثة
١٨٣	<b>الأصل الأول</b> : معرفة العبد ربها ﷺ
١٨٤	العلاقة بين الخلق والأمر
١٨٦	الأصل الثاني : معرفة العبد دينه
١٨٧	مراتب دين الإسلام
١٨٧	١ - الإسلام
١٨٨	٢ - الإيمان
١٨٨	تخریج حديث : « الإيمان بضع وستون شعبة ... » والإشارة إلى بعض المصنفات حوله
١٩٠	<b>٣ - الإحسان</b>
١٩٣	<b>الأصل الثالث</b> : معرفة العبد نبيه ﷺ
١٩٤	وجوب طاعته ﷺ
١٩٤	أول الرسل وعقباهم
١٩٥	رؤوس الطواغيت
١٩٥	الفرق بين الناس والورى
١٩٧	فهرس المصادر والمراجع
٢٠٥	الفهرس الإجمالي
٢٠٦	الفهرس التفصيلي